شرح

قصيدة البردة للبوصيري

تأليف

الشيخ جمال بن نصير الجنابي رحمه الله تعالى

تحقيق وتقديم

الدكتور خالق داد ملك

محاضر بقسم اللغة العربية

جامعة بنجاب بلاهور

الطبعة الأولى

قسم اللغة العربية، جامعة بنجاب بلاهور

١٩٩٥م - ١٤١٦هـ

شَرْحُ
قَصِيدَةِ البُرْدَةِ لِلبُوصِيرِي

تاليف

الشيخ جمال بن نصير الجنابي

تحقيق وتقديم

الدكتور خالق داد ملك
محاضر بقسم اللغة العربية
جامعة بنجاب بلاهور

الطبعة الأولى
قسم اللغة العربية، جامعة بنجاب بلاهور
١٩٩٥م - ١٤١٦هـ

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

قسم اللغة العربية

جامعة بنجاب بلاهور

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

إن ميمية الإمام البوصيرى التي عرفت واشتهرت بقصيدة البردة قد شغلت أذهان الجهابذة الأعلام وأقلامهم عبر العصور، وقد تركت تأثيرا بالغا في نفوس الأجيال القادمة من شعراء اللغة العربية في كل مكان، ويرجع ذلك إلى ما امتازت به قصيدة البوصيرى هذه من دقة اللفظ ورقة المعنى ومن الحب الصادق والإخلاص والإيمان مما يثير عواطف المؤمنين ومشاعر المحبين، فمنهم من قام بشرح القصيدة وتفسيرها بشتى اللغات ومنهم من ترجمها إلى اللغات الإسلامية الأخرى غير العربية شعرا ونثرا، ومنهم من قلدها فنظم على نهج البردة ومنوالها، وهذا الاهتمام البالغ لهذه القصيدة الرائعة التي مدح بها البوصيرى النبى صلى الله عليه وسلم، لا يزال يزداد ويمتد وسيظل كذلك إلى آخر الدهر.

وأما علماء اللغة العربية وأدباؤها وشعراؤها في شبه القارة فقد نالوا من ذلك حظا وفيرا واشتغلوا بدراسة البردة وشرحها وتقليدها وترجمتها إلى اللغات المحلية، وأما شروح البردة هذه فهى كثيرة ومتنوعة، منها باللغة العربية ومنها بالفارسية وبعضها باللغة الأردية والبعض الآخر باللغات المحلية الأخرى مثل البنجابية والبشتوية والسندية والبنغالية وغيرها.

وأما الشروح باللغة العربية لبردة البوصيرى والتي انشغل بها القائمون بخدمة اللغة العربية في جنوب آسيا فهى أيضا كثيرة ومتنوعة ويتجاوز عددها العشرات ولا يسعنا في هذا المجال الضيق أن نتناول البعض منها أو نشير إليها.

وأما هذا الشرح النادر من نوعه فهو للشيخ جمال بن نصير الجنابى الذي عاش في القرنين الهجريين العاشر والحادى عشر والذي ترك كشقيقه جلال الجنابى تراثا علميا غاليا

يستحق اهتمامنا جميعا، فهو شرح يمتاز بكثير من الميزات، والذي يجدر بالذكر أن أسلوب الشيخ جمال الجنابى أسلوب سهل بسيط جداً، وقد اهتم الشارح بالمفردات اللغوية للقصيدة، فشرح مبهمها وحلّ غوامضها وتعمق في جوانب اللفظ والمعنى للشعر واستعان في ذلك بما وصل إليه من المعاجم اللغوية وكتب الأدب العربي على اختلاف الموضوعات وتنوعها كما أنه قد استفاد من شروح البردة التي سبقته، وفي نفس الوقت عوّل على اللغة الفارسية في الشرح لبعض المفردات المبهمة العويصة وحاول جاهدا أن يوضح ما جاء في شعر البوصيرى من الفكر والمعنى والصنائع والبدائع.

وأما المحقق لهذا الشرح النادر الدكتور خالقداد ملك فقد بذل جهده وجاء بسعى مشكور في إحياء المخطوط وتحقيقه، وقد راعى في ذلك الأسس والمبادئ التي اتفق عليها المحققون للمخطوطات العربية من العرب وغيرهم، ويسّر القسم العربي أن يقوم بطبع الكتاب ونشره بمناسبة اليوبيل الفضى الثانى للكلية الشرقية التي تحتفل بعيدها السنوى المئة والخامس والعشرين خلال السنة ١٩٩٥م.

الدكتور ظهور أحمد أظهر
رئيس قسم اللغة العربية
وعميد الكلية الشرقية، جامعة بنجاب بلاهور

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد، إمام الأنبياء وأشرف المرسلين الذي مدحه الواصفون بالقصائد والأشعار، وعجزوا عن بيانه واعترفوا بالإقرار، وعلى آله الأبرار، وصحبه الأخيار، ورضي الله تعالى عن ساداتنا العلماء الراسخين العاملين، الذين بذلوا قصارى جهودهم لنشر الدين المتين..... وبعد.

فإن اللغة العربية كانت وسيلة ضرورية لدراسة العلوم والمعارف الإسلامية والفنون الآلية في المدارس العربية في شبه القارة الهندية خلال عهد أباطرة المغول، ولم يزل شعار المسلمين في الهند منذ العهد الأول الاعتناء الكامل والاهتمام الشامل باللغة العربية والتعصب لها، وقد حافظوا عليها كلغة التأليف والعلم، وما زال المسلمون متمسكين باللغة العربية، يدرسون أمهات كتبها في مدارسهم التي يسمونها بالمدارس العربية الدينية، ويؤلفون ويكتبون بها، وكانت مقررات هذه المدارس ومناهجها الدراسية باللغة العربية، أما اللغات المحلية فكانت وسيلة للإفهام والتفهيم والتخاطب فقط.

وكان للآداب الإيرانية والطورانية أثراً بالغاً في المناطق الشمالية الغربية من شبه القارة الهندية حيث هاجر كثير من العلماء وتلامذتهم من بلاد إيران وطوران وقطنوا المناطق الشمالية من الهند وقاموا بخدمات كبيرة في

مجالات العلوم والمعارف الإسلامية ولذا أثرت ثقافة علماء البلاد الإيرانية والطورانية وحضارتهم أثراً غائراً في علوم هذه البلاد وفنونها ومعارفها.

وإذا تصفحنا أوراق المقررات والمناهج الدراسية العربية المتداولة في ذلك العهد، يتضح لنا أنه لم يكن ديوان من دواوين فحول الشعراء داخلاً في تلك المناهج والمقررات سوى قصيدة البردة التي نظمها محمد بن سعيد البوصيرى المصرى المتوفى سنة ٦٩٤هـ في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر سبب نظمها أنه قد أصيب بفالج أقعده، فدعا إلى الله وتشفع، فلما كان في نومه رأى النبي صلى الله عليه وسلم، فمسح وجهه بيده المباركة، وألقى عليه بردة، فانتبه فإذا هو قد شفى من مرضه، فنظمها وسماها لذلك بالبردة، تيمنا وتبركا، وسارت قصتها، فأنشدها الناس كذلك تيمنا وتبركا.(١)

والقصيدة تنيف على مئة وستين بيتا، وقد جمع البوصيرى فيها كل ما قاله القدماء في الممدوحين، فصور جمال خَلقه صلى الله عليه وسلم وكرم أخلاقه في حسن بُشر، وشبهه بالزهر والشمس والبدر والبحر والدهر، وصور هيبته كأنه في جيش عرمرم، وتحدث بعد ذلك عن معجزاته في إيوان كسرى ونار فارس وبحيرة ساوة، وتساقط الشهب وسجود الأشجار، وسير الغمام وصنع الحمام، ثم تكلم عن القرآن وإعجازه ووصف الإسراء والمعراج، وعدّد الغزوات وختم بالرجاء والتوسل والدعاء والتماس الشفاعة.

وقصيدة البردة هذه، حفظتها الأجيال الإسلامية في أقطارها، ورتلتها في مناسباتها الدينية، ونشرتها المطابع في الشرق والغرب وشرحها الشارحون منذ القرن الهجرى الثامن حتى اليوم شروحا عدة يعيينا حصرها هنا ومن شراحها على سبيل المثال لا الحصر:

(١) وللتفصيل راجع: شذرات الذهب ٤٣٢/٥ وفوات الوفيات ٢٠٥/٢.

(١) أبو شامه عبد الرحمن بن اسماعيل القدسى الشافعى المقرى النحوى المتوفى سنة ٦٩٥هـ.

(٢) على بن جابر بن موسى اليمنى الشافعى المتوفى سنة ٧٢٥هـ.

(٣) جمال الدين عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام النحوى المتوفى سنة ٧٦١هـ.

(٤) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الزمردى الشهير بابن الصائغ المتوفى سنة ٧٧٦هـ.

(٥) مسعود بن عمر المعروف بسعد الدين التفتازانى المتوفى ٧٩٧هـ.

(٦) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق التلمسانى المتوفى سنة ٧٩١هـ وسماه "الاستيعاب لما فيها من البيان والإعراب" وله شرح آخر سماه "إظهار صدق المودة في شرح قصيدة البردة".

(٧) جلال بن قوام بن الحكم وأتم شرحه في سنة ٧٩٢هـ.

(٨) بدر الدين محمد بن بهادر الزركشى المتوفى سنة ٧٩٤هـ.

(٩) محمد البسطامى الشاهرودى المعروف بمصنفك المتوفى سنة ٨٧٥هـ.

(١٠) شرف الدين على اليزدى المتوفى سنة ٨٢٨هـ.

(١١) كمال الدين حسين الخوارزمى المتوفى سنة ٨٤٠هـ.

(١٢) جلال الدين محمد بن أحمد المحلى الشافعى المتوفى ٨٦٤هـ وسماه "الأنوار المضيئة في مدح خير البرية".

(١٣) جلال الدين أحمد بن محمد بن محمد الخجندى المتوفى سنة ٨٠٣هـ وسماه "طيب الحبيب هدية إلى كل محب لبيب".

(١٤) زين الدين أبو العز طاهر بن حسن المعروف بابن حبيب الحلبى المتوفى سنة ٨٠٨هـ.

(١٥) القاضى شهاب الدين الدولة آبادى المتوفى سنة ٨٤٩هـ.

(١٦) زين الدين خالد بن عبد الله الأزهرى المتوفى سنة ٩٠٥هـ وسماه "الزبدة في شرح قصيدة البردة".

(١٧) شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلانى المتوفى سنة ٩٢٣هـ وسماه "مشارق الأنوار المضيئة في شرح الكواكب الدرية".

(١٨) القاضى زكريا بن محمد الأنصارى المتوفى سنة ٩٢٦هـ وسماه "الزبدة الرائقة في شرح قصيدة البردة الفائقة".

(١٩) عبيد الله محمد بن يعقوب المولى الفنارى المتوفى سنة ٩٣٦هـ.

(٢٠) محى الدين محمد بن مصطفى المعروف بشيخ زاده المتوفى سنة ٩٥١هـ.

(٢١) بدر الدين محمد بن محمد الغزى المتوفى سنة ٩٨٤هـ وسماه "الزبدة".

(٢٢) خير الدين خضر بن عمر العطوفى المتوفى سنة ٩٨٤هـ.

(٢٣) حسام الدين حسن بن محمد العباسى.

(٢٤) أحمد بن مصطفى الشهير بلالى.

(٢٥) يحيى بن منصور بن يحيى الحسنى وسماه: "نتائج الأفكار".

(٢٦) الامام فخر الدين احمد بن محمد بن أبى بكر الشيرازى وسماه "نزهة الطالبين وتحفة الراغبين".

(٢٧) الفاضل الحسن بن محمد بن الحسن الحنفى النخعى.

(٢٨) يحيى بن زكريا المفتى وسماه "صدق المودة".

(٢٩) أبو العباس أحمد الأزدى المعروف بالقصار.

(٣٠) حسن بن حسين التالشى.

(٣١) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن حسن القدسى البرمونى.

(٣٢) على بن سلطان المعروف بملا على القارى المتوفى سنة ١٠١٤هـ.

(٣٣) عبدالواحد بن أحمد الأنصارى المتوفى سنة ١٠٤٠هـ وسماه "شفاء القلب

الجريح".

(٣٤) محمد بن منلا أبى بكر بن محمد بن منلا سليمان الكردى الحنفى، أتم شرحه في سنة ١٠٤٨هـ وسماه "الدرة المضيئة في شرح الكواكب الدرية".

(٣٥) ابراهيم بن محمد الباجورى المتوفى سنة ١٢٧٦هـ.

(٣٦) القاضى عمر بن أحمد الخربوتى وسماه "عصيدة الشهدة".(١)

وكما سبق وقد قلت فإن قصيدة البردة كانت ضمن المناهج الدراسية في المدارس العربية خلال عهد المغول في الهند، فكان العلماء يحفظونها ويدرسونها وينشدونها ويستمعون إليها في مجالسهم ومحافلهم الدينية، وبدراسة هذه القصيدة المباركة وإنشادها والاستماع إليها كانوا يروون ظمأهم الأدبى ويزكون بها نار الحب التي كانت تهيج في قلوبهم لحبيبهم وحبيب رب العالمين صلى الله عليه وسلم، وتناول العلماء هذه القصيدة تعليقا وترجمة وشرحاً، فترجموها نثرا ونظما إلى لغاتهم المحلية كالفارسية والأردية والبنجابية والسندية والبشتوية.(٢) وكذلك شطروها وخمسوها وسبعوها ونظموا القصائد على نهجها، فكانت سببا لميلاد خزانة في مديح الرسول صلى الله علية وسلم عامرة بالكتب والشروح.(٣)

التعريف بصاحب الشرح:

إن المعلومات التي وصلت إلينا عن حياة الشيخ جمال بن نصير الجنابى قليلة جدا وجميع كتب التراجم والتذاكر لرجال الهند صامتة ساكتة عن هذا

---

(١) انظر: كشف الظنون ٢/١٣٣١.

(٢) فهرسة مخطوطات الكلية الإسلامية بپشاور، وقد ورد فيها أن ترجمة بنجابية لقصيدة البردة موجودة في المكتبة ومؤلفها من سكان قرية "جنديالة" ويسميها "ترجمة هندية".

(٣) كشف الظنون ٢/١٣٣١.

العالم الكبير والفاضل الجليل، وبعد جهد كبير وبحث طويل تيسرلى بعض المعلومات التي وردت عنه فيما يتعلق بمؤلفاته والتي ملخصها أن الشيخ جمال وشقيقه وصنوه الشيخ جلال هاجرا من مدينة "غزنة" في طلب العلم والمعرفة في أوائل عهد الامبراطور المغولى "أكبر" أو أواسطه، واستوطنا أرض بنجاب، ذات الأنهار الخمسة، وتعلما وتأدبا في مدينة لاهور، عاصمة إقليم بنجاب، وأقاما في قرية "كيليانواله" الواقعة على ضفة نهر "جناب" ولذا سميا "بالجنابيان" وقد كان كلاهما صاحب علم ومعرفة، مضطلعا في العلوم والمعارف العربية الإسلامية، متبحرا في الفنون النظرية والعملية، عالما خبيرا باللغة العربية وآدابها، وكان أكبرهما الشيخ جمال بن نصير، صاحب هذا الشرح، وأصغرهما الشيخ جلال بن نصير رحمهما الله تعالى.(١)

أما مولانا جمال فقد ذكر النبذ اليسير عن نفسه شخصيا في شرحه لقصيدة البردة قائلاً: "قد استراح من كدّ الانتهاض بمسودة هذا الشرح العبد جمال الجنابى".

ويقول الناسخ لهذا الشرح:

"قد حصل الفراغ من تسويد هذا الكتاب المستطاب المسمى "بشرح قصيدة البردة" من تاليف زبدة العارفين، قدوة السالكين، محى سنن سيد المرسلين، العارف بالله، الزاهد في الدنيا والراغب إلى الله مولانا جمال، ساكن موضع كيليانواله".

فهذه العبارة تصرح بأن الشيخ جمال كان يقطن بلدة "كيليانواله" التي تقع على ضفة نهر "جناب" بمقاطعة "كوجرانواله" من إقليم بنجاب، وكان ينتسب إلى النهر فيقال له "الجنابى".

(١) تاريخ آداب مسلمى باكستان والهند ٢٩٣/٢ والإسلام وعلماء إقليم بنجاب (ص١٠٨) ومساهمة الهند في الآداب العربية (ص٣٢٩).

ويجدر بالذكر هنا أن الشقيق الأصغر للشيخ جمال، الشيخ جلال بن نصير الجنابى تناول قصيدة البردة شرحاً بالعربية وسماه "كشف الحقائق" واستفاد فيه كثيراً من شرح شقيقه الأكبر الشيخ جمال وذكر اسمه أثناء الشرح ست مرات بكل تقدير وتمجيد وإكرام واحترام وفي موضع من الشرح صرح بأنه كان تلميذا مستفيدا لأخيه الأكبر قائلاً:

"ثم أنى قد استفدت من أستاذى المحقق والمولوى المدقق أخى العالم العامل المختار عند الكريم المتعال مخدومنا ومولانا جمال سلمه الله تعالى وأبقاه حين عرضت شرح هذا البيت لديه".(١)

وقد ذكر الأستاذ الدكتور أحمد حسين الكجراتى، الشيخ جمال وشقيقه الشيخ جلال الجنابيين قائلاً:

"مثل الأخوين فيضى وأبى الفضل، كان في ذلك العهد أخوان اسمهما جمال بن نصير وجلال بن نصير الجنابيان، أصل آبائهما من بلاد "غزنة" تعلما وتثقفا في مدينة لاهور عند سعد الله الملتانى اللاهورى(٢) المتوفى سنة ٩٩٠هـ الموافق ١٥٨٢م واستوطنا قرية "كيليانواله" الواقعة على شاطئ نهر جناب الأيسر".(٣)

وكذلك فقد وردت سطور عن الشيخ جمال وتعليقه على شرح الجامى للكافية في فهرس المخطوطات لمكتبة ديال سنغ بلاهور وهى:

"إن المعلومات عن حياة الملأ جمال الجنابى لم نعثر عليها في أشهر التراجم إلا أن بعض المؤلفين قد ذكروا عنه فيما يتعلق بحاشيته على شرح الجامى ومؤلفاته الأخرى بأنه كان على قيد الحياة في سنة ١٠١٩هـ وفرغ من

(١) ورقة "١٢٠" في شرح البيت: "وكالصراط وكالميزان معدلة".

(٢) وهو الشيخ سعد الله بن ابراهيم بن فتح الله الملتانى ثم اللاهورى، ولد بملتان سنة ٩٢١هـ واستوطن مدينة لاهور وتوفى سنة ٩٩٠هـ (نزهة الخواطر ١٢٣/٤).

(٣) الإسلام وعلماء إقليم بنجاب (ص١٠٨)، الدكتور احمد حسين الكجراتى، طبعة كجرات.

تعليقه على شرح الجامى في السنة نفسها".(١)

وكان الشيخ جمال قد شرح بردة البوصيرى باللغتين العربية والفارسية وهذا هو الأستاذ أحمد المنزوى يكتب عن شرحه الفارسى قائلاً:

"أما المتن فهو للبوصيرى نفسه وأما الشرح فللملاً جمال الكيلانى (وليس الجيلانى) الذي عاش في "كيليانواله" من مضافات كوجرانواله بباكستان ولا بد أنه كان حياً قبل ١٠٥٠هـ الموافق ١٦٤١م".(٢)

وقد ذكر الشيخ محمد عبد القدوس في مقال له طبع في مجلة الكلية الشرقية أن الشيخ أحمد السرهندى المجدد للألف الثانى رحمه الله تعالى كان قد أرسل رسالة إلى الشيخ الحاج محمد اللاهورى حينما نعى إليه بوفاة الشيخ جمال الجنابى وكتب فيها:

"فوت مغفرت پناهى ميان شيخ جمال جميع اهل اسلام را باعث حزن وتفرقه است، مخدوم زاده هائى ايشان را از جانب فقير عزا نموده فاتحه خوانند، والسلام".

(إن وفاة الشيخ جمال المغفور له سبب الحزن والألم لجميع أهل الإسلام، وعليك أن تعزى نيابة عنى أبناءه وتقرأ عليه الفاتحة)

وإذا كانت الإشارة في هذه العبارة إلى شيخنا جمال الجنابى- والغالب في ظننا أنها هى كذلك- فالظاهر أن الشيخ جمال الجنابى كان صاحب منزلة مرموقة بين العلماء والصالحين في عصره.(٣)

وقد وردت نبذة عن حياة الشيخ جمال وشقيقه الشيخ جلال ومؤلفاتهما في كتاب "تاريخ آداب مسلمى باكستان والهند" وهي:

---

(١) فهرس مخطوطات مكتبة ديال سنغ ٢٢٩/٣.

(٢) فهرس مخطوطات جنج بخش ٦٩٨/٣.

(٣) مجلة الكلية الشرقية، مارس ١٩٧٣م.

"كان الشيخ جمال بن نصير الجنابى والشيخ جلال بن نصير الجنابى أخوين، وكانا يسكنان في قرية اسمها "كيليانواله" الواقعة في مقاطعة كوجرانواله من إقليم بنجاب، وكان كلاهما صاحب مؤلفات.... ونقول مع الأسف الشديد بأننا لم نعثر على تاريخ ميلادهما ووفاتهما".(١)

ولقد تصفحت معظم المراجع المعروفة التي تضم تراجم أعلام العلم والأدب في شبه القارة الهندية فلم أجد إلا الأسطر المذكورة أعلاه في بعض المراجع القديمة والحديثة إلا أن هذه المراجع قد دلتنى على أن الشيخ جمال الجنابى كان من سكان قرية تعرف باسم "كيليانواله" وأن هذه القرية لا تزال باقية على مر العصور وتوجد في مقاطعة كوجرانواله من إقليم بنجاب.

ومن ثم اشتقت إلى زيارة هذه القرية الخصبة التي احتضنت الرجال الموهوبين من أمثال الشيخ جمال الجنابى، ذلك الرجل المؤمن الذي عاش وهو يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وينفق حياته كلها في خدمة دينه ولغته العربية وآدابها.

وفي أغسطس سنة ١٩٨٦م، خرجت يوما، وأنا في إجازة، من لاهور حتى وصلت مدينة كوجرانواله، ومن هناك ركبت أتوبيسا آخر كان متجها نحو تلك القرية، وكان ذلك اليوم يوم جمعة، في وقت الظهر، وكانت الساعة تشير إلى الواحدة عندما وصلت قرية كيليانواله، فدخلت مسجد القرية الجامع لأصلى الجمعة، والتقيت بمدرس من المدرسين في مدرسة القرية الحكومية بعد أن انتهيت من فريضة الصلاة وحكيت له ما كنت أتمناه على وجه التفصيل، فتكرم المدرس وقادنى إلى رجل اسمه محمد طفيل ينتمى إلى أسرة الشيخ جمال الجنابى، وكان المدرس قد أخبرنى قبل ذلك عن ضريح الشيخ جمال الذي يوجد في تلك القرية على مقربة من المسجد الذي صلينا فيه صلاة الجمعة.

---

(١) تاريخ آداب مسلمى باكستان والهند ٢٩٣/٢، جامعة بنجاب بلاهور ١٩٧٢م.

فاتجهت إلى ضريح ذلك الرجل الذي يستحق أن يعدّ في زمرة المحبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أمثال الجامى والرومى، ذلك الرجل الذي أحب النغمات من أمثال البردة للإمام البوصيرى فتناولها شرحا باللغة العربية الجميلة الرائعة، وبذل مما كان يملكه من الموهبة وأجاد بما كان في قلبه من الحب وبكلمات جرت على لسانه كأنها اللآلى والجواهر وأتى بعجائب من المعانى والأفكار.

فزرت ضريحه فرأيت قبراً يضم شخصا أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذنى شئ من التقدير والإعجاب لصاحب القبر وبدا لى كأنه يبعث إلى من أنوار علمه الغزير، ذلك العلم الذي جعله أهلا لأن يضطلع لعمل جبار، فسلمت على صاحب القبر وقرأت له الفاتحة، وانصرفت عن الضريح وقلبى ملآن بالتقدير والإعجاب لذلك العالم النبيل والعلم الفذ الذي بعث حياً مرة أخرى في دنيانا هذه بعمل نبيل ألا وهو اهتمامه بشرح قصيدة البردة للبوصيرى، وكان معى كاميرا فصورت القرية ومسجدها وضريح الشيخ جمال وما جاوره من الأماكن والآثار ومازلت أحتفظ بهذه الصور في مكتبتى الخاصة.

أما لقائى بذلك الرجل من سلالة الشيخ جمال فكان لقاءاً مفيداً إلى حدّ ما، فهو الذي حكى لى عن الشيخ وتأثيره في نفوس المسلمين من أهل القرية وما جاورها من القرى، فعلمت أن الشيخ لايزال يحكم قلوب الناس حكماً روحيا، ولكنى- للأسف الشديد- لم أجد بين أهل القرية وبين من التقيت بهم من سلالة الشيخ من يزودنى بالمعلومات عن حياته وخدماته العلمية وآثاره غير الكرامات والمكاشفات الصوفية المعروفة بين الناس، وأخبرت أن الشيخ جمال كان على قدم راسخة في العلوم العربية الإسلامية، واعترافاً بخدماته الجليلة أقطع له ملك من ملوك المغول عقارات في قرية كيليانواله وهي تسمى "بضيعة جمال" حتى الآن.

مؤلفات الشيخ جمال:

بعد البحث الطويل المضنى، وبعد تصفح فهارس الكتب العربية مخطوطها ومطبوعها قد عثرت على أربعة مؤلفات للشيخ جمال بن نصير الجنابى وهي:

١- حاشية شرح الجامى:

إن الكافية لابن الحاجب كتاب مختصر وجامع في النحو، ومن أحسن شروحها "الفوائد الضيائية" المعروفة بشرح الجامى نسبة إلى اسم مؤلفها الملا عبد الرحمان الجامى، ولم يزل هذان الكتابان متداولين في المناهج الدراسية، وقد علق علماء الهند تعليقات كثيرة على الفوائد الضيائية، وكان الشيخ جمال قد علق عليه أيضا وتعليقه هذا مطبوع وكذلك توجد مخطوطاته في المكتبات المختلفة ففى مكتبة الكلية الإسلامية ببشاور توجد له نسختان خطيتان اللتان نسخت أولاهما في سنة ١٣٠٨هـ والثانية في سنة ١٣٤٥هـ وسنة تأليف هذا التعليق كما صرح به المؤلف هي ١٠١٩هـ الموافق ١٦١٠م. وذكره سركيس في معجم المطبوعات العربية قائلاً:

"حاشية الملا جمال على شرح الجامى على الكافية في النحو، فرغ منها سنة ١٠١٩هـ وبهامشها حاشية الملا عبد الرحمان وحاشية محرم آفندى على الجامى، الهند ١٣١٧هـ.(١)

وكذلك مخطوطة هذا التعليق موجودة في مكتبة ديال سنغ بلاهور، وقد كتبت عدة سطور عن الشيخ جمال وتعليقه في فهرس مخطوطات مكتبة ديال سنغ بلاهور وهي:

(١) معجم المطبوعات العربية والمعربة (ص١٧٨٩).

"حاشية الملا جمال على شرح الجامي"

المؤلف: الملا جمال بن نصير.

أوله: الحمد لله المرفوع شأنه، المنصوب برهانه.(١)

وإن الدكتور زبيد أحمد قد نسب هذا التعليق إلى الشيخ جمال خان الدهلوي،(٢) ولكن الشيخ جمال الدهلوي توفي في سنة ٩٨٤هـ(٣) وسنة تاليف هذا التعليق هي ١٠١٩هـ، فلذلك لا يمكن لنا أن ننسب هذا التعليق إلى الشيخ جمال الدهلوي وهو في الحقيقة من تصانيف الشيخ جمال بن نصير الغزنوي مولداً واللاهوري تعلما والجنابى مسكنا.

٢- شرح قصيدة بانت سعاد.(٤)

٣- شرح قصيدة البردة "بالفارسية" المسمى "بقامع البدعة".(٥)

٤- شرح قصيدة البردة "بالعربية" الذي نحن بصدد تحقيقه وإخراجه.

شرح الشيخ جمال لقصيدة البردة

وصف المخطوط:

أما مخطوط هذا الشرح فهو موجود في مكتبة جامعة بنجاب بلاهور تحت رقم (١١٨- ٧١- Ari) ولم يطبع بعد ويشتمل على (١٢٦) ورقة وحجمه ١٢×١٦.٥ سم وقد فرغ المؤلف من الشرح- كما صرح وكتب في نهاية

(١) فهرس مخطوطات مكتبة ديال سنغ ٢٢٩/٣.

(٢) مساهمة الهند في الآداب العربية (ص٣٢٩).

(٣) نزهة الخواطر ٩٣/٤.

(٤) مجلة الكلية الشرقية، أغسطس ونوفمبر ١٩٥٢م.

(٥) وقد رأيت نسخة خطية لهذا الشرح في مكتبة الأستاذ أحمد حسين بمدينة كجرات.

المخطوط تاريخ الخامس عشر من جمادى الثانية سنة تسع وتسعين وتسع مئة من الهجرة النبوية واسم الناسخ غير معلوم وخطه نستعليق عاديٌ مقروء بوضوح وقد تميزت ألفاظ الأبيات بأحرف أكبر وأوضح وهي مضبوطة بالشكل ولم يتعدد الخط في المخطوط بل هو واحد منذ البداية وحتى النهاية وتجدر الملاحظة أن المخطوط لا يحتوى على تعليقات في الهوامش ولا على اسم من تملك هذا المخطوط أو وصل إليه وكل هذا يشير إلى أن النسخة ليست قديمة جداً بل منقولة عن نسخة أخرى، وهذا المخطوط لا يخلو من خروم اخترقت العديد من صفحاته ولكن ليس بالقدر الذي يفسده.(١)

وكذلك عندما زرت المكتبة الشخصية للأستاذ احمد حسين الكجراتي وجدت فيها ثلاث نسخ من شرح قصيدة البردة للشيخ جمال الجنابى، أما النسختان منها فهى بالعربية وأما النسخة الثالثة فهى باللغة الفارسية واكتشفت أن الشرح الفارسى لا يقل مكانة من الشرح العربي، أما إحدى النسختين العربيتين فكانت قديمة بالية مليئة بالأخطاء اللغوية والكتابية ولكن النسخة الثانية كانت جيدة وقد ذكرتها بالهوامش ورمزت لها (ب) وقارنت بينها وبين نسخة جامعة بنجاب التي ذكرتُها بالهوامش بنسخة الأصل.

وتوجد نسختان من هذا المخطوط في مكتبة الكلية الإسلامية ببشاور أولاهما نسخة كتبت في سنة ١١٢١هـ وثانيتهما كتبت في سنة ١١٤٥هـ ومزية النسخة التي كتبت في سنة ١١٤٥هـ هى أن المؤلف قد درج على هوامشها بعض عبارات من شرحه الفارسى.

(١) فهرس مخطوطات جامعة بنجاب (ص ٣٤٨).

مصادره:

أما المصادر التي جاء ذكرها في الشرح وعول عليها المؤلف فهي كما يلي:

(١) أنوار التنزيل: لناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوى المتوفى ٦٨٥هـ.

(٢) تاج العروس: لأبى الفيض محمد مرتضى الواسطى الزبيدى المتوفى ١٣٠٥هـ.

(٣) شرح الشافية: لنجم الأئمة محمد بن الحسن الاستر آبادى المتوفى ٧١٣هـ.

(٤) شرح الكافية: للمؤلف نفسه.

(٥) شواهد النبوة: لنور الدين عبد الرحمان الجامى المتوفى ٨٨٥هـ.

(٦) الصحاح: لأبى نصر اسماعيل بن حماد الجوهرى المتوفى ١٠٠٥م.

(٧) الفوائد الضيائية: لنور الدين عبد الرحمان الجامى المتوفى ٨٨٥هـ.

(٨) الكشاف: لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى المتوفى ٥٣٨هـ.

(٩) مدارك التنزيل: لأبى البركات محمود النسفى المتوفى ٦٨٦هـ.

(١٠) مشكاة المصابيح: لولى الدين محمد بن عبد الله الخطيب التبريزى المتوفى ٧٤٣هـ.

قيمة الشرح وميزاته:

أما هذا الشرح الذي ألفه شيحنا ومولانا جمال بن نصير الجنابى والذي حققته وعلقت عليه وقدمته إلى قسم اللغة العربية بجامعة بنجاب لنيل درجة الماجستير خلال الدورة التعليمية لسنة ١٩٨٥م وتحت إشراف أستاذى المحقق المدقق وملاذى الأفخم الدكتور ظهور أحمد أظهر المحترم، عميد كلية الدراسات

الإسلامية والشرقية ورئيس قسم اللغة العربية لجامعة بنجاب، فهو شرح نادر شامل جامع للكمالات اللفظية والمعنوية، حافل بالفوائد العلمية ومتزود بالثروات الفنية واللغوية ومملوء بنكات أنيقة وعامر بمعلومات بديعة كما أنه شرح يستحق التقدير والإعجاب والمكانة المرموقة العالية بين شروح البردة الأخرى، أما منهج المؤلف وأسلوبه في الشرح فقد سلك فيه مسلك الاعتدال بين الإيجاز والإطناب وأعطى كل موضع وموضوع حقه، وفي الحقيقة أسفر عن وجوه مخدرات القصيدة النقاب وأبرز مكنوناتها من وراء الحجاب وقد أدى مهمة الشرح والتعليق والوضوح والبيان بشكل أحسن وصاغ أفكاره وأبحاثه في قالب أجمل.

يبدأ هذا الشرح بعبارة تالية: "الحمد لمرسل المرسلين، والصلاة على قائد الغر المحجلين، وآله وأصحابه المهديين الهادين... وبعد، لما كانت القصيدة الميمونة المباركة في مدح سيد المرسلين، حبيب إله العالمين، أكرم الأولين والآخرين، شفيع المذنبين من المؤمنين، إمام الأنبياء وشفيعهم يوم الدين، افتتحها الناظم قدس الله سرّه بذكر ابتلائه بالعشق" الخ.

فنرى في هذه العبارة أن الشيخ قد بدأ بشرح البيتَ الأول من القصيدة بعد ذكر الحمد والصلاة مباشرة ولم يذكر سبب التأليف وغيره، وينتهي الشرح بهذه العبارة: "قد استراح من كدّ الإنتهاض بمسودة هذا الشرح العبد جمال الجنابي، وفقه الله سبحانه وتعالى لتخليص النية عن شوب الأغراض، وجعله فارغا عن مطالبة الأعواض، قبيل ظهر، يوم الثلاثاء، الخامس عشر من جمادي الآخرة المنتظم في سلك سنة تسع وتسعين وتسعمائة" وقد اتضح من هذه العبارة أن الشرح ألف في جمادي الآخرة سنة ٩٩٩هـ وكذلك ثبت منها أن الشارح رحمه الله كان يضيف إلى اسمه لقبه "الجنابي".

والحقيقة أن الشيخ جمال الجنابي ليس من أهل اللغة العربية ولم يتحقق لدينا ما يؤكد لنا أن الشيخ كان يوما على صلة بالناطقين بالضاد، أو زار بلدهم واستفاد من مناهل العربية الأصلية والمراكز الثقافية في البلاد العربية، رغم هذا كله فإن أسلوب الشيخ جمال لا ينقصه جمال فنى و روعة أدبية، إن القارئ لشرحه هذا يجد الكثير من المواضع التي تدل على مكانة الشيخ في مجال اللغة العربية وآدابها وعلو كعبه فيها، إن هذه الشواهد الكثيرة المبعثرة في صفحات الشرح تدل على أن الشيخ كان ضليعاً في علوم اللغة وآدابها من النحو والصرف والقواميس واللهجات العربية المختلفة كما أنه كان على قدم راسخة في العلوم المتداولة في عصره من التفسير والسيرة النبوية والتاريخ والفقه والكلام والفلسفة والمنطق وغريب اللغة وعلوم القرآن بالإضافة إلى استيعابه للمفردات اللغوية ومدلولاتها ومعانيها.

وليس لدينا ما يؤكد لنا أن الشيخ جمال الجنابى كان قد أتيح له أن يروى ظمأه من حياض العربية مباشرة ويستفيد من مراكزها الثقافية وما اكثرها، ويتعلم لغتها من أهلها الا أن أسلوب الشيخ الأدبي، وما أجمله، وتعبيراته الجميلة، وما أروعها، كلها تدل على أنه كان علي صلة طيبة وثيقة بلغة الناطقين بالضاد، وأمثلة ذلك كثيرة فمنها قوله (ص ١٦٠):

(فما تُعدُّ) تفصيلا، (ولا تُحصى) إجمالاً

وقوله (ص ٦٩):

يقال: زهد في الأمر؛ إذا أعرض عنه، وزهد عن الأمر؛ إذا مال إليه، ورغب بالعكس".

وعبارة أخرى من شرح الشيخ جمال الجنابي جديرة بالملاحظة، فهو يكتب في شرح البيت ص ٢١١:

يا نفس لا تقنطي من زلة عظمت
إن الكبائـر في الغفـران كاللمم

"لا ينبغى أن يقنط أحد بكثرة المعاصي والذنوب الكبائر فإنها في جوار المغفرة كالصغائر، لكن لا ينبغي أن يبني الأمر على ذلك فيدخل في المعاصي ويصرّ عليها، فإن ذلك حماقة يبرزها الشيطان في معرض الدين، قال صلى الله عليه وسلم: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله" وهو تمن بحت، وليس برجاء، بل هو لمة شيطانية، قال الله تعالى: "لا يغرنكم بالله الغرور"...

هذا ومن الأعجب ما وقع لي من هذه الهواجس أني نظرت في قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحب العبد المتحن التواب" وقوله: "ما أصرّ من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة" وقوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله تعالى: "من علم أنّي ذو قدرة على مغفرة الذنوب، غفرت له وإن لم يستغفر، ما لم يشرك بي شيئا، وغير ذلك من الأحاديث، فوقع في روعي أن اقترف ذنباً، ثم أتوب، ثم هكذا وهكذا وليس على بذلك شيء بل أصير محبوب الله تعالى، وليس الإصرار في الإعادة سبعين مرة مع الإستغفار، فكيف إن أفعل مرة مع الإستغفار، واستغفر مراراً، وقد علمت يقيناً أنّ الله تعالى قادر على المغفرة، والنفس فيما بين ذلك طامحة راغبة، والشيطان مغر مفتن، فخرجت إلى بعض الصحارى ومعي تفسير القاضي، وقد كنت مشغولاً في تلك الأيام بقراءته عند الأستاذ العارف بالله، الزاهد في الدنيا، والراغب إلى العقبى، مولانا سعد الله قدس سره، فبينا أنا في هذه الخطرة إذ فتحته، فوقع نظري على قوله تعالى: "ولا يغرنكم بالله الغرور" (أي الشيطان بأن يمنيكم التوبة والمغفرة، فيجسركم على المعاصي) فقلت: سبحان الله! هذه خطرة نفسانية، ولمة شيطانية، فذهبت

بعون الله تعالى وحسن توفيقه عني بالكلية، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له".

فهذه العبارة ترشدنا إلى أمور آتية:

١- إنّ الشارح كان على قدم راسخة ومكانة سامية في مجال اللغة العربية، وكان كاتبا ذا أسلوب رائع جميل، وهذا النثر وإن كان ليس فنيا ، فإنه كاف واف لأداء المعاني المطلوبة، ومنزه عن الإيجاز المخل والإطناب الممل والتعقيد اللفظي والمعنوي.

٢- إن الشارح كان مولعاً بمجالس العلم والأدب وسماع الأحاديث النبوية مذ عهد حياته الطلابية.

٣- إن الشارح كان يعيش عيشة طيبة الأخلاق، بعيدة عن السيئات والمعاصي، مصئونة من الآثام والكبائر منذ عصر تلمذه وتعلمه.

٤- إن الشارح كان قد تتلمذ على يد الشيخ سعد الله بن ابراهيم بن فتح الله الملتاني ثم اللاهوري المتوفي سنة ٩٩٠هـ.

إن الشيخ جمال الجنابي رحمه الله تعالى قد اهتم في شرحه ببيان التراكيب النحوية الواردة في أبيات البردة وتصحيحها في ضوء كتب النحو وأقوال النحاة، وأحيانا نراه يرد على توجيهات بعض المتقدمين من الشراح، ولكنه لا يذكر مصدره ومرجعه عندما يرد على أي قول أو عبارة، فعلى سبيل المثال يقول في شرح هذا البيت (ص ٤٤):

من لي برد جماح من غوايتها
كما يـرد جماح الخيل باللجم

(من) يتكفل (لي برد) بدفع (جماح) كرماح، مصدر وهو "الشماس" ناش (من غوايتها) ضلالتها (كما يرد جماح) شماس (الخيل باللجم) أى من

يتكفل لى بدفع شماس واحد ناش من ضلالتها وجهالتها ردا مثل ردّ شماس الخيل باللجم، والقول: بأن الجماح جمع جموح بالفتح، وله معنيان: الفرس الشموس الأبي، والنفس المرتكبة على هواها، والمراد في المصراع الأول الثاني، وفي الثاني الأول، إخلال بالنظم وجزالة المعنى، فتدبر!

ويتضح لنا من هذه العبارة أن الشارح قد سرد أولا تركيب الكلمات، ثم تناول المعاني، ثم رد على قول بعض الشارحين ولكن لم يذكر اسمه.

وكذلك إن الشيخ جمال كان على مكانة رفيعة وقدم راسخة في علوم الفلسفة والمنطق إلى جانب العلوم اللغوية من فقه اللغة والبلاغة والبيان والبديع، ويدل على ذلك ما يستعمله الشيخ من المصطلحات الفلسفية والمنطقية والبلاغية التي امتاز بها عصره، ومن أمثلة ذلك قوله في الرد على دعوى الحلول عند النصارى في البيت الآتي (ص ٨٩):

دع ما ادعته النصـارى في نبيهم
واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

"ونقول قولاً مطلقاً إنّ قول القائل: إنّ شيئاً صار شيئاً آخر، محال على الإطلاق لأنا نقول: إذا عقل زيد وحده وعمرو وحده، ثم قيل: إن زيداً صار عمروا واتحد به، فلا يخلو عند الإتحاد إما أن يكون كلاهما موجودين أو معدومين أو أحدهما موجوداً والآخر معدوماً، ولا يمكن قسم وراء هذه الأربع، فإن كانا موجودين لم يصر أحدهما عين الآخر بل عين كل واحد منهما موجود وإنما يتحد مكانهما، وذلك لا يوجب الإتحاد، فإن العلم والإرادة والقدرة قد تجتمع في ذات واحدة ولا يتباين محالها، فلا يكون القدرة هي العلم، وإن كانا معدومين فما اتحدا بل عدما، ولعل الحادث شيء ثالث، وإن كان أحدهما موجوداً، والآخر معدوماً فلا اتحاد، إذ لا يتحد موجود بمعدوم، فالاتحاد بين الشيئين مطلقاً محال".

وكذلك قوله في شرح البيت التالي (ص ٧٧):

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته

لكل هـــول من الأهوال مقتحم

"والحصر المستفاد من التعريف حقيقي لأن جنس الحبيب الذي يتوقع شفاعته لجميع الأهوال مخصوص به صلى الله عليه وسلم وإن كان لغيره رتبة الشفاعة في البعض أو جنس الحبيب الذي يتوقع شفاعته الكائنة قبل كل أحد لقوله صلى الله عليه وسلم:

"أنا أول شافع" أو المقبولة قبل كل أحد لقوله صلى الله عليه وسلم: "أنا أول مشفع" وقوله في شرح البيت التالي (ص ١٠٤):

فإنه شمس فضـــل هم كواكبها

يظهرن أنوارها للناس في الظلم

"(كواكبها) أي الشمس وكوكب الشمس الذي يستفيد منها النور، وما هو إلا القمر، فجمعه إما لأن اختلاف الأحوال يوجب تعدداً ما، في الذات وإما لأن المشبه به متعدد".

ومما يمتاز به أسلوب الشيخ جمال في شرحه هذا هو السجع والقافية خلال شرحه للمعاني والمفردات اللغوية وشرحه هذا مليئ بأمثلة ذلك، فمنها قوله في شرح هذا البيت(ص ٦٢):

ولا تـــزودت قبل الموت نافلــة

ولم أصل سوى فرض ولم أصم

"(ولا تزودت) أي ما اتخذت زاداً لسفر بعيد، ليس فيه رفيق مد ونصير، ولا حميم مشفق وظهير، بل كل نفس بما كسبت رهينة وأسير".

وكذلك قوله في شرح البيت التالي (ص ٨٠):

دعا إلى الله فالمستمسكون به

مستمسكون بحبل غير منفصم

"وناهيك حجة على أفضلية هذا الدين أنه عم الإنس والجان، ونسخ جميع الشرائع والأديان، وبقى إلى يوم النشور والميزان".

وخلاصة القول أن عالما نبيلا وعلما فذا ومعلما مدققا وكاتبا كبيرا، هو الشيخ جمال بن نصير الجنابى قلما يجود بمثله الزمان، الذي أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحب لغته العربية يستحق أن يعد في زمرة المحبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، إنه أحب النغمات من أمثال قصيدة البردة فتناولها شرحاً باللغة العربية الجميلة الرائعة وبذل قصارى جهده وكفاءته وأجاد بما كان قلبه معمورا من الحب وبكلمات رائعة جرت على لسانه كأنها الجواهر المنتثرة واللآلى المنثورة وأتى بعجائب من المعاني، وإنه وإن رحل عن هذه الدار ولكنه لا يزال صاحب مكانة وتأثير في قلوب الناس في دنيانا هذه بعمله النبيل، ألا وهو حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وحبه لمن مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم واهتمامه بأروع ما قيل في مدح سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم من القصائد العربية، ألا وهي قصيدة البردة للبوصيرى رحمه الله تعالى!.

لاهور ٢٦ يونيو ١٩٩٥م

الدكتور خالق داد ملك

محاضر بقسم اللغة العربية

جامعة بنجاب لاهور

متن الكتاب

ربـ يسر ولا تعسر وتمم بالخير وبه أستعين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لمرسل المرسلين والصلوة على قائد الغر المحجلين(١) وآله وأصحابه المهديين الهادين... وبعد...

لما(٢) كانت القصيدة الميمونة المباركة في مدح سيد المرسلين، حبيب إله العالمين، أكرم الأولين والآخرين، شفيع المذنبين من المؤمنين، إمام الأنبياء وشفيعهم يوم الدين، افتتحها الناظم قدس الله سرّه بذكر ابتلائه بالعشق وكونه أسيراً للنفس الأمّارة بالسوء، ثم ندامته منه وتوبته عنه إيذاناً وإشعاراً بأن من تصدى لبيان أحواله الشريفة وأوضاعه اللطيفة ومناقبه الجميلة ومناصبه الجليلة وأخلاقه الحميدة وصفاته الكريمة أو استماعها(٣) ينبغى أن يكون شاغلاً عن الشواغل والعلائق، غير مشغول بحديث النفس والهواجس والعوائق، حاضراً

---

(١) ومكتوب هنا بهامش "ب": يقال: فرس محجل، إذا كان يداه ورجلاه أبيض، التحجيل، غسل سائر الأعضاء في الوضوء بالكمالة أى بالسنن والآداب وإنما سمى غسل سائر الأعضاء تحجيلاً لأنها تكون في الآخرة منورة مضيئة.

(٢) كذا في الأصل، والمقام يقتضى أن يقول "فلما".

(٣) عطف على قوله: "لمن تصدى لبيان".

بظاهره وباطنه، سامعاً بقلبه(١) وسرّه(٢) وخفيّه، مفتوناً(٣) عن كل شئ به، مقبلاً عليه، مصغياً إليه، محباً له، ملتذاً به لذةً لا يفوقه(٤) لذة، ولن يتحقق ذلك إلا(٥) وأن يكون صلى الله عليه وسلم أحب إليه من ولده ووالده والناس جميعاً،(٦) حتى يجد جميع الأشغال دون حديثه عليه أكمل التحيات وأفضل الصلوات، بطالةً،(٧) فيرجى له فوائد الإنباء وعوائد الإصغاء، إذ مجرد قرع الأسماع مع كون القلب لاهياً لايثمر شيئاً بل لا يخلو عن سوء أدب، فقال مخاطباً للنفس، منزلاً لها منزلة شخص يُبتلى به ويخفى حاله، مستفهماً طالباً للحكم(٨) بالسببيّة على أحد الأمرين بعينه بعد العلم بثبوتها لأحدهما على ماهو مقتضى "أم" المتصلة المعادلة للهمزة.

ولما كانت المغايرة بين التصديقين بالخصوصية فقد تجوّز القوم فقالوا:

---

(١) سقطت من الأصل والتكملة من "ب".

(٢) ومكتوب هنا بهامش "ب": اعلم أن في الصدر قلباً وفي القلب فؤاداً وفي الفؤاد سراً والسرّ هو محل معرفة الله تعالى.

(٣) كذا الأصل والأجود "من".

(٤) في الأصل مخروم والتكملة من "ب".

(٥) سقطت من الأصل والتكملة من "ب".

(٦) إشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين، أخرجه البخارى عن أنس في "صحيحه" ٩/١ باب حب الرسول(ص) من الايمان ومسلم في كتاب الايمان ٤٩/١ والدارمى: ٣٦٨ باب لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه وابن ماجه في باب الإيمان ٢٦/١ والنسائى ٢٠٤/٢ في كتاب الايمان.

(٧) وهنا مكتوب بين السطرين في "ب": مفعول ثان.

(٨) سقطت من الأصل، والتكملة من "ب".

إنها لطلب التصور، هكذا حقق المحقق(١) الشريف قدس سره، فعلى هذا لايرد على قوله في: مَن قام، أنه جملة اسمية صورةً فعليةً حقيقةً، إذ أصله أقام زيد أم قام عمرو.

وما أورده بعض الفضلاء أنه لوكان كذلك لكان الشك في الفعل إذ المسئول عنه ما يلى الهمزة وليس كذلك، فالسؤال اسمية صورةً وحقيقةً.

نعم يرد عليه قدس سره أحد الأمرين إما عدم اختصاص مَنْ لطلب(٢) التصور مع أنه مختص به كما صرح به قدس سره، وإما لزوم كون أم المتصلة لطلب التصور حقيقة مع أنه ليس كذلك كما حققه قدس سره، والمعادلة هاهنا باعتبار أنَّ انِ المصدرية مقدرة بعد العاطف إذ المعطوف عليه اسم على أنها ليست بواجبة بل قال الشيخ الرضى: يجوز المخالفة بين ما ولَيا هما مثل: ألقيت زيداً أم عمراً، جوازاً حسنا(٣) كما قال سيبويه انتهى.(٤)

(١)

أَمِـنْ تَـذَكُّرِ جِيْـرَانٍ بِـذِى سَلَمٍ
مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

---

(١) ومكتوب هنا بهامش:ب: وهو ما قال القاضي غضنفر بن جعفر الحسينى أن الجار والمجرور في قوله: أمن تذكر، متعلق بمزجت، ووجه تقديم الجار والمجرور على المتعلق، أن الهمزة تقتضى الصدارة فلو قدم المتعلق يكون السوال عن الامتزاج وهو أمر محسوس لاحاجة للاستفهام عنه وأماسببه فهو أمر غير معلوم محتاج إلى الاستفهام فلذا أدخل حرف الاستفهام على الجار والمجرور الذى يتضمن المسبب وهو التذكر، كذا فهم من شرح القاضي غضنفر.

(٢) في الأصل "بطلب" وهو خطأ والتصويب من "ب".

(٣) في الأصل "احسانا" والتصويب من شرح الكافية.

(٤) راجع شرح الكافية للرضى الاستراآبادى: ٣١٥/٢.

(أَمِنْ تَذَكُّرِ): إما من الذكر(١) بالضم وهو ما يكون بالقلب أو بالكسر وهو مايكون باللسان، قيل فيه أن هذه الحالة الصعبة لاتنشأ من مجرد الذكر باللسان، وفيه أن العاشق المستغرق بشراشره في المحبوب لا يكون(٢) لسانه ورآء القلب، بل لسانه ترجمانه، وتقديم المعمول للاهتمام بشأنه، والقول بأنه للتخصيص ليس بشئ.

(جِيْرَانٍ): كرام للمحبوب ساكنين. (بِذِيْ سَلَمٍ): أي في موضع ذي سلم(٣) وهو بفتح اللام وكسرها؛ شجر ذو شوك. (مَزَجْتَ) خلطت. (دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ): من قبيل قولهم كتبته(٤) بيدي أو ذكر المقلة إشعاراً(٥)بأنه مقلة غير متعارف لذهاب الأهداب والجفون وهي شحمة(٦) العين التي يجتمع(٧) فيها السواد والبياض.

يعنى أن سبب هذا البكآء البالغ أقصى الغاية أهو تذكر جيران المحبوب أم تذكره؟ لكن لا يذهب عليك أن الجيران متصورون بعنوان أنهم جيران المحبوب، فيكون مذكراً له كالهبوب والإيماض فاللائق التسوية بين الكل، ويجوز أن يكون المراد بالجيران؛ المحبوب، عبّر به عنه تعظيماً وإجلالاً كما يُعبّر عن المعظم بالجناب والحضرة والمجلس فيقال: السلام على حضرته المباركة ومجلسه الشريف، والمراد السلام عليه.

---

(١) انظر: تاج العروس ٢٢٦/٣ وقاموس الفيروز آبادي ٢٦٦/١ تحت المادة "ذكر" والمفردات في غريب القرآن: ١٧٩ "كتاب الذال".

(٢) وفي ب: لا يكون له لسان.

(٣) راجع معجم البلدان ٣٤٠/٣ تحت المادة "سلم".

(٤) وفي "ب": "كتبته".

(٥) وفي ب: إشعار.

(٦) في الأصل "اشحمة" وهو تحريف والصواب ما اثبت.

(٧) في الأصل "فيه" وهو خطأ والتصويب من "ب".

والمعنى أن السبب هل هو تذكره بلا مذكر ومنبّه أم به؟ ويحتمل أن يكون المعنى: أتذكرك جيران المحبوب وتصورهم بعنوانٍ أنهم مشرفون بصحبته ومتمتعون بلقائه أو بمجرد أنهم جيران له أوقعك في هذا كما هو مقتضى غيرة العشاق كما قيل بيت:

غيرتم با تو چنان است كه گر دست دهد
نگذارم كه درآئى بخيال دگران*

أم هبوب الريح بسبب أنها هبت عليه وشرفت بمواصلته أو على منزله أو بمجرد أنها هبت من جانبه أو إيماض البرق بسبب أنه أومض عليه أو على منزله أو بمجرد أنه أومض من جانبه.

(٢)

أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ
وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ اضَمِ

(أَمْ هَبَّتِ) مرت (الرِّيْحُ) قيل:المعرف للخير والمنكر للشر كما ورد: اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً(١) وقيل بالإضافة يكون للخير واللام تغنى غنائها كما هو رأى البصريين أو عوض عن المضاف إليه كما هو رأى الكوفيين، وقيل: يكون للكل بالقرينة(٢) (مِنْ تِلْقَاءِ) بكسر التاء جانب (كَاظِمَةٍ)(٣) موضع

---

(١) روى هذا الحديث عن ابن عباس، انظر: شرح السنة ٣٩٣/٤ باب الخوف من الريح وابو داؤد: ٢١٠/٠. باب ماذا يقول إذا هاجت الريح والترمذى في الدعوات ١٨٢/٢ ومسند الشافعي: ٨١.

(٢) راجع التاج ١٤٨/١ تحت المادة "روح".

(٣) راجع معجم البلدان: ٤٣١/٤ تحت المادة "كظم".

* ومعنى البيت: إنى أغار بالنسبة إليك حتى لو استطعت أن لا أسمع لأي قلب أو خيال يتصورك في نفسه لفعلت ذلك.

المحبوب، فتذكرته فصرت والهاً بمجرد أنها جاءت من جانبه أو كما أنها تثمر طراوة الأثمار والأشجار والأشباح كذلك المحبوب(١) يوجب نضارة النفوس والقلوب والأرواح أو كما أن هبوبها بُشرى فيضان المطر للانسان كذلك مرور المحبوب على المشتاقين مُبشر بفنون الأنعام وصنوف الإحسان أو أنها جاءت بريحه أو أنها بريد العاشقين المشتاقين أو غيرةً عليها مخافة أن زارت تلك المنازل والمحافل كيف والعشاق غيورون على أنفسهم كما قيل بيت:

ترا بديــده كــشم ليك غيرتم بكُشد

كه باتو مردمك ديده همنشين گردد*

(وأَوْمَضَ) لمع (البَرْقُ) ما يلمع من السحاب من "بَرَقَ الشئ بريقاً" (فيْ) الليلة (الظَّلْماءِ) المظلمة بفتح الأول وسكون الثاني بمعنى الظلمة وربّما يوصف بها فيقال: ليلة ظلماء أى مظلمة كذا ذكره الجوهرى.(٢)

(مِنْ اضَمٍ) كعنَبٍ، جبل(٣) فصار ذلك موجباً لبكائك لأنه مذكر(٤) عن المحبوب إذ كما يضئ بلمعانه الليلة الدجي كذلك المحبوب يشرق بجماله بيت القلب المظلم بظلمة الهجران.

أو كما أنه مقدمة المطر الذي يُحيى به الأرض الميتة فتتزيّن بزوج بهيج كذلك المعشوق منبع ماء الوصل الذي يحيى به أراضي القلوب الميتة بيبوسة الهجر فتنبت نبات السرور والقرور.

أو كما أنه يجيئ بطيئاً ويذهب سريعاً كذلك المطلوب أو كما أن فيه خوفاً وطمعاً كذلك فيه أو كما أنه نار تحرق وتوجب المطر كذلك المحبوب نور يحرق ماسواه من العاشق ويوجب ماء الوصل.فسبحان من جعل النار سبباً للماء.

(١) كذا عبارة الأصل، وعبارة "ب": كذلك المحبوبية تثمر طراوة القلوب والأبدان والأرواح.

(٢) الصحاح: ١٩٧٨/٥ تحت المادة "ظلم".

(٣) راجع معجم البلدان: ٢١٥/١ تحت المادة "اضم".

(٤) سقطت في الأصل والتكملة من ب.

* ومعناه: أنت تحتل مكانة في عيني إلا أن غيرتي تكاد تقتلني عندما أتصور أنك سوف تجالس بين إنسان العين.

أو رأيت بإيماضه الجبل الذي هو منزل المحبوب فذهبت نفسك حسرةً عليه فإن لم يكن سبب بكائك ما ذكر.

(٣)

فَمَا لِعَيْنَيْكَ اِنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَتَا

وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ

(فَمَا) أى شئ عرض (لِعَيْنَيْكَ) الهطالتين (اِنْ قُلْتَ) لهما ولو تبكيتًا للخصم(١) (اكْفُفَا) امتنعا عن البكاء.

والكف(٢) جاء لازماً ومتعدياً وترك الإدغام مع الوجوب للضرورة أو لأنه لم يرض أن يأمر بما(٣) في صورة الخبر استنكاراً للوقوع أو لأنه كلام العاشق المستغرق بشراشره في المحبوب، الفانى عمن(٤) سواه بل عن نفسه وذاته فضلاً عن اللفظ وكيفياته أو لأنه يُنبئ عن المواصلة والمجانسة والقرب وأنّى له ذلك، فَبتركه أشْعَرَ بأنه بعد في مقام التفرقة والتباين والبعد.

أو لأنه إدخال أحد الحرفين في الآخر وجعله محواً من البين بحيث يُرى واحد فأشار إلى أنه ما وصل إلى أن يفنى ذاته في ذات المحبوب وصفاته في صفاته وأفعاله في أفعاله فيتجلى له في مصادره وموارده وحركاته وسكناته حتى صاركأنه(٥) هو كما قيل:

أنا مــن أهــوى ومــن أهــوى أنا(٦)

(١) وفي ب: لخصمهما.

(٢) انظر: الصحاح: ٤٢٥/٨ تحت المادة "كف".

(٣) وفي ب: بها.

(٤) وفي ب: عمّا.

(٥) ومكتوب هنا بهامش الأصل: أى العاشق هو المحبوب.

(٦) هذا صدر البيت وعجزه "فإذا أبصرتنى أبصرتنا" انظر: كتاب اللمع: ٤٣٨.

أو لأنه أومأ إلى أنه ترك طلب المواصلة والقرب إذ فيه نوع إرادة وتقيد بحظوظ نفسه وذاته وهو لا يليق بشأن العاشق كما قيل:

فراق ووصل چه باشد رضائى دوست طلب
كه حيف باشد از و غير او تمنائى(١)

وسلّم لأمره وانقاد لإرادته كما هو مذهبهم وإليه أشار من قال:

اريد وصاله ويريد هجرى
فأترك ما أريد لما يريد(٢)

أو لأنه أومأ بترك الواجب إلى أنه ترك الواجب الذي هو إخفاء سرّ المحبوب وحفظه عن الإفشاء ومقدماته كالبكاء واشتعال القلب وغير ذلك وهو من أجل المقامات عند العشاق.

ومن أعجب من ذلك ما نقل عن الأصمعي(٣) أنه قال رأيت مكتوباً على حجر في البادية:

أيا معشر الخلان(٤) بالله أخبروا
إذا حلّ عشق بالفتى كيف يصنع

فكتبت تحته:

يوارى هواه ثم يكتم سرّه
ويصبر في كل الأمور ويخضع

---

(١) البيت للعارف شمس الدين محمد حافظ الشيرازي، انظر: ديوانه: ٣٨٦ وترجمة البيت: إن الفراق والوصل لا يهمنا وإنما يهمنا أن نبلغ من رضاء الصديق وذلك لأنك لو تمنيت منه شيئا غير ذلك يكون ذلك مما يؤسف ويؤلم.

(٢) هذا البيت نقله الإمام محمد الغزالي في كتابه "إحياء العلوم" ٣٣١/٤، كتاب المحبة والشوق.

(٣) الأصمعى هو عبد الملك بن قريب بن على بن أصمع الباهلى راوية العرب وأحدأئمة العلم باللغة والشعر توفى سنة ٢١٦هـ انظر: نزهة الألباء: ٧٤ والفهرست: ٨٢ ووفيات الأعيان: ٣٤٤/٢.

(٤) وتقول "ب": "العشاق".

فرأيت مكتوباً تحته:

وكيف يصبر والهوى قاتل الفتى
وفي كل حين روحه يتقطع

فكتبت تحته:

إذا لم يطق صبراً وكتمان سرّه
فليس له شئ من(١) الموت أنفع

فرأيت شاباً حسن الوجه واضعاً رأسه على الحجر و مات.(٢)

(همَتا):(٣) بقيتا على ما كانتا عليه من الهمى والسيلان لعدم قبول القول أو لعدم السماع بالاشتغال بالبكاء، أو سالتا سيلاناً أضعاف ما كانتا عليه قبلُ، استثقالاً للقول أو حزناً على اطلاع الغير أو خوفاً من الشركة وهي شرك الرّدَى للعاشقين كما قيل:

از رشك آنكه درغم تو گردد شريك
مى ميرم وغمِ تو نگويم بمحرمى*

---

(١) وتقول ب: "سوى".

(٢) وقد ساق الأديب أحمد بن محمد الأنصارى اليمنى هذه الحكاية في "نفحة اليمن:٤٣" وزاد هذين البيتين:

سمعنا وأطعنا ثم متنا فبلغوا ... سلامى إلى من كان للوصل يمنع
هنيئاً لأرباب النعيم نعيمهم ... وللعاشق المسكين ما يتجرع

وكذا ذكره عمر بن احمد الخربوتى برواية الشبراخيتى في "عصيدة الشهده": ٢٦.

(٣) همتا ماض مثنى من همى يهمى هميانا بمعنى سالتا وضمير التثنية راجع إلى العينين وإسناده إلى العينين مجاز إذ العينان لا تسيلان بل يسيل منهما الماء، فإسناده إليهما من قبيل: سال الميزاب، راجع عصيدة الشهدة ص:١٢.

* معنى البيت: إننى أكاد أموت موتة الحزن عليك ولكننى لا أسرّ بذلك إلى أحد لأننى أحسد من يشاركنى في الحزن من أجلك

(وَمَا) أيّ شئى عرض (لِقَلْبِكَ) الواله المتحير المتدلّه (إنْ قُلْتَ) له ولو تبكيتا للمدّعى (استفق) كن ذا إفاقة (يَهِمِ) يبقى على الهَيَمَانِ والتحير لعدم قبول النصيحة أو عدم السماع أو يتحيّر تحيراً أضعاف ما كان عليه قبل، كراهةً للنصيحة أو غيرةً على اطلاع الغير وكل ذلك من أمارات(١) المحبة ودلائل العشق.

(٤)

أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الْحُبَّ مُنْكَتِمٌ
مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْــهُ وَمُضْطَرِمِ

(أَيَحْسَبُ): الاستفهام للتعجب من(٢) إنكاره (الصَّبُّ): العاشق الذي ليس زمام اختياره(٣) في اختياره (أَنَّ الْحُبَّ مُنْكَتِمٌ) انكتام الحب الذي شهد عليه شاهدان "عنه"(٤) دون أغياره (مَابَيْنَ) ظرف "منكتم" أى في وقت حصول دمع (مُنْسَجِمٍ) منصب انصاباً كثيراً (مِنْهُ) من الصب خلاف أطواره (وَ) في وقت وجود قلب (مُضْطَرِمٍ) منه محترق(٥) مشتعل بنار المحبة ولهب التوقان بحيث لايشغله شأن، عن هذا الشأن وهذا من مخائل العشق ودلائل الذّوبان، إنما قدم الانسجام على الاضطرام وهو حرارة القلب من نار المحبة مع أنه مسبّب عنه كما قال الخسرو:

(١) كذا في الأصل وفي "ب": "آثار".

(٢) وردت في ب: عن.

(٣) كذا في الأصل وفي ب: "الاختيار".

(٤) سقطت من الأصل والتكملة من "ب".

(٥) في الأصل "محرق" والصواب ما اثبت.

خسرو زسوز گريه نيارد نگاهداشت
آرى سفال گرم بجوش آرد آب را
خونابه مى چكاندم از گريه سوز دل
خوش گريه ايست برسر آتش كباب را*

كأنه دليل على ظهوره كالسهر والهزال ورثاثة الهيئة بلاعلة وقلة، ثم أشار إلى دليل آخر ليفيد كثرة الأدلة زيادة الإيقان، فقال:

(٥)

لَوْلاَ الْهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ
وَلاَ أَرِقْتَ لِــذِكْرِ الْبَانِ وَالْعَلَمِ

(لَوْلاَ الْهَوَى): المحبة موجود فيك ياولهان (لَمْ تُرِقْ) من الإراقة وهو الصب (دَمْعاً) كثيراً متتابعاً جارياً من غير اختيارك (عَلَى طَلَلٍ) آثار بيوت مندرسة بمرور الزمان قدكان فيها مَن كنتَ في محبته سكران (وَلاَ أَرِقْتَ) بكسر الرآء، سهرت، معطوف على "لم ترق" (لِذِكْرِ) أى لأجل أو وقت ذكر أحد (الْبَانِ)(١) المذكر عن المحبوب شجر وهو يشبه قدّه به في طول القامة وحسن الهيئة وطيب الرائحة.

(وَالْعَلَمِ):(٢) اسم جبل فيه منزل محبوبه، لأنك تريق الدمع من غير اختيار على الأطلال والمنازل وتأرق بمجرد ذكر البان فَعُلِمَ أنك عاشق مُولَع.

ولما ثبت محبته الشديدة البالغة حدّ العشق بشهادة شهود عدول وهم

(١) راجع معجم البلدان: ٣٣٢/١ تحت المادة "بان".

(٢) معجم البلدان ١٤٧/٤ تحت المادة "علم".

* ترجمة البيتين: إنك لا تستطيع يا خسرو أن تسيطر على لوعة الحزن والبكاء. إلا أن إناءً ترابيا ساخنا يغلى الماء- فقد كنت أبوح بقطرات الدم من قلبى من لوعة البكاء، فياله من كباب، كيف يبكى على النار.

الدموع المخلوطة(١) بالدم والدمع عند الأمر بالكف والدمع على الطلل وهيمان القلب عند طلب الإفاقة واشتعاله والأرق بذكر البان والعلم، قال مستفهماً متعجباً:

(٦)

فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبّاً بَعْدَمَا شَهِدَتْ
بِهِ عَلَيْكَ عُدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ

(فَكَيْفَ تُنكِرُ حُبّاً): كاملاً بالغاً حدّ العشق، والمحبة؛ ميل النفس إلى الشئ لكمال فيه ثم إذا قوى ذلك الميل سمى عشقاً(٢) أى لا يليق بحالك الإنكار للحبّ (بَعْدَمَا) ما مصدرية (شَهِدَتْ به عَلَيْكَ عُدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ) الشهود الصادقون الثابتة عدالتهم عند قاضي العقل وسلطان الخيال(٣) وهم المذكورون قبلُ أو الدمع الناشئ من العين اليمنى والناشئ من اليسرى.

(والسَّقَمِ): أي المرض القلبي الذي هو خفقانه واضطرابه وتغير باطنه لحظة بعد لحظة الذي لا طبيب له إلا الحبيب كما قال:

لسعت حية الهوى كبدى
فلا طبيب له ولا راق(٤)

(١) في الأصل "المخلوط" وصوابه "المخلوطة".

(٢) راجع فقه اللغة للثعالبي ص: ١٧١.

(٣) كذا في الأصل وفي ب "الجنان".

(٤) في الأصل "باق" والصواب ما أثبت.

إلا الحبيب الذي شغفت به
فعنده رقيتى وترياقى(١)

فعلى هذا يجمع(٢) على حقيقة والقول بأنه تثنية بلفظ الجمع كقوله تعالى: صَغَتْ قُلُوبُكُمَا(٣) ليس بشئ.

(٧)

وَأَثْبَتَ الْوَجْدُ خَطَّى عَبْرَةٍ وَضَنًى
مِثْلَ الْبَهَارِ عَلَى خَدَّيْكَ وَالْعَنَمِ

(وَ) بعد ما (أَثْبَتَ الْوَجْدُ) حرارة العشق الذي هو بمنزلة الصكاك للقاضي (خَطَّى عَبْرَةٍ) كقطرة دمع الناشئين(٤) من العينين كائنين بمنزلة السجل (وَ) بعدما أثبت (ضَنًى) كَرَحىً، الهزال ورثاثة الهيئة وفقاع اللون الذي هو بمنزلة الخاتم للقاضي والمكتوبات الشرعية لا تعتبر ولا تقبل بدون الخاتم، حال كون ذينك الخطين.

(مِثْلَ الْبَهَارِ) ورد أصفر (عَلَى خَدَّيْكَ) أى أثبت الخطين على صفحتى خديك اللذين(٥) هما بمنزلة الورقين مشابهاً أحدهما أيّاً كان بالورد الأصفر بصفرة محله(وَ) الآخر (الْعَنَمِ)(٦)وهو شجرله أغصان حمر(٧) ليّنة يشبه بها بنان النساء بامتزاجه بالدم أو كل منهما بكليهما بالاعتبارين المختلفين، والقول بأن فيه لفاً

(١) روى أن أبا محذورة رضي الله عنه أنشد هذين البيتين بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم: انظر: الدرر المنتثرة: ٢٢٠ وعوارف المعارف: ١٢٠/٢ والموضوعات الكبرى: ٢٧٩.

(٢) وردت في ب: الجمع.

(٣) سورة التحريم، رقم الآية:٤.

(٤) وردت في ب: ناشئين، بدون الألف واللام.

(٥) في الأصل: "الذين" صوابه "اللذين".

(٦) راجع لسان العرب ٤٣٧/٩ تحت المادة "عنم".

(٧) سقطت في الأصل والتكملة من ب.

ونشراً على غير الترتيب بعد القول بأن الخطين الدمعان الحاصلان من العينين ليس على ما ينبغي.

ولما حصحص(١) الحق وظهر بالشهود الصادقين ولم يبق إلى الإنكار سبيل، لا جرم اعترف بالمحبة والعشق فقال:

(٨)

نَعَمْ سَرَى طَيْفُ مَنْ أَهْوَى فَأَرَّقَنِي
وَالْحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذَّاتِ بِالأَلَمِ

(نَعَمْ) القول ما قلت وأني عاشق مولع ولا اختيار لي فيه، ثم شرع في بيان(٢) كيفية ابتلائه فقال (سَرَى) سارليلاً (طَيْفُ) خيال (مَنْ أَهْوَى) أحبه الآن أي رأيت صورته الخيالية في النوم فصرت عاشقاً والهاً مولعاً حيراناً لا أعرف اسمه ولا مكانه كما رأت زليخا صورة يوسف عليه السلام فذهب عقلها وذاب جسمها واصفرّ لونها (فَأَرَّقَنِي) أسهرني في ألم بعد أن كنت في لذة.

(وَالْحُبُّ) تعلىل لما قبله أو حال أي المحبة، قيل: هي تحرق كل دنس، وقيل: كأس لها وهج إذا استقر في الحواس وسكن في النفوس تلاشت وحقيقتها أن تهب كلك لمن أحببت ولا يبقى لك منه شئ، ولها ظاهر وباطن، ظاهرها اتباع رضاء المحبوب، وباطنها أن يكون مفتوناً بالحبيب عن كل شئ، فلا يبقى فيه بقية لغيره ولا لنفسه.

(يَعْتَرِضُ) أي يقبل (اللَّذَّاتِ) أي للذات، ثم حذف وأوصل يعنى الحب يقبل (بِالأَلَمِ) قبل اللذات فيزيلها ويمحوها من اعترض له

(١) وفي الأصل "خصص" وهو خطأ والثواب ما أثبت وحصحص أي بَانَ.

(٢) هذه الكلمة لم ترد في ب.

بسهم أقبل به قبله فرماه فقتله، كذا في الصحاح.(١) واللذات: جمع لذة، وهو إدراك الملائم من حيث هو ملائم، والألم هو إدراك غير الملائم من حيث هو غير ملائم.

ومما يناسب هذا المقام ما نقل عن بعض الصالحين أنه قال: أضافنى رجل في البادية وبينما هو قائم بين يدى في الخدمة إذ وقع مغشياً "عليه"(٢) وقال لى أمه: كُل ولا تشغل نفسك به، فقلت لها: ما الذي أصابه؟ قالت: هو يحب امرأةً في الخيام، فخرجت من خيمتها، فرأى غبار ذيلها، فغشى عليه، فقلت: سبحان الله هذه محبة المخلوقين، فكيف محبة الخالق!.(٣)

ثم لما استشعر أنه سيلومه، قال معتذراً(٤) منعاً له قبل الوقوع:

(٩)

يَا لائِمي في الْهَوَى الْعُذْرِيِّ مَعْذِرَةً
مِنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ

(يَالائِمي) قاصد الملامة في المستقبل من الزمان (فِي الْهَوَى) أي المحبة (الْعُذْرِيِّ) المنسوب إلى بنى العذرة من حيث المعذرة فكما أنهم معذورون في المحبة لأنهم رقاق القلب يعشقون سريعاً ويموتون من العشق(٥) كثيراً فكذا أنا (مَعْذِرَةً) تميز من نسبة العذرى (مِنِّيَ إِلَيْكَ) اسم "ابعد" و"منى" متعلق به، يعنى ابعد عن قصد ملامتى وانبذه وراء ظهرك، وهو منادى له أو مفعول أي اقبل معذرة كائنةً منى ملقاةً إليك، والمعذرة هو قوله: أن المحب عن العذال(٦) الخ.

(١) انظر الصحاح ١٠٨٢/٣ تحت المادة "عرض".

(٢) سقطت من الأصل والصواب ثباتها.

(٣) راجع: نفحة اليمن ص: ٤٣ وشرح شيخ زاده: ٢٥.

(٤) وردت في ب: متعذراً.

(٥) سقطت في الأصل والتكملة من ب.

(٦) إشارة الى البيت رقم:١١.

(وَلَوْ أنْصَفْتَ) بمعنى إن أنصفت (لَمْ تَلُم) أى ولو كنت من المنصفين المميزين الذين يميزون مواقع الملامة عن غيرها لما قصدت الملامة لأن العاشق الذي ليس زمام الاختيار في يده(١) لا يلومه أحد من العقلاء المنصفين.

ولما فشت حاله بين الناس قال مستانفاً شاكياً عن حاله أو داعياً له(٢) أو عليه:

(١٠)

عَدَتْكَ حَالى لاَ سرِّى بِمُسْتَتِرٍ
عَنِ الْوُشَاةِ ولاَ دَائى بِمُنْحَسِمِ

(عَدَتْكَ) جاوزتك ووصل إلى الناس أو عدت عنك أو عدت إليك (حَالى) محبتى وعشقى الذي لا اختيار لى فيه (لاَسِرِّىَ) الذي يجب أن يسرّ ويخفى وهو العشق (بِمُسْتَتِرٍ) بمختفٍ (عَنِ الْوُشَاةِ) جمع واشٍ وهو النمام (وَلاَدَائِىْ) ألمى، وهو ألم العشق (بِمُنْحَسِمٍ)(٣) بمنقطع، بل يزداد يوماً فيوماً وهم على إثرى بالملامة والزجر، فلا العشق ينقطع ولا الملامة، وأنا في مابين ذلك معذّب.

ولما علم أنه لا يقبل المعذرة بل هو مصرّ على الملامة بادر إلى تسليم ما يقوله(٤) تبكيتاً له فقال:

(١١)

مَحَّضْتَنِى النُّصْحَ لكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ
اِنَّ الْمُحِبَّ عَنِ الْعُذَّالِ فِي صَمَمِ

---

(١) في الأصل: هذه، والتصويب من ب.

(٢) سقطت في الأصل والتكملة من ب.

(٣) راجع اللسان: ٢٥٦/١ تحت المادة "حسم".

(٤) في الأصل "لقوله" والتصويب من ب.

(مَحَّضْتَنِىْ)(١) أي أخلصتنى (النُّصْحَ) النصيحة وجعلته مهذباً خالياً عن الأغراض شفقة(٢) علىّ (لكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُه) سماع قبول أو سماعاً مطلقا، ثم أورد على ذلك دليلاً فقال له (إِنَّ الْمُحِبَّ) العاشق (عَنِ) سماع ملامة (الْعُذَّالِ) اللُّوام (فِيْ صَمَمٍ) عظيم بحيث سُدّ مسامعه بالكلية.

ثم أشار إلى دليل آخر من خصوصية نفسه فقال:

(١٢)

إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَذَلِي
وَالشَّيْبُ أَبْعَدُ فِي نُصْحٍ عَنِ(٣) التُّهَمِ

(إِنِّي اتَّهَمْتُ): أي نسبت إلى التهمة والكذب والبهتان بترك العمل بمقتضاه بتسويل النفس والشيطان (نَصِيْحَ الشَّيْبِ) أي الناصح الذي هو الشيب الواعظ بلسان الحال الذي هو أفصح وأنطق من لسان المقال القائل بأنه حان آن(٤) الرحلة فانتبه من النوم وكن مستعداً لكيلا تنقطع عن القوم وبأن الدنيا دار غرور وموضع شرور وأنك كدت ترتحل عنها عن قريب.

يا مغرور! مالك تسعى في حطامها في مرور الدهور، وتنسى بلدةً طيبة ورباً غفوراً، وتعليق القلب بغير الله تعالى محض غلط وقصور، فكن مفارقاً عما يفارقك بالموت يا مغرور،(٥) وكن ساعياً للدار الآخرة، فسعىٌ لها منك مشكور، فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الْغَرُوْرُ.(٦)

---

(١) وهو بصيغة الخطاب من التمحيض والتمحيض كالإمحاض جعل الشئ محضاً أي خالصاً وصافياً انظر: عصيدة الشهدة: ٢٩ والصحاح ١٣٨/٨ تحت المادة "محض".

(٢) وردت في ب: مشفقة.

(٣) وفي بعض نسخ القصيدة: من

(٤) كذا في الأصل والأجود أن يقول "أوان".

(٥) وردت في ب: معذور.

(٦) سورة فاطر، رقم الآية: ٥.

(فِيْ عَذَلِيْ) ملامتي، مصدر مضاف إلى المفعول أي في عذله إيّاي وهو بفتح الذال اسم مصدر وبسكونها مصدر حرك للضرورة (وَ) الحال أن (الشَّيْبُ أَبْعَدُ فِيْ نُصْحٍ عَنِ التُّهَمِ) بضم الأول وفتح الثاني جمع تهمة، وإذا اتهمت من هو في غاية البعد عن التهمة فما ظنك يأيها اللائم!؟

ولما كان اتّهام الشيب بعيداً غاية البعد، أورد دليلاً عليه فقال:

(١٣)

فَإِنَّ اَمَّارَتِي بِالسُّوْءِ مَا اتَّعَظَتْ
مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيْرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ

(فَإِنَّ اَمَّارَتِى) أى نفسى(١) المبالغة في الأمر (بِالسُّوْءِ) بما يذمه العقل والشرع واللوامة هي التي تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان، والمطمئنة هي التي تطمئن بذكر الله تعالى.

(مَا اتَّعَظَتْ) أي ما قبلت العظة من الناصح المشفق (مِنْ جَهْلِهَا) أي بسبب جهلها وجناية(٢) ظاهرها وباطنها (بِنَذِيْرِ الشَّيْبِ) متعلق "ما اتعظت" أي بإنذار الشيب (وَالْهَرَمِ) وهو غاية الشيب.

(١٤)

وَلاَ اَعَدَّتْ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيْلِ قِرَى
ضَيْفٍ أَلَمَّ بِرَأْسِـى غَيْـرَ مُحْتَشِمِ

(١) سقطت من الأصل والتكملة من ب.

(٢) كذا في الأصل وفي ب: خيانة.

(وَلاَ اَعَدَّتْ) عطف على "ما اتعظت" أي ما هيأت النفس (مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيْلِ) المستحسن شرعاً وعقلاً، بيان أو حال من قوله (قِرَى) بالكسر والقصر، ماقرى به الضيف ومصدر أيضاً كذا في الصحاح(١) والمراد ههنا هو الأول (ضَيْفٍ) عظيم الشأن رفيع المكان (أَلَمَّ) ضيف أي نزل (بِرَأْسِى غَيْرَ مُحْتَشِمِ) صفة أو حال أي غير معظم عندى وهو معظم عند الله تعالى كيف وقد أضافه إلى ذاته حيث قال الله تعالى: الشيب نورى.(٢)

ولما لم يجر على مقتضى الشيب والكبر وعمل على خلاف مقتضاه، ندم على سوء أدبه في حقه فقال:

(١٥)

لَوْ كُنْتُ اَعْلَمُ أَنِّى مَـا أُوَقِّرُه
كَتَمْتُ سِراً بَدَالِى مِنْهُ بِالْكَتَمِ

(لَوْكُنْتُ اَعْلَمُ أَنِّي مَا أُوَقِّرُه): أعظم الضيف النازل عندى بالتجافى عن دارالغرور والإنابة إلى دارالخلود والتأهب للموت قبل النزول بالإعداد قبل إتيانه الأعمال الحسنة والأخلاق الحميدة والأحوال السنية وغير ذلك مما أخبره الشرع من الأمور الشرعية والمعارف الإلهية وبالتشمير لتحصيل ما هو يقتضيه(٣) بعد إتيانه لتشتت الحال وتفرق "البال"(٤) لاشتغاله بمطالعة الحسن والجمال

(١) الصحاح: ٢٤٦١/٦ تحت المادة "قرى" ومحيط المحيط: ٧٢٢.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ وعند الترمذى حديث: أنه نور المسلم، ١٠٥/٢ باب ماجاء في النهى عن نتف الشيب.

(٣) وفي ب: تقبضه.

(٤) سقطت من الأصل والتكملة من "ب".

وابتلائه بمحاسن الخد والخال، وتضييع(١) الوقت في القيل والقال مع أنه واجب التوقير والتعظيم، أخبر عنه الشرع القويم، قال صلى الله عليه وسلم:

"من إجلال الله إكرام ذى الشيبة المسلم" "ما وقر شاب شيخاً لشيبه إلاّ قيض الله في شيبه من يؤقره".(٢)

(كَتَمْتُ) سترت (سراً) أمراً مخفياً (بَدَا) ظهر (لي منْهُ) حال و"من" ابتدائية أي الضيف (بالكتم) متعلق "كتمت" وهو النبت الذي يختضب به، لئلا ألام على هتك حرمة من يجب حرمته.

ولما عجز عن مقاومة النفس وجعلها منقادةً لشدة شكيمتها وخبث طينتها ونجاسة(٣) جبلتها ورذالة طبيعتها وغاية شرارتها ونهاية حرصها على(٤) اللذات والشهوات، قال مستفهماً متعجباً طالباً لمقوّم يقوّمها ومروّض يروّضها:

(١٦)

مَنْ لي بردِّ جماحٍ من غوايتها
كما يُردُّ جماحُ الخيلِ باللُّجُمِ

(مَنْ) يتكفل (لِيْ بِرَدِّ) بدفع (جِمَاحٍ) كرماح مصدر "وهو الشماس"(٥) ناش (منْ غَوَايَتِهَا) ضلالتها (كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ) شماس (الْخَيْلِ بِاللُّجُمِ) أي من يتكفل لى بدفع شماس واحد ناش من ضلالتها

(١) في الأصل "تضيع" وصوابه "تضييع".
(٢) أخرجه أبو داؤد عن أبي موسى الأشعري بالشطر الأول، كتاب الأدب ٤/٣٦١ والثاني أخرجه الترمذي ٢/٢٣ باب ماجاء في إجلال الكبير.
(٣) كذا في الأصل وفي ب: خساسة.
(٤) كذا في الأصل وفي ب: في.
(٥) الأصل مخروم والتكملة من ب.

وجهالتها رداً مثل رد شماس الخيل باللجم، والقول بأن الجماح جمع جموح بالفتح وله معنيان: الفرس الشموس الأبى والنفس المرتكبة على هواها، والمراد في المصراع الأول الثاني وفي الثاني الأول، إخلال بالنظم وجزالة المعنى فتدبر!

ولما ظهر أنه طالب لمعالجة النفس كأنه هتفه هاتف: إن كنت طالباً للمعالجة...

(١٧)

فلاَ ترُمْ بالْمَعاصِي كَسْرَ شَهْوَتِهَا
إنَّ الطَّعَـامَ يُقَوِّي شَهْـوَةَ النَّهِـمِ

(فَلاَتَرُمْ) تطلب (بِالْمَعَاصِيْ) بارتكابها (كَسْرَ شَهْوَتِهَا) أي النفس بحسبانك(١) أنها إذا استُرْسِلَتْ سُدىً في اللذات والشهوات وأودية(٢) الضلالات والجهالات تفتر وتملّ وتفنى عنها بكثرة ما يزاولها كلاّ بل تتقد نار توقانها بحطب المعاصى كل الاتقاد وترمى بشرر(٣) كالأطواد وتصير راسخةً فيها متمكنةً عنها فيعسر قمعُها عنها بل يتعذر كمن أمر بقلع شجرة فيؤخرها إلى السنة القابلة وهو يعلم أن الشجرة تزداد كل يوم رسوخا وقوته تزداد قصوراً ونقصاناً وذلك غاية الجهل، فعليك في كسر الشهوة وتذويبها بنار الجوع والرياضات ومكابدتها بترك اللّذات والمشتهيات حتّى تفِيءَ إلى أمرِ الله تعالى.(٤)

ثم أورد دليلاً عليه فقال: (إنَّ الطَّعَامَ يُقَوِّيْ) يزيد ويُحكم (شَهْوَةَ النَّهِمِ) ككتف، الحريص على الطعام، فكما لا يمكن كسر شهوته(٥)

(١) وفي ب: حسابك.
(٢) وفي ب: أدوية.
(٣) وفي ب: بشر.
(٤) كلمات قرآنية، سورة الحجرات، الآية: ٩.
(٥) في الأصل: شهويته، والتصويب من ب.

عن الطعـام إلا بالإحتماء عنه، كذلك لا يمكن كسر شهوة النفس الحريص إلا بالمنع عن المعاصي التي هي كالطعام لها.

(١٨)

وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى
حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

(وَ) اعلم أن (النَّفْس) مع أنها أمّارة بالسوء (كَالطِّفْلِ) في الانزجار عند(١) الزجر والبقاء على ما كان عند(٢) الإهمال، وإليه أشار بقوله (إِنْ تُهْمِلْهُ) جملة مستانفة لبيان حال الطفل وجعلها حالاً منه طفولية تأمل، أي إن تتركه على حاله (شَبَّ) بلغ الشباب حريصاً (عَلَى حُبِّ) محبة (الرِّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ) تفصله عنه (يَنْفَطِمِ) ينفصل.

وإذا كان حال النفس ما ذكرنا:

(١٩)

فَاصْرِفْ هَوَاهَا وَحَاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَهُ
إِنَّ الْهَوَى مَا تَوَلَّى يُصْمِ أَوْ يَصِمِ

(فَاصْرِفْ) امنع(٣) (هَوَاهَا) أي مشتهيات النفس عنها وروّضها بالرياضات، فان السعادة الأبدية والحياة السرمدية فيه كما قال الله تعالى:

(١) كذا في الأصل وفي ب: عن.
(٢) كذا في الأصل وفي ب: عنه.
(٣) كذا في الأصل وفي ب: امتنع.

وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى(١) (وَحَاذِرْ) أي احذر حذراً بليغاً كاملاً عن (أَنْ تُوَلِّيَهُ) تجعله والياً حاكماً عليك (إِنَّ الْهَوَى) النفس، هو ميلانها إلى ما تستلذه من الشهوات، اسم إنّ ما تولىّ مفعول خبره هو يُصْمِ (مَا) أي الذي (تَوَلَّى) هو النفس عليه والتعبير عنه(٢) بما إشعار بأنه ليس من اعداد العقلاء بل أولئك كالأنعام (يُصْمِ) يقتل من الإصماء، لإفضائه إلى الكفر والطغيان أو (يَصِمِ) يجعله ذاعيب من وَصَمَ يَصِمُ، لإفضائه إلى الفسق والعصيان.

وناهيك حجةً عليه قوله تعالى: أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ،(٣) وقوله عليه الصلوة والسلام: الهوى عند الله أبغض من جميع الآلهة،(٤) وقوله عليه الصلوة والسلام: اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي، اللهم لا تكلني إلى نفسي الباطلة طرفة عين اكلاءني كلاءة الوليد إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضعف وعورة وذنب وخطيئة.(٥)

ولما بيّن معالجة النفس بصرف الهوى والحذر عن استيلاتها خاف أن يغفل عنها حال اشتغالها بالعبادات فقال:

(٢٠)

وَرَاعِهَا وَهْيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ
وَإِنْ هِيَ اسْتَحْلَتِ الْمَرْعَى فَلاَ تُسِمِ

(١) سورة النازعات، الآية: ٤١.
(٢) كذا وفي ب: منه.
(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.
(٤) راجع: مجمع الزوائد ١٨٨/١ باب في البدع والأهواء.
(٥) راجع: مسند الإمام أحمد ٤٣٤/٥ وكتاب اللمع: ١٦٠.

ولما بيّن معالجة النفس بصرف الهوى والحذر عن استيلائها خاف أن يغفل عنها حال اشتغالها بالعبادات فقال:

(٢٠)

وراعِهَا وَهْيَ فِي الأَعْمَالِ سَائِمَةٌ
وَإنْ هِيَ استَحلَتِ المَرْعى فلاَ تُسِمِ

(وراعِهَا) أى كن حافظاً لها، رقيباً عليها بعد لحظة وساعةً بعد ساعةٍ (وَهِيَ فِي الأعْمَالِ سَائِمَةٌ) أى والحال أنها شاغلة في الأعمال الحسنة، ملازمة لها مداومة عليها مخافة أن ينشأ منها إذا ظهرت بصفتها من كونها أمّارةً ومسولةً إلى غير ذلك رياء محيط لتلك الأعمالِ السنية والأفعال الحسنة لقوله عليه الصلاة والسلام: "لا يقبل الله تعالى عملاً فيه مقدار ذرة من رياء أو عجب مهلك".(١) ولقوله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه".(٢)

أو سمعة مُردية لقوله صلى الله عليه وسلم: "يؤتى بالعالم والغازى والزاهد فيقال: عملوا كذا وكذا في سبيلك، فيقول الحق سبحانه وتعالى: لا بل ليسمع الناس ويقولوا لهم كذا وكذا" فقد قيل.(٣)

(١) انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٩٨/١ كتاب الايمان، وإحياء علوم الدين ٢٠٣/٣ بيان ذم الرياء.

(٢) أخرجه صاحب مشكواة المصابيح في كتاب الأدب: ٤٣٤ باب الغضب والكبر، وانظر أيضاً مجمع الزوائد ٩٠/١ باب المنجيات والمهلكات، وإحياء علوم الدين ٢٣٤/٣ كتاب ذم الكبر والعجب.

(٣) راجع: جامع الترمذي ٦١/٢ أبواب الزهد، باب ماجاء في الرياء والسمعة والجامع الصحيح ٤٧/٦ كتاب الامارة، باب من قاتل للرياء والسمعة، ومشكواة المصابيح: ص: ٣٣ كتاب العلم.

(وَإنْ هِيَ استَحلَتِ) أي وإن عدّت النفس المشبهة بالمطيّ (المَرْعَى) الأعمال المشبهة بالمرعى حلواً حسناً مضمرة شيئاً مما ذكر فيها.

(فَلاَ تُسِمِ) من الإسامة (أي لا تبقيها على الإسامة)(١) مهملاً لها عليها، بل كن مجداً(٢) في تهذيبها بمحو الشوائب وقطع العلائق وتجريد النظر عن الخلائق والتبتّل بشراشره إلى رب الأرباب ومسبب الأسباب ومفتح الأبواب، منه المبدأ وإليه المآب، وتعميرها بالأعمال بالله لله في الله، حتى تصير مطمئنة بذكر الله، معرضة عما سوى الله، وأما منعها عنها لأجل الرياء فليس بصحيح، إذ ترك العمل للرياء رياء أيضاً، ولأن المقصود تهذيبها و ذا لا يحصل به بل قد يؤدى إلى ترك العمل رأساً.

وقيل "وراعها" أي عاهدها، وارفق(٣) بها، واعط نصيبها حال كونها في الأعمال سائمةً(٤) لقوله صلى الله عليه وسلم: "نفسك مطيتك فارفق بها"(٥) وان عدت النفس مرعى اللذات والشهوات حلوا وحزنت عن العبادة "فَلاَ تُسِمِ" أي لا تعطها حظها بل حقها أيضاً وعالجها وجوّعها وكلفها بالتكاليف الشاقة كما نقل عن أبي يزيد رحمه الله تعالى أنه قال: "تكاسلت نفسى علّي في بعض الليالى عن بعض الأوراد فعاقبتها بأن منعتها الماء سنة لئلا تعتاد النعم التي هي(٦) مؤدية إلى البطالة ومفضية إلى الكسالة" ولذا قال صلى الله عليه وسلم: "شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم ونبتت(٧) عليه أجسادهم وإنما همتهم ألوان الطعام وأنواع اللباس".(٨)

(١) ما بين القوسين سقط من الأصل والتكملة من ب.

(٢) كذا وفي ب: مخلا.

(٣) كذا وفي ب: رافق

(٤) كذا في الأصل وفي ب: شاغلة.

(٥) انظر: عوارف المعارف ١٤٧/٢.

(٦) في الأصل "هو" والصواب ما اثبت.

(٧) في الأصل: وهنت، والتصويب من الإحياء.

(٨) راجع إحياء علوم الدين ٦٧/٣ باب ذم الشبع.

ثم بين مافي البيت السابق بقوله:

(٢١)

كَمْ حَسَّنَتْ لَذَّةً لِلْمَرْءِ قَاتِلَةً
مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ

(كَمْ) مرّة خبرية (حَسَّنَتْ) زيّنت النفس وسوّلت (لَذَّةً) مفعول "حسّنت" (لِلْمَرْءِ) متعلق حسّنت (قَاتِلَةً) صفة "لذة" فظن أنها لذة حسنة مرغوبة لأفسادَ فيها بل هي خير محض (مِنْ حَيْثُ) من أجل (لَمْ يَدْرِ) لم يعلم المرء (إِنَّ السُّمَّ فِيْ) الطعام (الدَّسَمِ) بكسر السين يعنى كثيراً ماتسوّل النفس وتزين شيئاً قبيحاً غير مُرضيً مُردياً للشخص فيراه(١) حسناً مرضياً منجياً كما قال الله تعالى: فَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوْءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً(٢) وهو داء عضال يوجب الحرمان ويثمر الخسران فعلى المتيقّظ أن يحذر مواقع غرورها ويتقى مكائد شرورها ويتنبّه(٣) لتلبيسها وزورها.

ولما بين وجوب محافظتها حالة الاشتغال بالعبادة بين أنه وجب أيضاً في الأحوال الضرورية كالجوع والشبع فقال:

(٢٢)

وَاخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوْعٍ وَمِنْ شَبَعٍ
فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التُّخَمِ

(١) كذا في الأصل وفي ب: فرآه.
(٢) سورة فاطر، الآية: ٨.
(٣) في الأصل "ينته" والتصويب من "ب".

(وَاخْشَ) أي كن خائفاً من أن تقع بتسويلها في إفراط وتفريط والزم الوسط بين الجوع والشبع (الدَّسَائِسَ) جمع دسيسة، الأمور المخفية ناشئة من "دسّ الشئى" أخفاه، المؤدية إلى الهلاك والردى والمثمرة للحرمان في الأولى والعقبى ناشئة (مِنْ جُوْعٍ) من العجب والرياء والسمعة (وَمِنْ شَبَعٍ) من البطالة والكسالة والفسق والفجور، فوجد الفاء للتعليل (رُبَّ مَخْمَصَةٍ) مجاعة مقرونة بالعجب وغيره هي (شَرٌّ مِنَ التُّخَمِ) أي من ذنب التخم لقوله صلى الله عليه وسلم: "لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ماهو أكبر من ذلك، العجب العجب".(١)

ويحتمل أن يقال لما بلغ في الاحتراز عن اللّذات، خاف إفراط المخاطب ومنعه النفس عن الحقوق أيضاً فقال: واخش الدسائس الأمور المخفية ناشئة من جوع بالغ أقصى النهاية من عدم استطاعة الصوم والصلوة والذكر وإلا فالجوع مفتاح باب السعادة ولذا قال عليه السلام: "ما من عمل أحب إلى الله تعالى من جوع وعطش"(٢) وقال: "سيد الأعمال الجوع"(٣) وقال: "الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة"(٤) وقال: "أفضلكم عند الله أطولكم جوعاً وتفكراً وأبغضكم عند الله كل أكول ونؤم وشروب"(٥) وقال: "إن الشيطان يجرى ابن آدم مجرى الدم، فضيقوا مجاريه بالجوع والظماء"(٦) وقال صلى الله

(١) راجع إحياء علوم الدين ٢٥٨/٣ في بيان ذم العجب.
(٢) نفس المرجع ٥٩/٣ في باب فضيلة الجوع وذم الشبع.
(٣) نفس المرجع.
(٤) انظر: إحياء علوم الدين ٦٠/٣ في باب فضيلة الجوع وذم الشبع.
(٥) نفس المرجع ٦٠/٣.
(٦) أخرجه الدارمي من حديث جابر(رض): ٣٧٤ وصاحب مشكواة المصابيح: ١٨ في كتاب الايمان، بدون قوله: فضيقوا مجاريه بالجوع والظمأ" وقال العلامة علي القاري في الموضوعات الكبرى: ١٢٢، فانه مدرج من كلام بعض الصوفية.

عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها: "أديموا قرع باب الجنة يفتح لكم، قالت: وكيف نديم؟ قال: بالجوع والظمأ"(١) وقيل: "في نفس ابن آدم ألف عضو من الشرّ كلها في كف الشيطان متعلق بها فإذا جوّع أحد بطنَه و أخذ حلقه وروض نفسه، ييبس كل عضو واحترق بنار الجوع، وفرّ الشيطان من وجوده، وإذا أشبع بطنه وترك حلقه في لذائذ الشهوات فقد رطب أعضاؤه وأمكن الشيطان".(٢)

"والشبع نهر في النفس يردها الشياطين والجوع نهر في الروح يردها الملائكة وينهزم الشيطان من جائع نائم، فكيف إذا كان قائماً، ويعانق الشيطان شبعاناً(٣) قائماً فكيف إذا كان نائماً"(٤) ومن شبع واصل إلى أقصى الغاية من ذهاب حلاوة العبادة وتعذّر حفظ الحكمة وثقل المعدة وزيادة الشهوة والبلادة وعمَى القلب وكثرة النوم الذي ينقص العمر الذي هو رأس المال، وإلاّ فإقامة الحقوق لحفظ البنيان من الواجبات وإليه أشار بقوله صلى الله عليه وسلم: "حسب ابن آدم لقيمات تقمن صلبه".(٥)

فالواجب على السالك أن يكون مقتصداً آخذاً طريق الاعتدال الذي هو بين التفريط والإفراط وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم: "نفسك مطيتك فارفق بها" وقوله: كلوا واشربوا في أنصاف البطون فإنه جزء من النبوة"(٦) فوجد ربّ مخمصة مجاعة هي شر إذ قد تؤدى إلى ترك العمل رأساً من التخم

(١) راجع: إحياء علوم الدين ٣/ ٦٠ وعوارف المعارف ١٨٦/٣ الباب التاسع والثلاثون في فضل الصوم.

(٢) انظر: عوارف المعارف ١٨٤/٣ الباب التاسع والثلاثون.

(٣) في الأصل "شيطاناً" والصواب ما أثبت من عوارف المعارف.

(٤) انظر: عوارف المعارف بهامش الإحياء ١٨٤/٣ الباب التاسع والثلاثون في فضل الصوم وحسن أثره.

(٥) اخرجه صاحب المشكواة عن المقدام بن معديكرب في كتاب الرقاق: ٤٤٢ والحاكم في المستدرك ٣٣١/٤ في كتاب الرقاق والقاضي في الشفا ١/ ٥٠.

(٦) راجع: إحياء علوم الدين ٥٩/٣ في باب فضيلة الجوع وذم الشبع.

جمع تُخمة وهي امتلاء المعدة.

ولما بالغ في الاحتراز عن مكائد النفس وشرورها والمنع عن لذاتها وشهواتها مخافة غرورها، بيّن أن موطن مكائدها حالة السراء والضراء فقال: واخشَ الدسائس الخ. ناشئة من جوع فقر اضطراري من الغم بفوات الحظوظ العاجلة والسخط وعدم التسليم بقضاء الله تعالى والشكاية عنه تعالى والاعتراض عليه تعالى وعدم الرضاء بقسمته بين خليقته والإشغال بالقلب والجوارح في تدبير معيشته ولذا أكثر صلى الله عليه وسلم الاستعاذة منه وقال: "كاد الفقر أن يكون كفراً".(١)

فالواجب في هذه الحالة على السالك أن يصبرو يحتسب ويرضى بقسمته تعالى وأن يعلم أن ما يصيبه لم يكن ليخطئه وما يخطئه لم يكن ليصيبه وأنه لعله كفارة لذنوبه لقوله صلى الله عليه وسلم: "ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى تجسته النملة"(٢) وأن يتسلى بقوله صلى الله عليه وسلم حاكياً عن الله: "إن من عبادى المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا الغنى لو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادى المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا الفقر لو أغنيته لأفسده ذلك".(٣)

روى عن علي رضي الله عنه قال: إن لِلّه عزوجل في خلقه مثوبات فقرو عقوبات فقر، فمن علامة الفقر إذا كان مثوبة أن يحسن خلقه ويطيع ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره، ومن علامة الفقر إذا كان عقوبة أن

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٨٠ في كتاب الإيمان وصاحب المشكواة: ٤٣٠ كتاب الأدب.

(٢) راجع إحياء علوم الدين ٢/ ١٤٧.

(٣) أخرجه ابن الجوزى في "صفة الصفوة" ٤١/١ وزاد: وان من عبادى المؤمنين من لا يصلح ايمانه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك وإن من عبادى المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك وانى ادبر عبادى بعلمى بقلوبهم إنى عليم خبير".

يسوء خلقه ويعصى ربّه ويكثر الشكاية ويتسخط للقضاء"(١) ومن شبع من البطر والفرح المنهى بقوله تعالى: لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ(٢) وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: الغم والفرح والتكبر والتحير والعجب والتفاخر والتكاثر والنظر إلى الفقراء بعين الازوراء".(٣)

فالواجب على السالك حينئذ أن يشكر الله ويسعى لمرضاته(٤) وينفق ابتغاء لذاته قائلاً: إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا(٥) ليجزيه ربّه: جَنَّةً وَحَرِيرًا لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا(٦) فوجد رب مخمصة هي شر من التخم إذ قد ينجرّ إلى الكفر.

ولما بين ما يزول به اعوجاج النفس ويحصل به التقويم ويصير به مستعدة لقبول أنوار المعارف(٧) الإلهية، بادر إلى الأمر بالتوبة التي هي مبدأ طريق السالكين ومفتاح سعادة المريدين وموجبة لمحبة رب العالمين، قال الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ.(٨) وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحب العبد الممتحن التواب"(٩) ولتكفير الذنوب قال صلى الله عليه وسلم: "التائب من الذنب

(١) انظر: عوارف المعارف بهامش الاحياء ٧٩/٢ الباب العشرون في ذكر من يأكل من الفتوح.
(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٣.
(٣) لم أعثر على تخريجه وفي ابن ماجه ١٤١٨/٢ حديث، فقال: الاجوفان: الفم والفرج.
(٤) في الأصل بدون اللام والصواب ثباتها.
(٥) سورة الدهر، الآية: ٩.
(٦) كلمات قرآنية، سورة الدهر، الآية: ١٢، ١٣.
(٧) في الأصل بدون الالف واللام وصوابه ثباتهما.
(٨) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.
(٩) لم أجده بهذا اللفظ وفي المشكواة حديث: إن الله يحب العبد المؤمن المفتن التواب، كتاب الاستغفار والتوبة: ٢٠٦.

كمن لا ذنب له"(١). فقال:

(٢٣)

وَاسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدِ امْتَلَأَتْ
مِنَ الْمَحَارِمِ وَالْزَمْ حِمْيَةَ النَّدَمِ

(وَاسْتَفْرِغِ): اصبب (الدَّمْعَ) الذي هو شعار الصالحين والخائفين، وفي الحديث: "اللهم ارزقني عينين هطالتين" (مِنْ عَيْنٍ) خائنة بإجالة النظر إلى مالأيحل إليه النظر كالنظر بالقصد إلى الأمرد وإلى امرأة أجنبية بلا غرض صحيح لقوله تعالى: يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ(٢) (قَدِ امْتَلَأَتْ) صفة عين أو حال منها(٣) ومن قال: ولا يجوز أن يكون حالاً منها لأن حق ذى الحال التعريف فقد سها سهواً بيناً.

(مِنَ الْمَحَارِمِ) جمع محرم، كمقطع، بمعنى الحرام (وَالْزَمْ حِمْيَةَ) كنعمة (النَّدَمِ) أي كن لازماً أو اجعل لازماً لك الترك عن الذنب والاحتماء عن(٤) الذي منشأه الندم على الذنب من حيث هو ذنب مع العزم على الترك حين قُدر في الاستقبال والتلافى بحسب الإمكان في ما مضى وهذا هو معنى التوبة شرعاً، فالتوبة الشرعية لاتتحقق بدون ردّ المظالم.

والتوبة متفاوتة(٥) باعتبار تفاوت أحوال الأشخاص، فتوبة العوام عن الذنوب الظاهرة، وتوبة الصالحين عن الأخلاق الذميمة الباطنة، وتوبة المتقين

(١) راجع: سنن ابن ماجة: ١٤٢/٢ ومشكواة المصابيح: ٢٠٦ كتاب الاستغفار والتوبة.
(٢) سورة المؤمن، الآية: ١٢٩.
(٣) كذا في الأصل وفي ب: عنها.
(٤) سقطت في الأصل والتكملة من ب.
(٥) في الأصل "متفاوت" وهو خطأ والتصويب من "ب".

عن مواقع الرِّيبة، وتوبة المحبين عن الغفلة المُنسيَّة للذكر، وتوبة العارفين عن الوقوف على مقام فوقه مقام آخر، إذ المقام التحتاني نقيضة بالنسبة إلى المقام الفوقاني، والترقى منه إليه توبة من تلك النقيضة، وإليه أشار صلى الله عليه وسلم: "إنه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة.(١)

ولما بين شرارة النفس وخباثتها وداءها ودواءها وأمر بمخالفتها أراد أن يبين خباثة الشيطان ويأمر بمخالفتها مع ذكر النفس وتقديمها تنبيهاً على أنها في الشرارة أشد، ومخالفتها أشق، ولذا قال صلى الله عليه وسلم: "أعدى عدوك نفسك التي بين(٢) جنبيك"(٣) كما ذكر مع المنع عن كل البسط النهى عن البخل وقدم تنبيهاً على أنه أفحش في قوله تعالى: وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً.(٤) فقال:

(٢٤)

وَخَالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِهِمَا
وَإِنْ هُمَا مَحَضَاكَ النُّصْحَ فَاتَّهِمِ

(١) أخرجه المسلم من حديث الأغر المزنى: ٢٧/٢ في الذكر والدعاء باب: الاستسقاء واستحباب الاستغفار والاستكثار منه، وأبو داؤد: ٢٤٥/٢ في الصلاة، باب الاستغفار، وشرح السنة، باب الاستغفار ٧٠/٥، وأخرجه صاحب الحلية في ترجمة الأغرالمزنى ٣٤٩/١، والامام شرف الدين النووى في رياض الصالحين ٢٥٥/١ والبخارى في "صحيحه" ١٤٥/٧ باب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم والليلة.

(٢) في الأصل "خبيك" وهو التصحيف.

(٣) راجع: كتاب اللمع: ٢٩ ورواه البيهقى في الزهد عن ابن عباس رضي الله عنهما ٢٤١/٣.

(٤) سورة بنى اسرائيل، الآية: ٢٩.

(وَخَالِفِ) أي كن دائماً على مخالفة (النَّفْسَ) لأنها أعدى عدوك التي بين جنبيك (وَالشَّيْطَانَ) لأنه كان للإنسان عدواً مبيناً: "إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُواً"(١) بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه (وَاعْصِهِمَا) فيما أمراك به ونهياك(٢) عنه (وَإِنْ هُمَا مَحَضَاكَ) أخلصاك (النُّصْحَ) النصيحة (فَاتَّهِمِ) إيَّاهما أي فانتسبهما إلى الكذب والتهمة فإن الخير في مخالفتهما ولا يصدقهما كيلا تكون تابعاً لهما ولو في كلمة حق كما روى عن المسيح على نبينا وعليه السلام: أنه ظهر عليه ابليس فقال: قل لا اله إلا الله، قال: كلمة حق "ولكن لا"(٣) أقولها بقولك.

ولما بين وجوب مخالفة النفس والشيطان، أشار إلى الحكم بالمخالفة لمن كان من جنسهما في الشرارة، كائناً من كان، حتى لا تظن حصر المخالفة عليهما فقال:

(٢٥)

وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمَا خَصْماً وَلاَ حَكَماً
فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخَصْمِ وَالْحَكَمِ

(وَلاَ تُطِعْ) بضم الأول،أيها الطالب سبيل الرشاد والمحترز عن طريق(٤) الغى والعناد(٥) كائناً (مِنْهُمَا) أي من(٦) جنسهما في الشرارة حال من (خَصْماً) أياً كان.

(١) سورة فاطر، الآية: ٦.

(٢) في الأصل "انهاك" وهو خطأ والصواب ما اثبت.

(٣) في الأصل مخروم والتكملة من "ب".

(٤) سقطت في الأصل والتكملة من ب.

(٥) كذا في الأصل وفي ب: الفساد.

(٦) سقطت من ب.

(وَلَاحَكَماً) أيّاً كان من شياطين الانس والجن من الظلمة والمبتدعة والملاحدة وغيرهم أي لا تطع خصماً من الخصماء ولا حاكماً من الحكام حال كونه كائناً من جنس النفس والشيطان في الشرارة والخباثة بمخالفة أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبول قولهما، والمجالسة معهما، وإظهار البشاشة بهما، والمداهنة لهما، والتزىّ بزيّهما، وتعظيمهما لدفع ضرّ أو جلب نفع من الخصم الساعى لضرك والحكم الساعى لنفعك بل احذرهما(١) ولا تلتفت إليهما وتوكل على الله: وَلاَ تَرْكَنُوٓاْ إِلَى الَّذِيْنَ ظَلَمُوٓاْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ(٢) لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّوْنَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُوْلَهُ.(٣)

وقال عليه الصلاة والسلام: "من تشبه بقوم فهو منهم"(٤) "ومن وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام"،(٥) "ومن أحب لِله وأبغض لِله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان"(٦) أوحى الله تعالى إلى عيسى على نبينا وعليه صلوات الله وسلامه: "لو أنك عبدتنى بعبادة أهل السموات والأرض، وحبّ في الله ليس، وبغض في الله ليس، ما أغنى عنك ذلك شيئاً".

وفي "المدارك" قال سهل:"من صحح إيمانه وأخلص توحيده فإنه لا يأنس بمبتدع ولا يجالسه "ويظهرله"(٧)من نفسه العداوة، ومن داهن مبتدعاً،سلبه الله

---

(١) في الأصل "احضرهما" وهو تحريف والثواب ما اثبت.

(٢) سورة هود، الآية: ١١٣.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٢٣.

(٤) أخرجه أبو داوْد من حديث ابن عمر(رض) ٦٥/٤.

(٥) اخرجه صاحب المشكواة عن ابراهيم بن ميسرة: ص: ٣١ باب الاعتصام بالكتاب والسنة.

(٦) راجع: سنن أبي داوْد ٦٠/٥في كتاب السنة ومشكواة المصابيح: ١٤ كتاب الايمان، بابب الاعتصام بالكتاب والسنة.

(٧) سقطت هذه الألفاظ من الأصل والتكملة من تفسير مدارك التنزيل.

تعالى حلاوة اليقين ومن "أجاب"(١) مبتدعاً لطلب عز الدنيا أو عرضها، أذله الله بذلك العز، وأفقره بذلك الغنى، ومن ضحك إلى مبتدع، نزع الله تعالى نور الايمان من قلبه".(٢)

(فَأَنْتَ) الفاء للتعليل أي إنما نهيتك عن إطاعة جنس الخصم والحكم المجانس للنفس والشيطان في الشرارة لأنك (تَعْرِفُ كَيْدَ)مكر(الْخَصْمِ وَالْحَكَمِ) المذكورين من النفس والشيطان، الساعيين لهلاكك في الدارين، فكذا ما يماثلهما في خبث الجوهر ليس حكماً لمصلحتك، فلا تمتثل واحداً منهما، وفرّ عنهما، كما تفر من السبع الضارىّ، فإن امتثال أمرهما ومطاوعة حكمهما يوجب الخسارة وَذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِيْنُ.(٣)

ولما أمر بصرف هوى النفس، والحذر عن توليتها، والمحافظة عليها، واستفراغ الدمع(٤) والتوبة ومخالفة النفس والشيطان ونهى عن إطاعتهما وكان لا يخلو(٥) عن مخالفة القول العمل الموجب لمقت(٦) الله تعالى: كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُوْلُواْ مَالاَ تَفْعَلُوْنَ(٧) بادر إلى الاستغفار الذي يمحو الخطايا، قال الله تعالى: وَمَنْ يَعْمَلْ سُوٓءً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوْراً رَّحِيْماً(٨) وقال صلى الله عليه وسلم: وَالذي نفسي بيده لو أخطأتم

---

(١) التكملة من التفسير.

(٢) انظر: تفسير مدارك التنزيل بهامش خازن ٢٦١/٤ في تفسير سورة المجادله، الآية: ٢٣.

(٣) سورة الزمر، الآية: ١٥.

(٤) في الأصل "الدم" والصواب ما اثبت.

(٥) في الأصل "يخلوا" والألف زائدة وفي ب: يخ، مقتضبا.

(٦) في الأصل "لمعت" والتصويب من "ب".

(٧) سورة الصف، الآية: ٣.

(٨) سورة النساء، الآية: ١١٠.

حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتم الله يغفرلكم(١) منتبهاً بصيغة المضارع الدال على الاستمرار التجددى(٢) على أنه كلما(٣) يجد ذلك يرجع إلى الاستغفار على ما هو شأن المتقين المختار فقال:

(٢٦)

أَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ مِنْ قَوْلٍ بِلاَ عَمَلٍ
لَقَدْ نَسَبْتُ بِـهِ نَسْلاً لِّذِيْ عُقُمِ

(أَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ)أي أطلب المغفرة من الله (مِنْ قَوْلٍ) صدر (بِلاَ عَمَلٍ) بمقتضاه لا من حيث هو بل من حيث أنه صدر بلا عمل إذ يجوز الاحتساب للعاصى أيضاً بل قد يجب عليه، والله (لَقَدْ نَسَبْتُ بِه) بسبب القول المذكور (نَسْلاً) ولداً (لِذِيْ عُقُمٍ) لشخص ذى عقم كَفُرْسٍ وعُنُقٍ: نازائيدن،(٤) ونسبة الولد إلى العقيم هي نسبة الأعمال إلى نفسه، إذ الظاهر(٥) من حال الآمر أنه عامل.

ويحتمل أن يراد به نسبة التأثير إليه، إذ قيامه بالوعظ بين المسلمين يشعر بأنه يعتقد أن قوله يؤثر فيهم، وليس كذلك، لأن الوعظ من غير اتعاظ لا ينفع المسلمين بل يستهزؤن به.

أو نسبته أن القول يورثه الخلافة لقوله عليه السلام: من أمر بالمعروف

(١) رواه الدارمى ٢/٣٢٢ واحمد ٥/١٥٤ والترمذى عن أبى ذر في الدعوات ٢/١٧٨ باب: غفران الذنوب مهما عظمت وصاحب المشكوه باختلاف الالفاظ، كتاب الاستغفار والتوبة: ٢٠٤.

(٢) في الأصل "لتجددى" والتصويب من "ب".

(٣) كذا وفي ب: كل من.

(٤) مصدر فارسى ومعناه: عدم القدرة على التوليد.

(٥) كلمة (الظاهر) قد اقتضبها الناسخ وكتبها (الظ) إلا أننا أثبتناها بكاملها.

ونهى عن المنكر فهو خليفة(١) الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه(٢) ولن يكون خليفة إلا إذا كان له اقتداء به صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله.

أو نسبته أنه يثمره رضاء الله تعالى لامتثاله بالمأمور، وكيف يكون مرضياً،وقد ورد "في"(٣) القرآن: كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللّٰهِ أَنْ تَقُولُوا مَالاَ تَفْعَلُونَ(٤) أو نسبته أنه يوجبه المحبة لأنه لما أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فإنه أظهر أنه لن يحبَّ أن يعصى في أرضه تعالى فيكون محباً ومحبوباً وليس كذلك(٥) إذ القرآن شاهد على كذبه قال الله تعالى: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ(٦) قال في المدارك:(٧) من ادعى محبة الله تعالى وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه وكيف يكون خليفة ومرضياً ومحبوباً وقد قال صلى الله عليه وسلم: يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه(٨) فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطوف به أهل النار، فيقولون مالك؟ فيقول: كنت آمراً بالخير ولا آتيه، و ناه عن الشر وآتيه.(٩)

(١) في الأصل: خليقة وهو التصحيف.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين ٢/١٤٥.

(٣) سقطت من الأصل والتكملة من ب.

(٤) سورة الصف، الآية: ٣.

(٥) في الأصل "أو" وصوابه "و".

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٧) راجع: تفسير مدارك التنزيل بهامش خازن ١/٢٤٣.

(٨) وفي الأصل: فيندلق ما اقتابه، والصواب ما اثبت.

(٩) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث اسامة بن زيد: ٨/٢٣٤ كتاب الزهد والرقائق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وصاحب المشكواة: ٤٣٦ في كتاب الادب، باب الأمر بالمعروف.

ثم بين قوله "من قولٍ بلا عملٍ" بقوله:

(٢٧)

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ لكــنْ مَّا ائْتَمَرْتُ بِه
وَمَا اسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِى لَكَ اسْتَقِمِ

(أَمَرْتُكَ الخَيْرَ) أي بالخير أي بفعله(١) (لكِنْ مَّا أْتَمَرْتُ) امتثلت (بِهِ) أي بالخير(٢) والأولى بحال الآمر أن يبدأ بالحسبة(٣) والوعظ نفسه ثم غيره كما روى أنه أوحى إلى عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام: يا عيسى عظ نفسك، فإن اتعظت، فعظ الناس، فإلا فاستحي منى، وقال الحسن البصرى: إذا كنت تأمر بالمعروف نفسك، فكن من آخذ الناس بِهِ (وَمَا استَقَمْتُ) على طريق الحق كما أمرت (فَمَا) تأثير (قَوْلِى لكَ اسْتَقِمِ) أي ليس له تأثيرا أصلا، إذ التأثير إنما يكون إذا كان الآمر عاملاً، وإلا فلا ينفع كلامه بل يُستهزؤ به.

ثم عطف تقريراً وتحقيقاً وإظهاراً للتحسّر على فوات الشباب الذي هو وقت المجاهدة والرياضة والذي ورد(٤) فيه: سبعة يظلّهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله؛ إمامٌ عَدلٌ(٥) وشاب نشأ في عبادة الله تعالى- على قوله "ما استقمت".

(٢٨)

وَلاَ تَزَوَّدْتُ قَبْلَ الْمَــوْتِ نَافِلَةً
وَلَمْ أُصَلِّ سِوَى فَرْضٍ وَلَمْ أَصُمِ

---

(١) في الأصل "يفعله" وهو التصحيف.
(٢) سقطت من الأصل والتكملة من ب.
(٣) كذا في الأصل وفي ب: بالحسنة.
(٤) سقطت من الأصل والتكملة من ب.
(٥) كذا وفي ب: عادل.

(وَلاَ تَزَوَّدْتُ) أي ما اتخذت زاداً لسفر بعيد، ليس فيه رفيق ممد ونصير، ولاحميم مشفق وظهير، بَلْ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ وأسير (قَبْلَ المَوْتِ) أي قبل الهرم الذي هو كالموت في الزمانة وعدم القوة على العمل وذهاب القوى.

(نَافِلَةً) مثمرةً للقرب منه تعالى ومحبته وحفظ الجوارح عما لا يرضاه الله تعالى لقوله عليه الصلاة والسلام: "لايزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحببته، فكنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصربه، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشى بها(١) والمراد بالنافلة؛ الزائدة على الفرض والواجب والسنة المؤكدة من الصلواة والصوم والصدقة وغيرها فقوله (وَلَمْ أُصَلِّ) صلوةً (سِوَى فَرْضٍ وَلَمْ أَصُمِ) صوماً سوى فرض، تخصيص بعد تعميم إظهاراً لتعظيمها، وتحسّراً على فوات هذين العملين الشريفين اللذين(٢) ورد فيهما: "أن العبد إذا قام إلى الصلوة، رفع الله تعالى الحجاب بينه وبين عبده، وواجهه(٣) بوجهه الكريم، وقامت الملائكة من لدن منكبيه، يصلون بصلاته، ويؤمّنون على دعائه"، "الصوم لى وأنا أجزى به".(٤)

ثم أكّد قوله: "ولا تزودت"، تحقيقاً له وانتقالاً إلى ماهو مقصوده من مدح سيد المرسلين حبيب إله العالمين صلى الله عليه وسلم بقوله:

(٢٩)

ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَــنْ احىَ الظَّلاَمَ إلِى
اَنِ اشْتَكَتْ قَدَمَاهُ الضُّرَّ مِنْ وَرَمِ

---

(١) أخرجه البخارى في صحيحه عن أبى هريرة: ٢٩٣/٢ في باب التواضع وانظر: شرح السنة في باب التقريب إلى الله بالنوافل والذكر، وصفة الصفوة ٤٠/١، ومسند احمد ١٥١/٦.
(٢) في الأصل "الذي" وصوابه "اللذين".
(٣) في الأصل: واجه، والصواب ما اثبت.
(٤) راجع: صحيح البخاري ٢٢٦/٢ كتاب الصوم، والجامع الصحيح ١٥٧/٣ باب فضل الصيام، والترمذى ٩٥/١ ابواب الصوم والدارمى: ٢٢٣ باب في فضل الصيام.

(ظَلَمْتُ) تركت (سُنَّةَ) طريقة (مَنْ) الذي (أَحْيَى الظَّلاَمَ) في الصراح(١): الظلام بالفتح؛ ظلمة أول الليل، وفي المهذب: الظلمة، وفي الصحاح(٢): أول الليل، والمراد ههنا: الليلة المظلمة.(٣) وفي التعبير عنها بأول الليل على ما فى الصحاح إشارة إلى أنه صلى الله عليه وسلم كان نشيطاً على إحياء الليل، ملتذاً(٤) به، مستغرق الهم به، بحيث كان عنده الليل بمنزلة أول الليل كما قيل: "سَنَة الوصال سِنة وسِنة الهجرسَنَة" يعنى أنه صلى الله عليه وسلم أحى الليلة المظلمة بترك النوم فيها بالاشتغال بالعبادة.

(إِلَى أَنِ اشْتَكَتْ) من الشكاية أي ذهبت بالشكاية إلى الله تعالى كما روى (قَدَمَاهُ الضُّرَّ) بضم الضاد، مفعول "اشتكت" (مِنْ) ابتدائية أو بنائية (وَرَمٍ) انتفاخ أي اشتكت قدماه الضر ناشيئاً من انتفاخ أو الضر الذي هو الانتفاخ لطول قيامه صلى الله عليه وسلم بالليل على ما روى عن المغيرة بن الشعبة رضي الله عنه "أنه قام صلى الله عليه وآله وسلم حتى انتفخت قدماه، فقيل له: أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: أفلا أكون عبداً شكوراً".(٥)

واعلم أنه يُعلم من ملازمته صلى الله عليه وسلم القيام وعدم تركه مع تورم قدميه صلى الله عليه وسلم أنه أمر عظيم لا ينبغـى أن يتساهل فيه، كيف

---

(١) راجع الصراح: ٣٠١ وغياث اللغات: ٢٧٥.

(٢) انظر الصحاح ١٩٧٨/٥ تحت المادة "ظلم".

(٣) في الأصل "الظلمة" والتصويب من "ب".

(٤) كذا وفي ب : متلذذا.

(٥) انظر: "الترمذى": ٣١٢ في الصلاة، باب ماجاء في الاجتهاد في الصلاة وفي "الشمائل" ٢٥٨ و "صحيح البخاري" ٤٤٩/٢ في تفسير سورة الفتح باب قوله ليغفر الله لك و "مسلم" ٢٢٥/١ في صفات المنافقين وأحكامهم، باب اكتساب الاعمال والاجتهاد في العبادة وأخرجاه أيضاً من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وشرح الشفا لعلى القاري ٣١٥/١ ودلائل النبوة للبيهقى ٢٦٩/١.

وقد قال الله تعالى: وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً(١) وقيل في قوله تعالى: فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ من قُرَّةِ أَعينٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.(٢) كان عملهم قيام الليل.

وفي الخبر: "عليكم بقيام فإنه مرضاة لربكم وهو دأب الصالحين قبلكم، ومنهاة عن الإثم وملغاة للوزر ومذهبة كيد الشيطان ومطردة للداء عن الجسد"(٣) وفي الآخر: "إذا نام العبد عقد الشيطان على رأسه ثلاث عُقَد، فإن عقد وذكر الله تعالى انحلت عقدة، وإن توضأ انحلت عقدة أخرى، وإن صلى ركعتين انحلت عقدة كلها، فأصبح نشيطاً طيب النفس ولا أصبح كسلاً خبيث النفس"(٤) وفي الآخر: "من نام حتى يصبح، بال الشيطان في أذنه"(٥) فمن حُرم قيام الليل فقد حرم خيراً كثيراً.

هذا والمراد بترك السنّة إما مطلق النوافل أو خصوص ما في هذه الصلات من قيام الليل واختيار الجوع والترفع عن الدنيا والزهد فيها.

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٤.

(٢) سورة السجدة، الآية: ١٧.

(٣) أخرجّ "البخاري" برواية أبى أمامة الباهلى في باب التهجد ٣٢٥/١ وراجع: "المستدرك" ٣٠٨/١ و"سنن أبى داؤد" في باب التطوع و"الدارمى" كتاب الرقاق و"شرح السنة" ٣٤/٤ في باب التحريض على قيام الليل.

(٤) رواه "مسلم" عن أبى هريرة في باب قيام الليل ٤٥٦/١ و"البخاري" ٤٦/٢ في صلاة الليل و"شرح السنة" في باب التحريض على قيام الليل ٣٣/٤ والنسائى ٢٠٤/٣ وأبو داؤد ٤٤/٢ وابن ماجه ٤٢١/١.

(٥) وهذا شطر من حديث رواه "البخاري" ٣٢٣/١ في التهجد، باب إذا نام ولم يصل، بال الشيطان في أذنه و"مسلم" ٢٤٨/١ في صلاة المسافرين: باب ما روى فيمن نام، و"شرح السنة" ٤١/٤ التحريض على قيام الليل و"ابن حبان" في صحيحه باب: من نام عن الفريضة والنسائى ٢٠٣/٣.

(٣٠)

وَشَدَّ مِـنْ سَغَـبٍ أَحْشَاءَهُ وَطَوَى

تَحْتَ الْحِجَارَةِ كَشْحاً مُتْرَفَ الأَدَمِ

(وَ) ظلمت سنّة من (شَدَّ) بالحجارة ليقوّم صلبه (مِنْ سَغَبٍ) لأجل(١) جوع عظيم، روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعة طاوياً هو وأهله، لا يجدون عشاءً، وكان خبزهم خبز الشعير"(٢) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض"(٣) وقال صلى الله عليه وسلم: "ولقد أتت على ثلاثون من بين ليلة ويوم مالى ولبلال طعام يأكله ذوكبد إلاشئ يواريه إبط بلال".(٤)

(أَحشَاءَه) أمعاءه، مفعول "شد" (وَطَوَى) عطف عليه (تَحْتَ الحِجَارَةِ) ظرف "طوى" (كَشْحاً) خاصرة، مفعول "طوى" (مُتْرَفَ الأَدَمِ) صفة "كشحا" أي ناعم الجلد، وأدم ككرم.

روى عن طلحة رضي الله عنه أنه قال: "شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع، ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر، فرفع رسول الله صلى الله

(١) في الأصل "لأجلة" والصواب ما اثبت.

(٢) انظر: شمائل الترمذي: ١٠ باب ماجاء في صفة خبز رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرح الشفا لعلى القارى ١/ ٣١٠.

(٣) راجع شمائل الترمذي: ١١ ومدارج النبوة ١/ ٧٦١ والشفا للقاضي ١/ ٣٠٧ وحلية الأوليا ١/ ١٠٠ في ترجمة عبد الرحمن بن عوف.

(٤) انظر: شمائل الترمذي: ٢٧ باب ماجاء في صفة خبز رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشكواة: ٤٤٨ كتاب الرقاق وأعلام النبوة: ١٩٢.

وسلم من بطنه عن حجرين"(١) وكل ذلك كان منه صلى الله عليه وسلم اختياراً لا اضطراراً، كيف ولما عرضت الدنيا عليه صلى الله عليه وسلم قال: "لا، أجوع يوماً وأشبع يوماً"(٢) وإليه أشار الفاضل بقوله:

(٣١)

وَرَاوَدَتْهُ الْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ

عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَـا أَيَّمَا شَمَمِ

(وَ) ظلمت سنة من (رَاوَدَتْهُ) جاءت وذهبت عنده صلى الله عليه وسلم، وفعلت فعل المخادع مع صاحبه لأمر يريد وقوعه منه (الْجِبَالُ الشُّمُّ) جمع الأشم وهو الأرفع كائنةً (مِنْ ذَهَبٍ عَنْ نَفْسِه) متعلق "راودت"(٣) أى راودته لأجل نفسه ليقبلها ويتمتع بها ويصرفها في حاجاته (فَأَرَاهَا) أى فأرى النبي صلى الله عليه وسلم تلك الجبال نفسه (أَيَّمَا شَمَمٍ) كاملاً في الهمة، مرتفعاً(٤) عنها، مستنكراً منها، فلم يقبلها ولم يلتفت إليها حيث صغرت في عينيه عليه الصلوة والسلام بمشاهدة مكونها، وتوجّه إلى الله تعالى وأعرض عما سواه، وترك وراء ظهره الأرضين والدنيا بحظوظها العاجلة والسموات والآخرة بحظوظها الآجلة(٥) قائلاً: "بأن الدنيا دارُ من "لا"(٦) دار له، ومال من لا مال له، قد جمعها من لا عقل له(٧) فأثنى عليه الناموس قائلاً: قد ثبتك الله يامحمد

(١) أخرجه الترمذى من حديث أبى طلحة(رض) في باب ماجاء في عيش رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) راجع: جامع الترمذي في أبواب الزهد ٢/ ٥٨ ومشكواة المصابيح ٤٢٢ في كتاب الرقاق ودلائل النبوة لأبى نعيم ٢/ ٢١٥ وشرح الشفا للعلامة على القارى ١/ ٣٠٨.

(٣) في الأصل "روادت" وهو تحريف والصواب ما اثبت.

(٤) كذا وفي ب: مترفعا.

(٥) في الأصل: العاجلة، والتصويب من ب.

(٦) سقطت من الأصل والصواب ثباتها.

(٧) أخرجه الامام احمد في مسنده من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ٦/ ٧١ والقاضي في الشفا ١/ ٣٠٩ وانظر: مشكواة المصابيح: ٤٤١ في كتاب الرقاق.

بالقول الثابت، عليه أكمل التحيات وأفضل الصلوات إلى يوم الميقات.

ولما بين إعراضه صلى الله عليه وسلم عن الجبال كل الإعراض كأنه توهم السامع كيف ذلك الإعراض بمكان الضرورة فدفع ذلك بقوله:

(٣٢)

وَاَكَّدَتْ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ
إِنَّ الضَّرُورَةَ لاَ تَعْدُوْ عَلَى الْعِصَمِ

(وَاَكَّدَتْ) أحكمت (زُهْدَهُ) والزهد هو عزوف(١) النفس عن الدنيا وانزواؤها طوعاً مع القدرة عليها، وأما إن انزوت الدنيا عن الرجل وهو قانع راضٍ صابر فهو الفقر الذي ورد فيه: "أحب العباد إلى الله تعالى، الفقير القانع"(٢) "ويدخل فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائها بخمس مائة عام"(٣) والفقراء الصبُر، هم جلساء الله تعالى يوم القيامة" وإن كان بالعكس فهو الفقر الذي ورد فيه: "كاد الفقر أن يكون كفراً"(٤) اللهم إني أعوذ بك من الفقر، الفقر سواد الوجه في الدارين.

(فِيهَا): أي عزوفه وإعراضه صلى الله عليه وسلم(٥)عن الدنيا وأمتعتها،

---

(١) في الأصل "غروف" وهو تصحيف والصواب ما اثبت.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ وعند ابن ماجه حديث: ان الله يحب الفقير المتعفف" وفي مشكواة حديث: ان الله يحب عبده المؤمن المتعفف" كتاب الرقاق: ٤٤٩ باب فضل الفقرا.

(٣) راجع: جامع الترمذي ٥٨/٢ والدارمي: ٣٨٤ وابن ماجه ١٣٨/٢ في كتاب الزهد، باب فضل الفقرا.

(٤) انظر: مشكواة المصابيح: ٤٣٠، كتاب الأدب.

(٥) وردت في ب: من.

يقال: زهد(١) في الأمر: إذا أعرض عنه، وزهد عن الأمر: إذا مال إليه، ورغب بالعكس، وإرجاع الضمير إليها أولى بمكان تقدمها معنىً.

(ضَرُورَتُهُ) فاعل "اكّدت" أى حاجته صلى الله عليه وسلم إليها بمقتضى حاجاته البشرية ولوازمه النفسانية يعنى أن حاجته باعثة داعية إلى الإعراض عن الدنيا وما فيها على الإطلاق فضلاً عن الجبال وتمتعها، فحاجته عليه الصلاة والسلام لا تدعوه إلى الدنيا أصلاً، كيف وهي مؤكدة للزهد فيها بل إنما تدعوه إلى الإعراض عنها.

ثم بين ذلك أولاً بوجه عام بقوله:

(إِنَّ الضَّرُورَةَ) الحاجة البشرية (لاَتَعْدُوْ)(٢) لاتُجاوز ولا تغلب بأن تدعوه إليها (عَلَى الْعِصَمِ) الإلهية الأزلية في حق نبينا صلى الله عليه وسلم بل العصمة(٣) جعلت ضرورته مؤكدة للزهد فيها.

وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم لما أمطر عليه بمقتضى العصمة سحائب(٤) اللطف والإحسان الأزلية وشآبيب الرحمة والعناية السرمديّة فرأى الدنيا بصورتها وشكلها كما هي مبغوضةٌ خسيسةٌ فانيةٌ مكدرة بالآم مشوبة(٥) بالأسقام، والآخرة بحقيقتها وماهيتها كما هي مرضيةٌ جليلةٌ باقيةٌ صافيةٌ عن المكدرات، خالية عن النقمات، صارت ضرورته باعثة داعية إلى الإعراض عنها بالكلية كما يعرض عن الجيفة، فأعرض عنها وعن لذاتها قائلاً: "لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة، لما سقى منها كافراً شُربة ماءٍ"(٦) وقَنِع بأدنى ما يقوّم به البِنية قائلاً: "اللهم لا تجعل الدنيا مبلغ علمى ولا أكبر همى".

---

(١) راجع التاج: ٣٦٥/٣ تحت المادة "زهد".

(٢) في الأصل "تعدوا" وصوابه بدون الالف.

(٣) وعبارة ب: العصمية جعلت ضرورية مؤكدة.

(٤) وفي ب: سحائب.

(٥) وفي ب: منسوبة.

(٦) أخرجه الترمذي من حديث سهل بن سعد في أبواب الزهد ٥٦/٢ باب ماجاء في هوان الدنيا على الله والحاكم في المستدرك ٤٧٨/٢ وابن ماجه ٣٧٧/٢ في كتاب الزهد: باب مثل الدنيا وانظر: مشكواة المصابيح في كتاب الرقاق:٤٤.

(والعِصَم) بكسر الأول وفتح الثاني، جمع عصمة، وهي لطف من الله تعالى، يحمل العبد على فعل الخير ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار.

وبين ثانياً بوجه يختص به صلى الله عليه وسلم بقوله:

(٣٣)

وكَيْفَ تدْعُوْ إلى الدُّنْيا ضَرُوْرةُ مَنْ
لَوْلاهُ لَمْ تخرُجِ الدُّنْيا مِنَ العَدَمِ

(وكَيْفَ) أي لا (تَدْعُوْ(١) إلى الدُّنْيا) الدنيّة أي الخسيسة من "الدناء"، وكيف لا، وقد ورد في الخبر: أن الله لم ينظر إليها منذ خَلَقها، أو القريبة من "الدنو" أي إلى الزوال لأنها ظل زائل وجدار مائل، أو إلى الطبائع والنفوس بالحب والقبول لكونها حلوةٌ خضرة، قال عز من قائل في الإنسان: إنَّه لحُبِّ الخَيْرِ لشَدِيْدٌ(٢) وقال: زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء،(٣) الآية.

أو(٤) القريبة المقدار، يقال: فلان قريب المحل والمقدار أي دنيّه أي السهلة المقدار يصل إليها من هو ملوث بلوث اللذات والشهوات، ويتداولها الحمقى والمجانين من أبنائها الذين هم متدنسون بدنس الغفلات(٥) والجهالات بخلاف الآخرة فإنها عظيمة الشأن رفيعة المقدار لا "يصل"(٦) إليها إلا من طهر بماء الرحمة عن لوث(٧) التعلقات ووفّق بتوفيق الله تعالى للإعراض(٨)

---

(١) في الأصل "تدعوا" وهو تحريف.

(٢) سورة العاديات، الآية: ٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٤) كذا وفي ب: و.

(٥) كذا وفي ب: العقلات.

(٦) سقطت من الأصل والتكملة من "ب".

(٧) كذافي الأصل وفي ب: بعض.

(٨) في الأصل : الاعرض، والتصويب من ب.

عن اللذات والشهوات فاستبقى طيباته لدار التحيات فيقال لهم: سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِيْنَ(١) (ضَرُوْرَةُ مَنْ لَوْلاهُ) موجود.

(لَمْ تَخْرُجِ الدُّنْيَا مِنَ العَدَمِ) بل إنما تدعوه إلى الزهد فيها لأنه لما كان صلى الله عليه وسلم هو السبب والمنشأ والواسطة في خروج الدنيا عن حضيض العدم إلى أوج الوجود كما ورد: "لولاك لما خلقت الأفلاك"(٢) كانت الدنيا كأنها أثر من آثار وجوده صلى الله عليه وسلم، ومن عادات الكرام أن لا يخطروا ببالهم ما بذلوه بل يعرضون عنه كل الإعراض ويجعلونه كالمنسى فضلاً عن أن دعتهم ضرورتهم إليه.

هذا وبما ذكرنا ظهر، أن كلا الوجهين مبنيان على المنع، وهو أولى من القول بأن الأول مبنى على تسليم الدعوة والثانى على منعها، كيف وهو مناف لقوله: "واكّدت زهده"(٣) الخ فتدبر! هذا ما خطر(٤) بالبال، والله أعلم بحقيقة الحال.

ثم لما ذكر للممدوح(٥) من صفات العظام ما يتحير فيه الأفهام، تاق السامع واشتاق إلى استماع اسمه المبارك وكأنه سأله عنه فقال إجابةً لمسؤله هو:

(٣٤)

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ والثَّقَلَيْنِ
والفَرِيْقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ ومِنْ عَجَمِ

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٧٣.

(٢) انظر: الخصائص الكبرى ١٩٣/٢ وشرح الشفا لعلى القارى ٦٨/١ وجواهر البحار ٩٨/١ والموضوعات الكبرى: ٢٩٥.

(٣) إشارة إلى البيت رقم: ٣٢.

(٤) كذا في الأصل وفي ب: خطرني..

(٥) في الأصل "للمدوح" وهو خطأ والصواب ما اثبت.

(مُحَمَّدٌ) حمدهُ الله سبحانه وتعالى بقوله: انَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ(١) وَمَا اَرْسَلْنَاكَ إلاَّ رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ(٢) إنَّا اَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَداعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً(٣) ويحتمل الجر على البدلية والنصب على المدح (سَيِّدُ) أهل (الكَوْنَيْنِ) أي الدنيا والآخرة من الملك والانس والجن وغيرهم أي الفائق على أهلها بِأَسْرِهِم بحيث لا يوجد فيهم من يفوقه أصلاً لأنه ارتفع عن الإتِّباع ونال درجة الاستتباع وتفرد بعلو رتبته بحيث يفيد الخلق ولا يستفيد ويستتبع ولا يتبع ولا يشهده أحد إلا ويفنى عن ملاحظة نفسه ويصير مستوفى الهَم به غير ملتفت إلى ذاته فلا يطمع أحد في استتباعه ولم يُحظ بهذا غيره صلى الله عليه وسلم ولذا قال: "لو كان موسى بن عمران حياً ما وسعه إلا اتباعي"(٤) وأنا أكرم الأولين والآخرين عند الله ولا فخر، وأنا سيد ولد آدم ولا فخر، وآدم ومن دونه تحت لوائي".(٥)

وقد يطلق "الكريم" على الله تعالى الحكيم الورع والذي لا يغلبه غضبه، والذي يطيع ربه و(٦) لا يعصيه، والحسَن الخلق، والمالك لنفسه، والقانع بما قُسم له، والذي لا يحسد،(٧) والراضى بقضاء الله تعالى، والمتوكل على الله تعالى، والذي عظمت همته أن يخطر الدنيا بقلبه، والذي تحرز عن رق الكونين، وتحقق بعبادة المكون، ومن استوت أحواله عند المنع والإعطاء.

---

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥.

(٤) راجع: مسند الامام احمد ٣٨٧/٣ ومدارج النبوة ١٦٠/١ والمنار المنيف: ٧٢ ومجمع الزوائد ١٧٤/١.

(٥) أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن عباس(رض) في ابواب المناقب ٢٠٢/٢ باب ماجاء في فضل النبي صلى الله عليه وسلم، وانظر شرح الشفالعلى القارى ٧٤/١.

(٦) سقطت في الأصل والتكملة من ب.

(٧) في الأصل: يجند، والتصويب من ب.

(٨) في الأصل: يحظر، مصحفا

(وَالثَّقَلَيْنِ) أي الإنس والجن، أفردهما بالذكر اهتماماً بشأنهما لكونه عليه الصلاة والسلام مبعوثاً إليهما (وَالفَرِيقَيْنِ) خصهما بالذكر إظهاراً للفضل على(١) الجن (مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ) بيان للفريقين، والعرب والعجم جاء بفتحتين وبضم الأول وسكون الثاني، لكن الأول ههنا جار(١) على الثاني والثاني على الأول، ومن قال: الأول محتمل، فقد سها، والنكتة في الإعادة الإيذان(٢) باستقلال سيادته على كلا الفريقين.

والقول بأنه تخصيص بعد التعميم إظهاراً لزيادة فضلهما، ليس على ما ينبغي، لأنه يلزم(٣) تفضيل الثقلين على الملائكة مطلقاً إذ المتبادر من ذكر الخاص بعد العام أنه امتاز عن سائر أفراد العالم بصفات الكمال على الإطلاق بحيث يعد جنساً آخر، وكذا القول بأنه للرد على من زعم أن نبوته مختصة بالإنس كما أن تخصيص الفريقين للرد على من زعم أن نبوته مختصة بالعرب وذلك لأن هذا القائل لو أثبت كونه صلى الله عليه وسلم مبعوثاً إلى الثقلين والفريقين بكونه صلى الله عليه وسلم سيد الكونين يلزم كونه مبعوثاً إلى الملائكة أيضاً بل إلى كل ما فى الكون الأول وإلا فلا يحصل الرد فتدبر! وكذا(٤) القول بأنه لما ذكر سيادته أورد شهداء كثيرة إجمالاً وتفصيلاً لأن كثرتهم أدل على صدق الدعوى، باطل و بطلانه غنى عن البيان.

ولما ذكر أن له سيادةً تامةً و رياسةً كاملةً على أهل الأولى والعقبى، أشار إلى وجه الأولى بقوله:

(٣٥)

نَبِيُّنَا الآمِرُ النَّاهِي فَلاَ أَحَدٌ
اَبَرُّ فِي قَوْلِ لاَ مِنْهُ وَلاَ نَعَمِ

---

(١) كذا في الأصل وفي ب: جاء.

(٢) كذا في الأصل وفي ب: الاستيذان.

(٣) وردت في ب: يستلزم

(٤) في الأصل: لذا، والتصويب من ب.

(نَبِيًّا)(١) فعيل من النبوة وهي الرفعة أو من النبأ وهو الخبر، والنبي إنسان بعثه الله تعالى إلى الخلق لتبليغ الأحكام وبينه وبين الرسول مساواة عند بعض، لكن يخالف ما روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه سئل عن الأنبياء فقال: "مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، فقيل: فكم الرسل منهم؟ فقال: ثلاث مئة وثلاثة عشر.(٢)

وقيل: الرسول إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحى إليه فإن كان صاحب كتاب أو ناسخ شريعةٍ سابقةٍ فهو نبيّ، وعلى هذا يكون النبيّ أخصّ، وهذا أيضاً يخالف ما روى، وظاهر قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ.(٣)

وقيل: الرسول من كان صاحب شريعة جديدة، والنبي أعم، وفيه ما ذكر القاضي في تفسير قوله تعالى في حق اسماعيل على نبينا وعليه السلام: وَكَانَ رَسُولاً نَبِياً(٤) من أنه يدل على أن الرسول لا يلزم أن يكون صاحب شريعة متجددة فإن أولاد ابراهيم عليه السلام كانوا على شريعته،(٥) وهو بالرفع والنصب والجر على مامرّ أو على أنه صفة محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره:

(الآمرُ النّاهِيْ) قيل: تعريف الخبر يفيد الحصر، وهو ليس على ما ينبغي، إذ الأنبياء كانوا كذلك، قلت: المراد الآمر بمأمورات، والناهى عن منهيات لا نسخَ لها، أو لكافة الإنس والجآن، والآمر والناهى على الإطلاق إذ الأنبياء عليهم

(١) الأصل "نبياً" وهو تحريف.

(٢) أخرجه صاحب الحلية في حديث طويل في ترجمة أبي ذر رضي الله عنه: ١٦٧/١ وانظر ايضاً: مسند احمد: ١٩٠/١ باب عدد الأنبياء والمرسلين بلفظ "ثلاث مئة وخمسة عشر".

(٣) سورة الحج، الآية: ٥٢.

(٤) سورة مريم، الآية: ٥٤.

(٥) انظر في تفسير البيضاوي: ٣٤٨.

السلام نوّابه صلى الله عليه وسلم في التبليغ على ما أشير إليه في قوله صلى الله عليه وسلم: "كنت نبياً وآدم بين الماء والطين".(١)

وفيه من الدلالة على كونه أفضل الخلق وسيدهم ما لا يخفى، ومنه ظهر وجه صحة التوصيف على تقدير كونهما صفة لنبينا وصحة تفريع قوله "فلا أحد عليه، وبعضهم جعلوه متفرعا على قوله "سيّد الكونين"، والأول فهو الوجه، فتدبر!

"الآمر" بالمعروف لكافة الانس والجان، أمر قوما بالصبر في مضض الطاعات التي "هي"(٢) الشريعة، وجمعاً مع ذلك بمصابرة النفس في ترك العادات التي هي الطريقة، وآخرين مع ذلك بمرابطة السرّ على جناب الحق لترصّد الواردات التي هي الحقيقة، الناهي(٣) لهم عن المنكر والطغيان، نهى قوماً عن المحرمات والمكروهات، وآخرين عن الانهماك في اللذات والشهوات، وجمعاً عن الوقوف على مقام يتصور فوقه مقامات، قيل: الآمر بكل ما ورد به الأمر في شريعته،(٤) والناهى عن كل ما ورد عنه النهى في شريعته(٤).

ويُعلم منه أن هذا النبيّ رسول ومن أولى العزم، لأن الأمر بالتلاوة من الأمور التي ورد بها(٥) الشرع وسائر الكتب منسوخة فلا بُدّ له من الكتاب، وكذا الأمر بالجهاد، وفيه بحث لأنه إن أريد بالشريعة شريعة مَن قَبله من الأنبياء عليهم السلام لم يثبت به أنه رسول ومن أولى العزم، كيف وهو صلى الله عليه وسلم

(١) راجع: الخصائص الكبرى ٣٠/١ باب خصوصية النبي صلى الله عليه وسلم بكونه أول النبيين في الخلق وشرح الشفا لعلى القاري ٦٣/١ ودلائل النبوة لأبي نعيم ٥٤/١ والمستدرك للحاكم ٦٠٠/٢ ودلائل النبوة للبيهقى ٣٨٨/١.

(٢) سقطت في الأصل والتكملة من "ب".

(٣) في الأصل "الناهية" وصوابه "الناهي".

(٤) وفي الأصل في الموضعين: شريعة، والتصويب من ب.

(٥) كذا في الأصل وفي ب: به.

ليس آمراً(١) بكل مأمور به فيها، وناهياً عن كل منهى فيها، وإلا فالأمر ظاهر، فتامل! وإذا كان هو الآمر الناهي على ما ذكر:

(فَلاَ أَحَدٌ) من الخلائق (أبرّ) أصدق (فِيْ قَوْلِ لاَ) أي نفى الأشياء مثل المحرم والمكروه وغير ذلك (مِنْهُ) أي من النبي صلى الله عليه وسلم متعلق "ابر" (ولاَ) أصدق منه في قول (نَعَمِ) أي إثبات الأشياء مثل الواجب والمندوب والمباح وغير ذلك.

"ولا" في "لا أحد" للتبرِيَة والرفع على مذهب المبرِّد(٢) أو ملغاة للضرورة، والنكرة المنفية وإن كانت ظاهرة في الاستغراق لكن بمعونة السياق صارت نصاً فيه وذلك لأن النكرة في سياق النفى والنهى والاستفهام ظاهرة في الاستغراق ويحتمل عدم الاستغراق احتمالاً مرجوحاً، وأما إذا كانت "النكرة"(٣) مع من ظاهرة نحو "ماجاءنى من رجل" أو مقدرة نحو "لا رجلَ في الدار" فهو نص في الاستغراق حتى لا يجوز "ما من رجل" أو "لا رجل في الدار بل رجلان"، صرح به العلامة التفتازانى في المطول.(٤)

و"ليس" بمعنى ليس إذ لم يثبت في كلامهم عمل "لا" عمل ليس بل لم يرِد إلا كون الاسم بعدها مرفوعاً والخبر محذوفا نحو "لا براحٌ ولا مستصرخ" فظنوا أنها عاملة عمل "ليس". و "الحق"(٥) أنها "لا" التبرية ملغاة(٦) للضرورة صرح بذلك الشيخ(٧) الرضى، هذا وأشار إلى وجه الثانية بقوله:

---

(١) في الأصل "آمر" بدون الالف والصواب ثباتها.

(٢) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان الأزدى، صاحب كتاب "الكامل في الأدب" ولدسنة ٢١٠هـ وتوفى سنة ٢٨٦هـ، انظر: طبقات النحويين: ١٠١، ١١٠.

(٣) التكملة من "المطول" للتفتازانى، ص: ٨٣.

(٤) راجع "المطول" ٨٣، ٨٤ وشرح تلخيص المفتاح: ٢٨.

(٥) التكملة من شرح الكافية للرضى: ٢٣١/١.

(٦) سقطت في الأصل والتكملة من "ب".

(٧) انظر: شرح الكافية للرضى الاسترآبادى: ٢٣١/١.

(٣٦)

هُوَ الْحَبِيْبُ الَّذِيْ تُرْجى شَفَاعَتُه
لِكُلِّ هَوْلٍ مِـنَ الأهْوَالِ مُقْتَحِمِ

(هُوَ) أي النبي صلى الله عليه وسلم (الْحَبِيْبُ الَّذِيْ) يكون الخلق بأسوته واتباعه، محبين لله تعالى ومحبوبين له تعالى، قال الله تعالى: قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّوْنَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُوْنِيْ يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ(١) والذي (تُرْجَى) تتوقع (شَفَاعَتُهُ) للمجرمين من المؤمنين، يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ اَخِيْهِ وَاُمِّهٖ وَاَبِيْهِ وَصَاحِبَتِهٖ وَبَنِيْهِ(٢) يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "لكل نبيٍ دعوة مستجابة، فتعجل كل نبى دعوته، وأنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة فهى نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئا".(٣)

(لِ) أجل (كُلِّ هَوْلٍ) وتخويف من "هاله هولاً" خوّفه تخويفاً (مِنَ الأَهْوَالِ) المتنوعة (مُقْتَحِمِ)(١) صفة "هول" أي مدخول فيه الناس بعنف وشدة أو داخل فيهم كذلك.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٢) سورة عبس، الآية: ٣٦.

(٣) أخرجه البخاري عن أبي هريرة في الدعوات ١٤٥/٧ باب لكل نبى دعوة مستجابة، وانظر: الموطا للامام مالك ٢١٢/١ في القرآن، باب ماجاء في الدعاء وصحيح مسلم في الايمان، باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته ١٣٠/١ وابن ماجه ١٤٤٠/٢ باب ذكر الشفاعة والدارمى ٣٧٨ باب في الشفاعة.

والحصر المستفاد من التعريف حقيقى، لأن جنس الحبيب الذي يتوقع شفاعته لجميع الأهوال مخصوص به صلى الله عليه وسلم، وإن كان لغيره رتبة الشفاعة في البعض أو جنس الحبيب الذي يتوقع شفاعته الكائنة قبل كل أحد لقوله صلى الله عليه وسلم: "أنا أول شفيع" أو المقبولة قبل كل أحد لقوله صلى الله عليه وسلم "أنا أول مشفع".(١)

أو الذي يرجو ويتوقع شفاعته كل أحد لعلو درجته ومرتبته عند الله تعالى وعموم سيادته ورياسته على الخلائق لقوله عليه الصلوة والسلام: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وآدم ومن دونه تحت لوائى"(٢) والخلق مولعون في التوسل بأخص الخواص عند الملك الذي له مجال القول عنده.

ويؤيد هذه الاحتمالات قوله صلى الله عليه وسلم: "يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتّمون لذلك، فيقولون: لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الخلق، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا "لك".(٣) اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا، فيقول: لست هُناكم، فيذكرخطيئته التي أصاب، فيستحى ربّه منها، ولكن ايتُوا نوحاً، أول رسول بعثه الله، فيأتون نوحاً، فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته

(١) انظر: جامع الترمذى ٢٠٢/٢ أبواب المناقب والدارمى: ١٦ باب ما أعطى النبي(ص) من الفضل والجامع الصحيح ٥٩/٧ كتاب الفضائل وسنن أبي داؤد ٥٤/٥ كتاب السنة، وسنن ابن ماجه ١٤٤٠/٢ باب ذكر الشفاعة.

(٢) راجع: سنن الدارمى: ١٦ باب ما أعطى النبي(ص) من الفضل وسنن ابن ماجه ١٤٤١/٢ باب ذكر الشفاعة وجامع الترمذي ٢٠٢/٢ أبواب المناقب، باب ماجاء، في فضل النبي صلى الله عليه وسلم والجامع الصحيح ٥٩/٧ كتاب الفضائل.

(٣) سقطت من الأصل والتكملة من الجامع الصحيح ١٢٤/١ باب إثبات الشفاعة.

التي أصاب، فيستحى ربه منها، ولكن ايتوا ابراهيم الذي اتخذه الله خليلاً، فيأتون ابراهيم، فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب، فيستحى ربه منها، ولكن ايتوا موسى الذي كلمه الله وأعطاه التوراة، فيأتون موسى، فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب، فيستحى ربه منها، ولكن ايتوا عيسى روح الله وكلمته، فيأتون عيسى روح الله وكلمته، فيقول: لست هناكم، ولكن ايتوا محمداً "صلى الله عليه وسلم" عبداً قد غفرله ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوننى، فاستأذن على ربى، فيؤذن لى، فإذا أنا رأيته وقعت ساجداً فَيَدَعُنى ماشاء الله أن يَدَعَنى، فيقال يامحمد: ارفع رأسك، قل تسمع، سل تعط، اشفع تشفع.

فارفع رأسى فأحمد ربى بتحميد يعلمنيه ربى، ثم اشفع فيحدّ لى حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فأقع ساجداً فيدعنى ماشا الله أن يدعنى، ثم يقال لى: ارفع رأسك يامحمد، قل تسمع وسل تعط واشفع تشفع، فارفع رأسى فأحمد ربى بتحميد يعلمنيه ربّى، ثم اشفع فيحد لى حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة.(١)

هذا وبما ذكرنا ظهر أن السؤال بأن قصر الصفة على الموصوف يقتضى أن غيره ليس بحبيب، والجواب بأن جعل محبة غيره في جنب محبته ليس بشئى، إذ المقصود هو مجموع(٢) الموصوف والصفة لا الموصوف وحده فتأمل!.

ولما بين أنه صلى الله عليه وسلم أفضل الأولين والآخرين وسيد مافى الكونين من العالمين، ناسب أن يشير إلى أن دينه الذي قال الله تعالى فيه: إِنَّ الدِّيْنَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ،(٣) وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيْناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ

(١) راجع: الجامع الصحيح ١٢٤/١ كتاب الايمان، باب اثبات الشفاعة، وسنن الدارمى: ١٧ باب ما اعطى النبي صلى الله عليه وسلم من الفضل وباب الشفاعة: ٣٧٨ وجامع الترمذي ٦٦/٢ أبواب صفة القيامة، باب ماجاء، في الشفاعة وسنن ابن ماجه ١٤٤٢/٢ باب ذكر الشفاعة.

(٢) كذا في الأصل وفي ب: مجمع.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

مِنَ الخَاسِرِينَ.(١) وَهُوَ الَّذِيْ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِيْنِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّيْنِ كُلِّه(٢) أفضل من سائر الأديان، فقال مستأنفا، ويحتمل العطف على الصلة بحذف العاطف، وهو جائز في الشعر، ويحتمل أن يكون صلة بعد صلة بلا عاطف بينهما كما في الأخبار والصفات، والقصر باعتبار المفعول أو أنه هو الداعي حقيقة:

(٣٧)

دَعَا إِلَى اللهِ فَالْمُسْتَمْسِكُوْنَ بِهِ
مُسْتَمْسِكُوْنَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ

(دَعَا) النبي صلى الله عليه وسلم كل واحد من الإنس والجآن، حذف للتعميم كقوله تعالى: وَاللهُ يَدْعُوْ إِلَى دَارِالسَّلَامِ(٣) (إلى)(٤) الإيمان ب (اللهِ) وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، اختاره من بين الأسماء لأن هذا الاسم أعظم(٥) الأسماء، لأنه أدل(٦) على الذات الجامعة للصفات الإلهية كلها بحيث لا يشذّ منها شئ، وسائر الأسماء لا يدل أحادها إلا على أحاد المعاني من علم وقدرة وغيرهما ولأنه أخص الأسماء، إذ لا يطلقه أحد على غيره لا حقيقة(٨) ولا مجازاً.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٨.

(٣) سورة يونس، الآية: ٢٥.

(٤) سقطت في الأصل والتكملة من ب.

(٥) في الأصل "الأعظم" وصوابه بدون الالف واللام.

(٦) كذا وفي ب: دال.

(٧) في الأصل: اللذات، والتصويب من ب.

(٨) في الأصل غيره، والتصويب من ب.

(فَالْمُسْتَمْسِكُوْنَ) فالذين تمسكوا واعتصموا (بِهِ) أي بالإيمان بالله أو بالنبي صلى الله عليه وسلم في إطاعته فيما جاء به، والاقتداء به في هديه أو بدعائه إلى الله تعالى (مُسْتَمْسِكُوْنَ بِحَبْلٍ) بدين، كقوله تعالى: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ(١) (غَيْرِ مُنْفَصِمِ) ذلك الحبل، بالفاء، أي غير منقطع بل باق إلى قيام الساعة بخلاف سائر الأديان.

ويجوز أن يراد بالحبل القرآن لقوله صلى الله عليه وسلم: "القرآن حبل الله المتين، لا ينقضى عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، من قال به صدق، ومن عمل به رشد، ومن اعتصم به فقد هدى إلى صراط مستقيم"(٢) والمراد بكون القرآن غير منفصم؛ أنه يبقى معمولاً إلى يوم النشور أو أنه هاد في الأولى وشفيع في العقبى لقوله صلى الله عليه وسلم: "إن القرآن يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه"(٣) "ما من شفيع أفضل منزلة عند الله تعالى يوم القيامة من القرآن، لا نبي ولا ملك ولا غيره".(٤)

وناهيك حجة على أفضلية هذا الدين، أنه عم الإنس والجآن، ونسخ جميع الشرائع والأديان، وبقي إلى يوم النشور والميزان.

ثم أنه بعد ما أثبت سيادته على الإطلاق أراد أن يفصّل(٥) بعض التفصيل ويبين تفوقه على الأنبياء فيما هو أمهات الصفات ومنبع محاسن

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) أخرجه الترمذى من حديث الحارث الاعور عن علي في أبواب فضائل القرآن، باب ماجاء في فضل القرآن والدارمي: ٤٢٣ عن علي رضي الله عنه في باب فضل من قرأ القرآن.

(٣) أخرجه مسلم في الجامع الصحيح ١٩٧/٢ باب فضل قراءة القرآن وابن حبان في "صحيحه" ٢٨٠/١ والحاكم في المستدرك ٥٦٤/١.

(٤) راجع: جامع الترمذى ١١٨/١ في باب ثواب القرآن ومسند الامام أحمد ٣٥٢/٥.

(٥) وعبارة ب: يفصل بعض التفصيل.

الأخلاق من الخلق الذي ورد فيه: "أثقل مايوزن في الميزان خُلق حَسَنٌ"(١) "وأفضل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً"(٢)وقيل:ما الدين؟ فقال عليه الصلاة والسلام: حسن الخلق.(٣)

والعلم الذي ورد فيه: يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات(٤) في الدنيا من العزة والهيبة والكرامة والمحبة والشريعة والوقار والثناء، وفي الآخرة من العطاء والبهاء والرضاء واللقاء، والأجر الكثير والرحمة والشفاعة وتضعيف الحسنات، قال غليه الصلاة والسلام: "فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وعبادة العالم يوماً واحداً تعدل عبادة العابد أربعين سنة.(٥)

والكرم الذي ورد فيه: "السخاء شجرة تنبت في الجنة، فلا يلج الجنة إلا سخي"- "السخى الجهول أحب إلى الله تعالى من العابد البخيل".(٦)

---

(١) انظر: سنن أبي داؤد ٣٤٨/٤ باب في حسن العشرة، كتاب الأدب ومشكواة المصابيح: ٤٣١ كتاب الأدب.

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب الايمان ٨٥/٢ وانظر: مسند الامام أحمد ٧٨/١ وسنن الدارمي: ٣٧٦ باب في حسن الخلق وسنن أبي داؤد ٦٠/٥ كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الايمان ونقصانه.

(٣) لم اعثر على تخريجه وفي المشكواة في باب الرفق والحيا: ٤٣١ حديث: قالوا: ماخير ما اعطى الانسان، قال(ص): الخلق الحسن.

(٤) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٥) انظر: جامع الترمذي ٩٣/٢ في أبواب العلم، باب ماجاء في فضل الفقه على العبادة، وسنن الدارمي: ٥٤ باب فضل العلم والعلماء وسنن ابي داؤد ١٩/٣ كتاب العلم وسنن ابن ماجه ٥٠/١ وصحيح ابن حبان ٢٤٧/١.

(٦) أخرجه الترمذي في أبواب البر والصلة ١٨/٢ في باب ماجاء في السخاء بلفظ "الجاهل".

فقال مستانفاً، ويحتمل العطف على الصلة بحذف العاطف:

(٣٨)

فَاقَ النَّبِيِّيْنَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ
وَلَمْ يُدَانُوْهُ فِي عِلْمٍ وَلاَ كَرَمِ

(فَاقَ) علا (النَّبِيِّيْنَ) كل واحد منهم (فِي خَلْقٍ) كنصر، الصورة الظاهرة، ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: "أنا أملح"(١)

ذكر في "شواهد النبوة": أن حسنه صلى الله عليه وسلم وجماله وتناسب أعضائه الشريفة ولطافة جسمه اللطيف وطيب رائحته وعرقه ونزاهة بدنه المبارك كان على وجه لا يتصور عليه مزيدٌ(٢) كما بين في الأحاديث الصحيحة، قال أنس رضي الله تعالى عنه: ما شممت عنبراً ولا مسكا أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم.(٣)

(وَ) فاقهم (فِيْ خُلُقٍ) كعنق، السيرة الباطنة، يدل عليه قوله تعالى: وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيْمٍ.(٤)

وذكر فيه أيضاً أن أخلاقه صلى الله عليه وسلم من العلم والعفو والجود والشجاعة والحياء وحسن المعاشرة مع الخلق والشفقة والرأفة والرحمة على جميع الخلائق والوفاء بعهد وصلة الرحم والتواضع والعدل والأمانة والعفة والصدق والوقار والمروة والزهد في الدنيا والقناعة وغير ذلك من الأخلاق الحميدة

---

(١) راجع: مدارج النبوة ٢١٢/١ والخصائص الكبرى ١٨٢/٢.

(٢) انظر: شواهد النبوة: ٢٣٤ الركن الخامس.

(٣) انظر: شمائل الترمذي: ٣٥ وشرح الشفا للعلامة على القارى ١٥٧/١ ودلائل النبوة للبيهقي ١٨٨/١.

(٤) سورة القلم ، الآية: ٤.

والأوصاف الشريفة كان في كمال الاعتدال بحيث لم يتصور عليه مزيدٌ.(١)

وذكر السيد على الهمدانى في بعض مصنفاته أن أمهات الأوصاف الكْمالية(٢) التي هي أصول مكارم الأخلاق الإنسانية عشرة، وسائر الصفات الحميدة تتشعب منها وهي: العلم والحلم والحياء والسخاوة والتقوى والشجاعة والعدل والصبر والصدق واليقين، وهذه الصفات على الكمال لا توجد في غير ذات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبقدر حصول هذه الحقائق للأنبياء والأولياء والعلماء، يحصل لهم بالروح النبوية رابطةٌ معنوية، تكون وسيلةً إلى قرب الحضرة الصمدية.

(ولَمْ يُدانُوهُ) أي لم يقرب جميع الأنبياء النبي فضلاً أن يساووه أو يزيدوا عليه (فِيْ عِلْمٍ) من العلوم، كيف وقد قال عليه السلام: "علمت علم الأولين والآخرين"(٣) ولأن كمال علمه وعقله ومعرفته كان بمثابة لم يوجد في إنسان أصلاً بل كان خارجاً عن طوق البشر.

والدليل عليه أنه مع كونه صلى الله عليه وسلم أمياً لم يتعلم من أحد أصلاً، كان أعماله وأحواله وشمائله على وجهٍ، لا يفي به علم أحد ولا عقله، وكان عالماً بما في التوراة والانجيل وسائر الكتب المنزلة من غير أن يتعلم من أحد أو يطالعها أو يجالس(٤) أهل الكتاب (ولاَ كَرَمٍ) كيف وقد قال الله تعالى: وَمَا أَرسَلْنَاكَ إلاَّ رَحْمَةً لِلعَالَمِيْنَ.(٥)

ثم أنه أشار إلى أن الأنبياء كلهم معترفون بفضله وشرفه عليهم، طالبون منه معرفة المعارف والأسرار، محتاجون إليه احتياج المتعلم (إلى المعلم)(٦) فقال:

---

(١) هذه المعلومات أخذها الشارح من "شواهد النبوة" ص: ٢٣٦.

(٢) في الأصل"الكمال" وهو خطأ والصواب ما اثبت.

(٣) انظر: جواهر البحار ٢/ ١٥٠ ومدارج النبوة ١/ ١٧٤.

(٤) في الأصل "يجلس" وهو خطأ والصواب ما أثبت.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٦) ما بين القوسين سقط من الأصل والتكملة من ب.

(٣٩)

وكُلُّهُمْ مِنْ رَّسُــــوْلِ اللّه مُلْتَمِسٌ
غَرفاً مِّنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشَفاً مِنَ الدِّيَمِ

(وكُلُّهُمْ) أي الأنبياء عليهم السلام (مِنْ رَسُوْلِ اللّه) المقدم عليهم في عالم الأرواح لقوله عليه الصلاة والسلام: "كنت نبيا وآدم بين الماء والطين"(١) لا من غيره، إذ لا أكملَ حالاً منه منهم غيره عليه السلام، ووضع المظهر موضع المضمر تفخيما للشأن، وهو متعلق بقوله (مُلْتَمِسٌ) خبر لكلهم أي كلهم طالب من رسول الله. (غَرْفاً) كفاً من الماء.

(مِنَ الْبَحْرِ) وهو معروف، استعير لجهة الولاية التي هي عبارة عن التوجه إلى الله استعارة تصريحية، وذكرُ الغرفِ ترشيحٌ أي كلهم طالب من ولايته(٢) المحيطة بجواهر المعارف ولآلى الأسرار المشار إليها بقوله عليه الصلوة والسلام: "لى مع الله وقت، لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل"(٣) معرفة شئى من المعارف والأسرار، وفيه رمز إلى أن علوم جميع الأنبياء بالنسبة إلى علمه عليه الصلاة والسلام بمنزلة كف الماء من البحر.

---

(١) انظر: دلائل النبوة لأبى نعيم ١/ ٥٤ والمستدرك ٢/ ٦٠٠ وشرح الشفا للعلامة على القارى ١/ ٦٤ والخصائص الكبرى ١/ ٣١ ودلائل النبوة للبيهقى ١/ ٣٨٨ باب الوقت الذي كتب فيه محمد صلى الله عليه وسلم نبياً.

(٢) في الأصل "ولاية" والصواب ما اثبت.

(٣) انظر: كتاب اللمع: ١٦١ وعوارف المعارف ٢/ ١٤٧ وجواهر البحار ١/ ٣٢٩ وقال العلامة على القارى في الموضوعات الكبرى: ٢٢٩: معناه صحيح ولكن السند لا يعرف ويذكره الصوفية كثيراً.

(أَوْرَشْفاً) والرشف، المَصُّ، والمراد القطرة، وفيه إشارة إلى غاية احتياجهم إليه عليه الصلاة والسلام احتياج الطفل إلى المربى.

(مِنَ الدِّيَمِ) كنعم جمع ديمة كنعمة، وهو المطر الكثير الدرور، واستعيرت لجهة النبوة التي هي متعددة بكثرة الشرائع والأحكام منزلة باعتبار كل شريعة منزلة مطرٍ استعارة تصريحية،(١) وذكر الرشف ترشيحٌ أي كلهم طالب قطرة ماءٍ من نبوته التي كالمطر الكثير الدرور ليكون رياض مللهم وأديانهم مخضرة ذانضارة.

وفيه إيماء إلى أن ما بلغوه من مشكواة نبوته عليه الصلاة والسلام إلى الأمم من الشرائع والأحكام بمنزلة قطرة من قطرات المطر بالنسبة إلى هذه الشريعة، وفي التعبير عن جهة الولاية النبوية التي هي الأولى من جهة النبوة لا جهة الولاية في الولى لأنها وجه إلى الله تعالى ومقصودة بالذات في جميع الأوضاع والأحوال بالبحر الذي هوجار(٢) دائماً.

وعن جهة النبوة التي هي وجهٌ إلى الخلق ومقصودة بالغير في بعض الأحيان بالأمطار التي تكون في بعض الأزمان وعن المطلوب من الأولى بالغرف ومن الثانية بالرشف من المناسبات ما لا يخفى، ويجوز أن يُراد من الأولى الثانية ومن الثانية الأولى، وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا(٣) فتدبر!

ثم(٤) عطفَ قوله "ملتمس" بياناً لغاية أدبهم معه عليه الصلاة والسلام عند حضورهم عنده(٥) ولذا رُوعِي في المعطوف جانب المعنى تقريراً للسابق.

---

(١) في الأصل "تصريحة" وهو خطأ والصواب ما اثبت.

(٢) وعبارة ب: التي هي جارية دائما.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٨.

(٤) وعبارة ب: عطف قوله ملتمس.

(٥) في الأصل: عنه، والتصويب من ب.

(٤٠)

وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمِ
مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحِكَمِ

(وَوَاقِفُونَ) من الوقوف (لَدَيْهِ) أي النبي صلى الله عليه وسلم (عِنْدَ حَدِّهِم) المعين الذي لا يجاوزونه أصلاً ملتمسين (مِنْ نُقْطَةِ العِلْمِ) أي من النقطة التي هي علمه عليه الصلاة والسلام تحصيل الحقائق والمعارف الالهية، ولما كان النقطة سبب التميز(١) بين الحروف، ناسب أن يعبر بها عن العلم الذي هو سبب(٢) التمييز بين الرجال، (أَوْ) لمنع الخلو، ملتمسين.

(مِنْ شَكْلَةِ الحِكَمِ)(٣) أي من الشكلة التي هي حِكمه وشرائعه طُرق إمضاء الأوامر والنواهي، ولما كانت الشكلة التي هي كتبة الحركات والنقطة مبينة للمقصود، ناسب أن يعبر بها عن الشرائع(٤) التي تبين ما ينفع في الدارين وما يضر.

ثم فرع على ما ذكر من كونه عليه الصلاة والسلام أفضل الخلق في الصورة والسيرة قوله:

(٤١)

فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُه
ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيباً بَارِئُ النَّسَمِ

---

(١) كذا في الأصل وفي "ب": التمييز.

(٢) قدوردت في الأصل كلمة "سبب" بالتكرار.

(٣) في الأصل "شكلة" وهو تحريف.

(٤) كذا في الأصل وفي ب: الشريعة.

(فَهُوَ) النبي صلى الله عليه وسلم (الَّذِيْ تَمَّ) كمل (مَعنَاهُ) كمالاته المعنوية (وَصُوْرَتُه) الظاهرة أي الذي كمل كمالاته الظاهرة والباطنة منحصر فيه صلى الله عليه وسلم (ثُمَّ) للاستبعاد بين المضمونين (اصْطَفَاهُ) اختاره، عطف على "ثم".

(حَبِيْباً) مفعولٌ ثان بتضمين معنى الجعل أي اختاره جاعلاً له حبيباً، مأخوذ من قوله عليه الصلاة والسلام: "ألا أنا حبيب الله ولا فخر".(١)

(بَارِئ النَّسَم) موجد الخلق، والله تعالى خالق من حيث أنه(٢) مقدر، وبارئ من حيث أنه مخترع موجد، ومصور من حيث أنه مرتب صُوَر المخترعات، والنسم جمع نسمة كحسنة بمعنى النفس بتحريك العين أو الانسان أو ذى الروح.

(٤٢)

مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيْكٍ فِــيْ مَحَاسِنِهِ
فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيْهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ

(مُنَزَّهٌ) خبرٌ بعد خبرٍ لقوله فهو أى مبعَّد (عَنْ شَرِيْكٍ فِيْ مَحَاسِنِه) كمالاته المعنوية والصورية، جمع حُسن على خلاف القياس (فَجَوْهَرُ) حقيقة (الْحُسْنِ) الكائن (فِيْهِ) صلى الله عليه وسلم (غَيْرُ مُنْقَسِمِ) إذ لم يصل أحد من الخلائق إلى حد خَلقه، وخُلقه فمن توهم أنه مضمون خيالى فقد غفل، وكذا من قال:(٣) إن فيه شائبة ادّعاء الالهية ولذا أردفه "بِدَع" فتدبر!.

---

(١) أخرجه الترمذى من حديث ابن عباس في أبواب المناقب ٢٠٢/٢ باب ماجاء في فضل النبي صلى الله عليه وسلم والدارمى: ١٦ باب ما اعطى النبي(ص) من الفضل وشرح الشفا ٤٤٧/١.

(٢) كذا في الأصل وفي ب: هو.

(٣) كذا في الأصل وفي ب: إنه.

ولما ذكر نبذا من أوصافه عليه الصلاة والسلام التي لا توجد في الأنبياء فضلاً عن غيرهم، خاف أن يفرط المخاطب ويقع في الغلط كما غلط النصارى فقال:

(٤٣)

دَعْ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَــارَى فِيْ نَبِيِّهِمِ
وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحاً فِيْهِ وَاحْتَكِمِ

(دَعْ) أي اترك وهو مأخود من قوله عليه الصلوة والسلام: "لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد الله، فقولوا عبد الله ورسوله"(١) (مَا) الذي (ادَّعَتْهُ النَّصَارَى) جمع نصران كسكران وسكارى، وهم(٢) قوم عيسى عليه الصلاة والسلام، سمّوا أنفسهم بذلك لادّعائهم أنهم ناصروه (فِيْ) شأن (نَبِيِّهِمْ) من ظنهم اتحاد اللاهوت بالناسوت أو الحلول فيه "أي في عيسى عليه السلام".

قال الامام الغزالى حجة الاسلام: "أن القول بالاتحاد باطل، لأن قول القائل أن العبد صارهو الرب، كلام متناقض في نفسه، يجب أن ينزّه الرب عن أن يجرى اللسان في حقه بأمثال هذا المحال".(٣)

ونقول قولاً مطلقاً أن قول القائل: إن شيئاً صارشيئاً آخر، محال على الإطلاق لأنا نقول إذا عُقل زيد وحده وعمرو وحده(٤) ثم قيل: إن زيداً صار عمرواً، واتحد به، فلا يخلو عند الاتحاد إما أن يكون كلاهما موجودين أو معدومين أو أحدهما موجوداً والآخر معدوماً ولا يمكن قسم وراء هذه الأربع، فإن كانا

---

(١) أخرجه الترمذى من حديث عمر بن الخطاب في الشمائل: ٢٣ باب ماجاء في تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم والدارمى: ٣٧٥ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لا تطرونى، وشرح الشفالعلى القارى ٢٨٩/١.

(٢) كذا في الأصل وفي ب: هو.

(٣) انظر: المرشد الامين للامام الغزالى: ٢٣.

(٤) وفي الأصل في الموضعين: جده، والصواب ما اثبت.

موجودين لم يصر أحدهما عين الآخر بل عين كل واحد منهما موجود وإنما يتحد مكانهما، وذلك لا يوجب الاتحاد، فإن العلم والارادة والقدرة قد يجتمع في ذات واحدة ولا يتباين محالها(١) فلا يكون القدرة هي العلم، وإن كانا معدومين فما اتحدا بل عُدما، ولعل الحادث شئ ثالث،وإن كان أحدهما موجوداً والآخر معدوماً فلا اتحادَ، إذ لا يتحد موجود بمعدوم، فالاتحاد بين الشيئين مطلقاً محال.

وهذا جار(٢) في الذوات المتماثلة فضلاً عن المختلفة فإنه يستحيل أن يصير هذا السواد ذلك السواد كما يستحيل أن يصير هذا السواد ذلك البياض أو ذلك العلم والتباين بين الرب والعبد أعظم من التباين بين السواد والعلم، فأصل الاتحاد إذن باطل، فكيف يتصور أن يقال: إن الرب حلّ في العبد أو العبد في الرب، تعالى رب الأرباب عما يقول الظالمون،،!!.

وكذا الحلول، لأن المفهوم منه أمران، أحدهما النسبة التي بين الجسم والمكان الذي يكون هو فيه وذلك لا يكون إلا بين الجسمين، فالبرئ(٣) عن الجسمية يستحيل في حقه ذلك، والثاني النسبة التي بين العرض والجوهر، فإن العرض يكون قيامه بالجوهر، فقد يعبر عنه بأنه حال فيه وذلك محال على كل ما قوامه بنفسه، فدع عنك ذكر الرب تعالى في هذا المعرض فان كل ما قوامه بنفسه يستحيل أن يحل فيما قوامه بنفسه إلا بطريق المجاورة الواقعة بين الأجسام، فلا يتصور الحلول بين العبدين، فكيف يتصور بين العبد والرب، وإذا بطل الاتحاد والحلول فحيث(٤) يطلق الاتحاد، يقال: هو لا يكون إلا بطريق التوسع والتجوز اللائق بعادة الصوفية والشعراء فإنهم لأجل تحسين مواقع الكلام من الأفهام يسلكون سبيل الاستعارة كقول الشاعر:

---

(١) وردت في ب: محالهما.

(٢) وردت في ب: جاء.

(٣) في الأصل "فالرى" والتصويب من "ب".

(٤) في الأصل "بحيث" والصواب ما اثبت.

"أنا من أهـوى ومن أهـوى أنا"(١)

وذلك مأوّل عنده فإنه لا يعنى به أنه هو تحقيقاً، بل كأنه هو، فإنه مستغرق الهم به، فيعبر عن هذه الحالة بالاتحاد على سبيل التجوز، وعليه ينبغى أن يحمل قول أبي يزيد رحمه الله تعالى حيث قال: "انسلخت من نفسى كما ينسلخ الحية من جلدها، ثم نظرت فإذا هوأنا"، ويكون معناه أن من ينسلخ من شهوات نفسه وهواها وهمها فلا يبقى فيه متسع لغير الله تعالى ولا يكون له همة سوى الله تعالى حتى صار مستغرقاً به يصير كأنه هو، لا أنه تحقيقاً.

وكذا قوله إن صح عنه: سبحانى ما أعظم شانى، إما أن يكون جارياً على لسانه في معرض الحكاية عن الله تعالى وإما أن يكون قد شاهد كمال حظه من صفة القدس في الترقى بالمعرفة(٢) عن الموهومات والمحسوسات، وبالهمة عن الحظوظ والشهوات، فأخبر عن قدس نفسه وقال: سبحانى، ورأى عظم شأن نفسه بالإضافة إلى شأن عموم الخلق فقال: ما أعظم شأنى، وهو مع ذلك يعلم أن قدسه (وعظم شأنه)(٣) بالإضافة إلى الخلق ولا نسبة له إلى قدس الرب تعالى وعظم شأنه، ويكون قد جرى هذا اللفظ في سكر وغلبات حال، فان الرجوع إلى الصحو واعتدال الحال يوجب حفظ اللسان عن الألفاظ المُوهِمة، وحال السكر لا يحتمل ذلك.

فإن جاوزت، هذين التأولين إلى الاتحاد فذلك محال قطعاً، فلا تنظر إلى

---

(١) هذا البيت ذكره العارف أبو نصر السراج في كتاب اللمع: ص: ٤٣٨ وهو:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا   فـإذا أبصـرتنى أبصرتنا
نحن روحان معاً في جسد   ألبس الله علينا البـدنا

(٢) في الأصل "بالمعرفته" والصواب ما اثبت.

(٣) ما بين القوسين سقط من الأصل والتكملة من ب.

مناصب الرجال حتى تصدق بالمحال بل ينبغى أن تعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال، وكذا قول من قال: أنا الحق، إما أن يكون معناه معنى قول الشاعر: "أنا من أهوى". وإما أن يكون قد غلط في ذلك كما غلط النصارى.

فإن قلت: كلمات الصوفية بناء على مشاهدات، انفتحت لهم في طور الولاية،والعقل يقصر عن درك ذلك، وما ذكرتموه تصرف ببضاعة العقل- فاعلم أنه لا يجوز أن يظهر في طور الولاية ما يحكم العقل باستحالته،(١) نعم يجوز أن يظهر ما يقصر العقل عنه بمعنى أنه لا يدرك(٢) بمجرد العقل مثاله، أنه يجوز أن يكاشف الولى بأن فلاناً سيموت غداً، وهذا لا يدرك ببضاعة العقل بل يقصر العقل عنه، ولا يجوز أن يكاشف بأن الله تعالى غداً سيخلق مثل نفسه، فإن ذلك يحيله العقل، لا أنه يقصر عنه، وأبعد من ذلك أن يقول: سيجعلنى الله مثل نفسه.

وأبعد من ذلك أن يقول: إن الله تعالى يصير في نفسه أي أصير أنا هو، لأن معناه، إنى حادث والله تعالى يجعلنى قديماً، ولست خالق السموات والأرض، والله يجعلنى خالقهما، وهذا معنى قوله "نظرت فإذا أنا هو" إن لم يأول، ومن صدق بمثل هذا فقد انخلع عن غريزة العقل ولم يتميز عنده ما يعلم عما لا يعلم، فليصدق بأنه يجوز أن يكاشف ولى بأن الشريعة باطلة وأنها وإن كانت حقاً فقلبها(٣) الله تعالى باطلة، وأنه جعل جميع أقاويل الأنبياء كذباً، فإن انقلاب الصدق كذباً ليس بأبعد من انقلاب الحادث قديماً، والعبد رباً، ومن لا يفرق بين ما أحاله العقل وبين ما لا(٤) يناله فهو أخس من أن يخاطب، فليترك وجهله، انتهى.

(وَاحْكُمْ) عطف على "دَعْ" يعنى بعد المجاوزة عما لا يوصف به غير الله تعالى كن حاكماً (بِمَا شِئْتَ) من الفضائل والكمالات ذاهباً إلى منتهى فكرك

---

(١) في الأصل: باستحالة، والصواب ما اثبت من: ب.

(٢) وفي ب: يدركه.

(٣) وفي ب: فقبلها.

(٤) سقطت في الأصل والتكملة من ب.

(مَدْحاً) حال كونك مادحاً (فِيْهِ) أي النبي صلى الله عليه وسلم متعلق "باحكم" (وَاحْتَكِمِ) عطف على "احكم" أي كن حاكماً على سبيل المبالغة والقصد والاعتماد.

(٤٤)

فَانْسُبْ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ

وَانْسُبْ إِلَى قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمِ

(فَانْسُبْ إِلَى ذَاتِهِ) صلى الله عليه وسلم (مَاشِئْتَ) مفعول "أنْسُبْ" أي الذي شئته (مِنْ شَرَفٍ) من الأمور التي تتعلق بالحسن الظاهرى ذاهباً إلى أقصى غايتك لأن دقائق حسنه وجماله لانهاية لها، فالمدح هنا هو الاعتراف بالعجز عن الإدراك كما قال:

مَا إنْ مَدَحْتُ مُحَمَّداً بِمَقَالَتِي

لَكِنْ مَدَحْتُ مَقَالَتِي بِمُحَمَّدِ

(وانْسُبْ إِلَى قَدْرِهِ) مرتبته صلى الله عليه وسلم (مَاشِئْتَ مِنْ عِظَمِ) كعنب مما يتعلق بالخلق الذي هو الحسن الباطنى الذي لا نهاية له، كيف وقد قال الله تعالى: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ(١)

وقال عليه الصلاة والسلام: "أدبنى ربى فأحسن تأديبى"(٢) وقالت عائشة رضي الله عنها، لماسئلت عن خلقه: "كان خلقه القرآن".(٣)

---

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

(٢) راجع: شرح الشفالعلى القارى ١٤٣/١ وعوارف المعارف ٨١/٣ وشرح المواهب للزرقانى ١٠١/٤ والوفا لابن الجوزى ٤٥٦/٢ وكتاب اللمع: ٣١ والدرر المنتشرة: ٤٥.

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" ٨٥/١ وأبو داؤد في السنن ٥٩/٥ كتاب السنة والحاكم في المستدرك ٤٤٩/٢ باب دلائل النبوة وانظر: دلائل النبوة لأبى نعيم ٥٧/١ ودلائل النبوة للبيهقى ٢٣١/١.

ثم أنه لما آثَرَ كلمة "ما" المفيدة للعموم أورد عليه دليلاً فقال:

(٤٥)

فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللهِ لَيْسَ لَهُ
حَدٌّ فَيُعْرِبَ عَنْــهُ نَاطِقٌ بِفَمِ

(فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللهِ) صلى الله عليه وسلم أي شرفه وعظمته وعلوّ درجته السنية ومرتبته البهية (لَيْسَ لَه) أي لفضله وشرفه (حَدٌّ) نهاية معينة حتى يمكن أن يصل إليه أحد بل كل ما يصل إليه فكر أحد ورأيه فمرتبته فوق ذلك كيف وقد قال الله تعالى: وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُوالْفَضْلِ الْعَظِيمِ(١) (فَيُعْرِبَ): منصوب بتقدير "أن" في جواب النفى أي يظهر ويبين ويكشف (عَنْهُ) أي عن ذلك الحد (نَاطِقٌ بِفَمِ) أي متكلم بفم أياً كان غير مختص بواحد بل كل من يتصور منه التكلم بالفم فوصفه بالفم على طرز قوله تعالى: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ.(٢)

ثم أكّد عدم تناهى فضله(٣) بقوله:

(٤٦)

لَوْنَا سَبَــتْ قَــدْرَهُ آيَاتُهُ عِظَمــاً
أَحْيَ اسْمُهُ حِيْنَ يُدْعَى دَارِسَ الرِّمَمِ

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

(٣) ووردت في ب: فضائله.

(لَوْنَا سَبَتْ) مناسبةً بالمساواة أو بالقرب (قَدْرَهُ) مفعول "ناسبت" أى رتبته السنية ومنزلته البهية (آيَاتُه) فاعله أي معجزاته (عِظَماً) من حيث العظمة والشرف لا من حيث الذات بل من حيث الدلالة على النبوة أو من حيث الذات بحمل الاضافة على الاستغراق يعنى لوناسبت معجزاتُه مرتبتَه لصارت معجزاته أن:

(أَحْيَ اسْمُه) صلى الله عليه وسلم (حِيْنَ يُدْعَى) اسمه المبارك لأىّ غرض كان (دَارِسَ الرِّمَمِ) مفعول "أحى" أي العظام البالية ودروسها زيادة في البلى وهي جمع رمّة كقطعة وقطع ولكن ليس كذلك، فعلم أن معجزاته ليست كمرتبته بل مرتبته أجل وأعظم من الذات أو الدلالة.

ويؤيد هذا المعنى ما قاله بعض العلماء في قوله تعالى: يكادزيتها يضئ ولو لم تمسسه نار(١) من أنه مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم، أنه يقرب منظره أن يدل على نبوته وإن لم يقرء القرآن،(٢) وإليه أشار ابن رواحة:(٣)

لو لَمْ تَكُنْ فِيــهِ آياتٌ مُبَيِّنَةٌ
لَكانَ مَنْظَرُهُ يُنْبِيكَ بِالْخَبَرِ(٤)

ثم أشار إلى ما هو من لوازم غاية الفضل فقال:

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٢) راجع: الشفا للقاضي ١٥٩/١ والتفسير الكبير ٣٣٧/٢٣ وتفسير روح البيان ١٢٧/٣ وجواهر البحار ٩٧/١ وتفسير الطبرى ١٠٦/١٨ وشواهد النبوة: ١٩ وشرح الشفا ٤٠/١.

(٣) هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الخزرجى الانصارى يكنى أبا محمد، أحد النقباء، شهد بدرا وأحدا والخندق، من الشعراء المحسنين، استشهد في غزوة موتة سنة ٨ هـ. ترجمته في: اسد الغابه ٣: ١٥٦ والاصابة ٢: ٢٩٤ والاستيعاب ٢: ٢٨٤.

(٤) انظر: التفسير الكبير ٢٣: ٣٣٧، والبيان والتبيين: ١: ٢٥. وفي البيان والتبيين: "فكانت بداهته" مكان "لكان منظره".

(٤٧)

لَمْ يَمْتَحِنَّا بِمَا تَعْـىَ العُقُولُ بِه
حِرصاً علَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهِمِ

(لَمْ يَمْتَحِنَّا) أي لم يختبرنا ولم يكلفنا عليه الصلاة والسلام (بِمَا) بشئى (تَعْىَ) تعجز (العُقُولُ بِهِ) بذلك الشئى بأن لم تتمكن من الخروج عن عهدته من التكاليف الشاقة من قتل النفس في التوبة، وإخراج ربع المال في الزكاة وقرض موضع النجاسة كما كان لبنى اسرائيل، كيف وقد أتى صلى الله عليه وسلم بالحنيفية(١) السهلة البيضاء.(٢)

(حِرصاً) مفعول له أي لم يختبرنا بذلك لأجل شفقته (عَلَيْنَا) يدل على ذلك قوله تعالى عزوجلّ: عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم(٣) وقوله عليه الصلاة والسلام: أنا أولى بالمؤمنين(٤) من أنفسهم، فمن توفى من المؤمنين وترك ديناً، فعلى قضاؤه، ومن ترك مالاً فلورثته.(٥)

---

(١) في الأصل "الحفية" والتصويب من "ب".

(٢) إشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة" انظر: شرح السنة ٤٧/٤ باب الأخذ بالقصد في قيام الليل وغيره من الأمور، وصحيح البخاري ٨٦/١ في الايمان: باب الدين يسر، ومسند احمد٢٣٦/١، والأدب المفرد للبخاري: ٢٨٦ والثاني من حديث عائشة عند احمد ١١٦/٦ بلفظ: انى ارسلت بحنيفية سمحة.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٤) ومثله ماجاء في كتاب الله من قوله تعالى: "النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم" سورة الأحزاب الآية: ٦.

(٥) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" من حديث جابر في باب الاعتصام بالسنة ١٤٥/١ ومسلم في صحيحه ٢٣٧/١ وابن ماجه في سننه ١٧/١ باب اجتناب البدع والجدل.

وقوله عليه الصلاة والسلام: "لكل نبى دعوة مستجابة يدعوها فأريد إن شاء الله تعالى أن اختبئ دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة".(١)

(فَلَمْ نَرْتَبْ) أي لم نقع في الريبة والشك من الارتياب (وَلَمْ نَهِمِ) نتحير من الهيم وهو التحير.

ثم أنه بعد ما أشار إلى أنه ليس لفضائله وكمالاته حد ونهاية ليدركها أحد، أكده ليتكرر ويتقرر بقوله:

(٤٨)

أعْىَ الْوَرَى فَهْمُ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى
لِلْقُرْبِ وَالْبُعْدِ مِنْـهُ* غَيْرُ مُنْفَحِمِ

(أعْىَ) أعجز (الْوَرَى) الخلق كلهم (فَهْمُ) إدراك (معناه) كمالاته المعنوية المشار إليها بقوله: اِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ(٢) من صدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجوار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل وحب الآخرة وحفظ الجناح وكمال العلم والعقل والعفو والجود والشجاعة والحياء وحسن المعاشرة مع الخلق والتواضع والعدل والعفة والوقار والمروة والزهد في الدنيا والقناعة وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأوصاف الشريفة مما لا يدخل تحت العدّ والإحصاء.

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبى هريرة في الدعوات ١٤٥/٧ باب لكل نبى دعوة مستجابة ومسلم في صحيحه ١٣٥/١ في الايمان، باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لامته والدارمى: ٣٧٨ باب أن لكل نبى دعوة.

(٢) سورة القلم، الآية: ٤.

* وفي بعض النسخ للقصيدة: فيه.

(فَلَيْسَ) الخلق (يَرَى) يعلم(١) أحداً من المخلوقين (لِلْقُرْبِ) وقت قربه منه صلى الله عليه وسلم زماناً أو مكاناً أو مرتبة (وَالْبُعْدِ مِنْهُ) كذلك.

(غَيْرَ مُنْفَحِمِ) ساكت عن إدراك حقيقته،(٢) عاجز عن بيان مجمل ما فيه فضلاً عن تفصيله قائلاً بأن هذا خارج عن طوق البشر وإنما هو شأن خالق القوى والقدر إذ ليس الشأن يرى أحد في الكون والمكان وقت قربه منه وبعده منه كذلك غير منفحم ساكت عاجز عند الاستعلام من كشف كمالاته(٣) ومعترف بقصوره ونقصانه لدى الاستفهام عن بيان حاله، ويجوز أن يكون يرى من رؤية(٤) البصر والنائب قوله غير منفحم.

(٤٩)

كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدٍ

صَغِيْرَةً وَتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ

(كَالشَّمْسِ) أي هو صلى الله عليه وسلم كالشمس في عجز القريب والبعيد عن إدراك الحقيقة وهذا كالدليل على مافى البيت السابق (تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدٍ) كعنق جملة مستانفة لبيان حال الشمس أو حال (صَغِيْرَةً) قدر المرآة خلاف ما هى عليه في نفس الأمر (وَتُكِلُّ) بالضم أي توضع في الكَلاَل والعىّ (الطَّرْفَ) العين (مِنْ أَمَمِ) قرب.

(١) سقطت في الأصل والتكملة من ب.
(٢) وردت في ب: حقيقة.
(٣) وردت في ب: كماله.
(٤) في الأصل "رونة" والصواب ما اثبت.

يعنى أن حاله صلى الله عليه وسلم كحال الشمس فكما لا يدركها كما هي في نفس الأمر القريب والبعيد كذلك هو عليه الصلاة والسلام البعيد منه لا يعلمه كما هو، بل يحسبه أنه رجل كسائر الرجال، والقريب منه كذلك، فإنه فانٍ في ذاته، مستور تحت سطوات أنواره، متحير من دقائق حسنه وحقائق حاله، كما حكى عن علي رضي الله عنه أنه سئل عن خلقه عليه الصلاة والسلام فقال: إن الله تعالى مع أنه وصف نعم الدنيا بالقلة بقوله تعالى: قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيْلٌ(١) وقال: وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا.(٢)

فكيف نبين خلقه مع أنه قال في حقه: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيْمٍ.(٣)

ثم أنه بعد ما أشار إلى أن كمالاته عليه الصلاة والسلام لا يدركها القريب والبعيد على الإطلاق، أشار إلى الاستبعاد عن أن يدركها قوم محجوبون بحجب الغفلات بقوله:

(٥٠)

وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيْقَتَهُ

قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بِالْحُلُمِ

(وَكَيْفَ) استفهام إنكارى أي لا (يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا) التي هي دارالغفلات والجهالات ومعدن الكدورات والشهوات (حَقِيْقَتَهُ) ذاته صلى الله عليه وسلم

(١) سورة النساء، الآية: ٧٧.
(٢) سورة النحل، الآية: ١٨.
(٣) سورة القلم، الآية: ٤.

المستجمعة لمكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال المؤدبة بتأديب: "أدبني ربي فأحسن تأديبي"(١) (قَوْمٌ نِيَامٌ) نائمون في نوم الغفلات والجهالات، متدنسون بلوث اللذات والشهوات محجوبون بحجب العلائق البدنية وعوائق التدبيرات كما قال عليه السلام:

"الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا"(٢)

(تَسَلَّوا) صفة قوم خلوا (عَنْهُ) أي عن غم إدراك حقيقة (بِالْحُلْم) بسبب الأمور المشتبهة بالأحلام في أنها صور ومثال لا كشف حقيقة وتبيان حال.

ويحتمل أن يراد بالقريب الصحابة رضي الله عنهم وبالبعيد التابعون ومن يلونهم، فالمعنى أنه إذا لم يدركها الذين حُظوا بشرف صحبته أو صحبة من صحبه أو بقرب العهد بزمانه والذين قال فيهم عليه الصلاة والسلام: "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"(٣) كيف يدركها قوم محرومون عن ذلك، ومحكوم عليهم بقوله عليه الصلاة والسلام: ثم يفشو الكذب.

ويحتمل أن يكون المعنى أنه إذا لم يدركها من حُظى بلقائه ومشاهدته مع أن تَلَقّى آثار فيضه وبركته، كيف يدرك في الدنيا حقيقته كما هي، قوم نيام غيّب من مشاهدته ولقائه، وتسلوا عنه أي خلوا عن غم معرفته بالحلم أي برؤيتهم إياه عليه الصلاة والسلام في المنام، ورؤيته وإن كانت حقاً ثابتاً لكن لا يدرك به

(١) أخرجه السيوطى في "الدرر المنتثرة: ٤٥" عن علي رضي الله عنه وانظر ايضاً: كشف الخفاء ١/ ٧٠ وتمييز الطيب من الخبيث: ١٢ وفيض القدير ٢٢٤/١ وعوارف المعارف ٨١/٣ وكتاب اللمع: ٣١، والوفا ٤٥٦/٢.

(٢) وهو من كلام علي رضي الله عنه انظر: الدرر المنتثرة: ١٩٧.

(٣) أخرجه الترمذى من حديث عبد الله بن مسعود في أبواب المناقب ٢٢٦/٢ باب ماجاء، في فضل من رأى النبي صلى الله عليه وسلم ومسلم في الجامع الصحيح ١٨٤/٧ باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم والبخاري من حديث عمران بن الحصين في كتاب الصحابة ١٨٩/٤ باب فضائل النبي صلى الله عليه وسلم وأبو داؤد في سننه ٢٩٧/٤ في كتاب السنة، باب في فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب الحلية ٧٨/٢.

حقيقته كما هي، لقوله عليه الصلاة والسلام: "من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي"(١) يعني صلى الله عليه وسلم: "من رآني في وقت النوم فقد رأى ذاتي"(٢) فإنه تمثل له ذاتي بصورة مناسبة لهدايته، فإن الشيطان لا يتمثل بي أي بشئى مني وفي صورة مضافة إلي، ولا يُخدع الرائي بالقاء(٣) أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فعلى هذا من رأى إنساناً في النوم واعتقد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم في أي صورة كانت، وهذا مذهب الأكثر، وهو المعقول المقبول عند العقول أيضاً، لأن الله تعالى جعله رحمةً للعالمين وهادياً للضالين وحافظاً عن وساوس الشياطين، وإذا تنور العالم بنور وجوده ورجِمت الشياطين من الاستماع من الملائكة وهدمت بنيان الكهنة، فكيف يتصور أن يضلّ الشيطان مؤمناً في صورته، كذا في بعض شروح الشمائل.(٤)

واعلم أن من رآه في المنام وتيقن فيه أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطابق صورته في حال حياته، علم أنه متابع له في جميع ما ينسب إليه عليه الصلاة والسلام، وإن لم يطابق من جميع الوجوه أو، بعضها، علم أنه غير متابع له في الجميع أو في البعض.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٥٤/٧ في كتاب الرؤيا، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني والدارمى في سننه ٢٧٣ باب في رؤية النبي(ص) في المنام والترمذى في الشمائل: ٣٠ باب ماجاء، في رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، وأبو داؤد في سننه ٤١٨/٤ في كتاب الرؤيا.

(٢) نفس المراجع.

(٣) في الأصل "بالقاء" والتصويب من ب.

(٤) انظر: جواهر البحار ٣٥٤/١ والشفا للقاضي ٢٤٦/١ وشواهد النبوة: ٥٨ واشرف الوسائل إلى فهم الشمايل: ٢٧٨ والخصائص الكبرى ٢٥٨/٢ باب اختصاصه صلى الله عليه وسلم بأن رؤيته في المنام حق وشرح الشفالعلى القارى ٧٥١/١ الاتحاف الربانية بشرح الشمايل المحمدية: ٤٠٦.

والحاصل أن من رآه مطابقاً أو غير مطابق في الكل أو في البعض لا يكون رؤيته إلا صورةً منسوبةً إليه عليه الصلاة والسلام.

هذا ولما كان العلم بتفصيل ما فيه عليه الصلوة والسلام غير ممكن أشار إلى العلم الإجمالى فقال:

(٥١)

فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ
وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللّٰهِ كُلِّهِمِ

(فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ) أي محل يبلغ العلم منا لديه وينتهى فهمنا إليه (فِيهِ) في شأنه صلى الله عليه وسلم (أَنَّهُ بَشَرٌ): أن نعتقد كونه بشراً ناظراً إلى قوله: "دع ما ادّعته" (وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللّٰهِ كُلِّهِمِ) وكونه أفضل مخلوق الله كلهم ناظراً إلى قوله: "واحكم بما شئت" لقوله صلى الله عليه وسلم: "أنا أكرم الأولين والآخرين عند الله ولا فخر"(١)

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تفضلونى على يونس ابن متى"(٢) فيحتمل أن يكون ذلك منه صلى الله عليه وسلم قبل العلم بالتفضيل أو تواضعاً أو نفياً للتفضيل في نفس النبوة، هكذا قيل، ويحتمل أن يكون المراد

---

(١) أخرجه الترمذى من حديث ابن عباس أبواب المناقب ٢٠٢/٢ باب ماجاء في فضل النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) راجع: صحيح البخاري ١٩٤/٤ كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: وان يونس لمن المرسلين والجامع الصحيح ١٠٣/٧ كتاب الفضائل والدارمى: ٣٦٩ وابو داؤد ٥١/٥ كتاب السنة، باب في التخييرين الأنبياء.

والله تعالى أعلم أن تفضيله عليه الصلاة والسلام على جميع الأنبياء عليهم السلام مفصلاً بطريق التعداد، ولما كان غير ممكن لعدم العلم بالجميع إنما الممكن بطريق الإجمال، منع عليه الصلاة والسلام أن يفضل على واحد أو اثنين أو جماعة مثلاً لأنه لا يفيد الإجمال ولا التفضيل بل يُوهم التخصيص.

(٥٢)

وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسُلُ الْكِرَامُ بِهَا
فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمِ

(وَكُلُّ آيٍ) جمع آية، وهي العلوم والحكم والمعجزات بالرفع والنصب (أَتَى الرُّسُلُ) والمراد بالرسل القدر المشترك ليعمّ الحكم أو معناه الحقيقى والثبوت في غيرهم بالطريق الأولى (الْكِرَامُ بِهَا) الباء للتعدية، صفة (فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ) تلك الآيات (مِنْ نُورِهِ) علمه صلى الله عليه وسلم (بِهِمِ) بالرسل يعنى ما اتصلت الآيات بهم إلا "من نوره"، فقوله "من نوره" في التقدير مؤخر وإن قدِّم، وأخِّر، بهم لرعاية القافية.

والحاصل أن الأنبياء والرسل عليهم السلام اقتبسوا أنوار العلم والحكمة من مشكواة نبوته عليه الصلاة والسلام في عالم الأرواح لأنه صلى الله عليه وسلم لما وجد بوجود روحانى بُشّروا به(١) وعلم بأنه نبىّ بالفعل بخلاف آدم وسائر الأنبياء عليهم السلام لأنهم ما لم يظهروا(٢) بصور جسمانية عنصرية في عالم الشهادة لم يتصفوا بالنبوة، ثم حكم له صلى الله عليه وسلم بأن يبلّغ الشرائع والأحكام بأيدى الأنبياء الذين هم نوابه في

---

(١) سقطت من الاصل والتكملة من ب.

(٢) في الأصل "يظهر" وهو خطأ والصواب ما اثبت.

عالم الأرواح إلى الخلائق بحسب وجودهم طبقة بعد طبقة كما أن عليًا ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما بلغا الأحكام إلى أهل اليمن بنيابته عليه الصلاة والسلام في عالم الأشباح، فكان الشرائع كلها شريعة وصلت إلى الخلائق على أيدى نوابه، وهذا معنى قوله عليه السلام: كنت نبيا وآدم بين الماء والطين". (١)

ثم لما وجد عليه الصلاة والسلام بوجود جسمانى عنصرى في عالم الشهادة نسخ الشرائع التي اقتضاها في عالم الأرواح لأن اختلاف الأمم في الاستعدادات والقابليات يقتضى اختلاف الشرائع ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: "لوكان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعى" (٢) هكذا ذكره في شواهد النبوة. (٣)

ثم أشار إلى ما يوضح السابق ويقربه إلى الأفهام بقوله:

(٥٣)

فَانَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا
يُظْهِرْنَ أنْوارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ

(فَانَّهُ) أي النبي صلى الله عليه وسلم (شَمْسُ فَضْلٍ) أي العلوم والشرائع والأحكام (هُمْ) أي الرسل عليهم السلام (كَوَاكِبُهَا) أي الشمس

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقى١/٣٨٨ ودلائل النبوة لأبى نعيم ١/٥٤ والخصائص الكبرى ١/٣ باب خصوصية النبي صلى الله عليه وسلم بكونه أول النبيين في الخلق وشرح الشفالعلى القارى ١/٦٤.

(٢) راجع: مسند الإمام أحمد ٤/١٣٧ ومدارج النبوة ٢/٧ والموضوعات الكبرى: ٢٩٢.

(٣) انظر: شواهد النبوة: ٢٦.

وكوكب الشمس الذي يستفيد منها النور وما هو إلا القمر، فجمعه إما لأن اختلاف الأحوال يوجب تعدداً ما في الذات وإما لأن المشبه به متعدد.

(يُظْهِرْنَ) أي الرسل المشبهون بالكواكب (أنْوَارَهَا) أي الشمس يعنى الأنبياء يظهرون شرائعه وأحكامه صلى الله عليه وسلم (لِلنَّاسِ) خصوا(١) بالذكر لأنهم لم يبعثوا إلى غيرهم (فِي الظُّلَمِ) جمع ظلمة كتهم وتهمة، فكما أن القمر يستفيد النور من الشمس ويظهر للعالم في الليالى المظلمة كذلك الأنبياء عليهم السلام يستفيدون الشرائع والأحكام والعلوم(٢) والمعارف منه(٣) عليه الصلاة والسلام ويظهرون للناس الكائنين في ظلمات الجهل والضلالات.

ولما ذكر من متعلقات الخَلق والخُلق ما يعجز عن إدراكه العقل عجز الخفّاش عن ضوء(٤) الشمس، قال متعجباً:

(٥٤)

اكْرِمْ بِخَلْقِ نَبِيٍّ زَانَهُ خُلُقٌ
بِالْحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بِالْبِشْرِ مُتَّسِمِ

(اكْرِمْ بِخَلْقِ نَبِيٍّ) عظيم الشأن، رفيع المكان عن أن يدركه أحد في الكون والمكان، وإيثار تنكيره مع أن الظاهر تعريفه للإشعار بقصور الإدراكات(٥) عن

(١) في الأصل "خصو" بدون الألف والصواب ثباتها.

(٢) في الأصل "العلو" والتصويب من "ب".

(٣) كذا وفي ب: عنه.

(٤) في الأصل: سوء الشمن، والتصويب من ب.

(٥) وفي ب: الإدراك.

معرفته يعنى ما أحسن صورته الظاهرة التي ورد فيها: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخماً يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر"(١) "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة اضحيان وعليه حلة حمراء، فجعلت انظر إليه وإلى القمر، فلهو عندى أحسن من القمر"(٢) "إذا تكلم رُئى كالنور يخرج من بين ثنايا صلى الله عليه وسلم"(٣) (زانَهُ) صفة لقوله "بخلق نبيّ" أى زين ذلك الخلق(خُلُق) أي خلق قال فيه سبحانه وتعالى: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ.

قال الجنيد رحمه الله: "سمى خلقه عظيماً لأنه لم يكن له همة سوى الله تعالى"(٤) قال الواسطى: "لأنه جاء بالكونين عوضاً عن الحق"(٥) وقيل: "لأنه عليه الصلوة والسلام عاشر الخَلق بخلقه وباينهم بقلبه" وقيل: "لاجتماع مكارم الأخلاق فيه، كيف وقد قال الله تعالى: خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ(٦) وقيل: لوجدانه حلاوة المطالعة على السرّ، وقيل: "لأنه قبِل فنونَ ما أسدى إليه من نعمة أحسن مما قبله غيره من الأنبياء والرسل عليهم السلام" وقيل: "لأنه لم يؤثر فيه جفاء الخلق"(٧) ولذا قال صلى الله عليه وسلم: "لما كسرت رباعيته وأدمى وجهه المبارك، اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون"(٨) حيث لم يؤثر فيه سوء صنيعهم، فلم يمنعه عن إرادته الخير لهم.

(١) راجع: شمائل الترمذي: ٢٤ باب ماجاء في تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ودلائل النبوة للبيهقى ١٥٤/١ باب صفة النبي(ص).

(٢) أخرجه الدارمى من حديث جابر بن سمرة في باب في حسن النبي صلى الله عليه وسلم ص: ١٨ والبيهقى في دلائل النبوة ١٥٢/١ باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم.

(٣) أخرجه الدارمى من حديث ابن عباس في باب في حسن النبي صلى الله عليه وسلم ص: ١٨.

(٤) راجع تفسير روح البيان ١٠٧/١٠ سورة القلم، الآية: ٤ في تفسير "وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ".

(٥) انظر التاج: ٣٣٧/٦ تحت المادة "خلق".

(٦) سورة الاعراف، الآية: ١٩٩.

(٧) هذه المعلومات أخذها الشارح من تفسير القرطبى ٢٢٧/١٨ وروح المعانى ٢٥/٢٩ وتفسير ابن كثير ٤٠٢/٤ وانظر أيضاً: الشفا ٢٥/١ وجواهر البحار ١٠/١.

(٨) شرح الشفالعلى القارى: ٢٣٧/١.

ومن أخلاقه صلى الله عليه وسلم ما روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما قال لى أفٍ قط، وما قال لى لشئى صنعتهُ، لم صنعتَه، ولا لشئى تركته لم تركته"(١) ومنه أنه صلى الله عليه وسلم يعود المريض ويشهد الجنازة ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد"(٢) ومنه أنه صلى الله عليه وسلم يسوق أصحابه ويبتدر من لقى بالسلام، ومنه أنه صلى الله عليه وسلم يفلى ثوبه ويحلب شأته ويخدم نفسه".(٣)

ومنه أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشاً ولا متفحشا ولا صخاباً في الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح"(٤) ومنه أنه صلى الله عليه وسلم ما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا ضرب خادماً ولا امرأةً، ومنه أنه صلى الله عليه وسلم "كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظّ ولا غليظ"(٥) ومنه "أنه صلى الله عليه وسلم ماسئل قط، فقال لا".(٦)

(١) أخرجه الترمذى في الشمايل: ص: ٢٥ في باب ماجاء في خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم والبخاري في صحيحه ٨٣/٧ كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، ومسلم في الجامع الصحيح ٧٣/٧ في كتاب الفضائل، باب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً والدارمى: ١٨ باب في حسن النبي صلى الله عليه وسلم وأبو داؤد في سننه ٣٤٢/٤ كتاب الأدب، باب في الحلم وأخلاق النبي(ص) ودلائل النبوة للبيهقى ٢٣٤/١ وشرح الشفا ٢٧٠/١.

(٢) راجع: شمائل الترمذي: ٢٣ باب ماجاء في تواضع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٣) نفس المرجع: ص: ٢٥.

(٤) انظر: شمائل الترمذى: ٣٥ وصحيح البخاري ١٦٤/٤ كتاب المناقب والجامع الصحيح ٧٨/٧ كتاب الفضائل

(٥) راجع: شمايل الترمذى: ٢٥ باب ماجاء في خُلق رسول الله صلى الله عليه وسلم والجامع الصحيح ٨٠/٧ كتاب الفضائل وأبو داؤد ٣٤٦/٤ كتاب الأدب، باب في التجاوز في الأمر ودلائل النبوة للبيهقى ٢٢٣/١.

(٦) انظر: سنن الدارمى: ٤ باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم وشمائل الترمذي: ٤٥ باب ماجاء في خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومنه أنه صلى الله عليه وسلم "كان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم، وإن فضل ولم يجد من يعطيه ويأتيه الليل، لا يأوى إلى منزله حتى يبرأ منه"(١) ولا ينال من الدنيا أكثر ما يكون قوت عامه من أيسر ما يجد من التمر والشعير، ويضع ما عدا ذلك في سبيل الله، لا يسأل شيئاً إلا يعطى، ثم يعود إلى قوت عامه فيؤثر منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام.(٢) وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله.

ومنه "أنه صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب(٣) ويكافى عليها ويأكلها ولا يستنكر عن إجابة الأمة والمسلمين" ومنه ماروى عن رجل من العرب قال: "زحمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين، وفي رجلى نعل كثيفة، فوطئت بها على رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنفحنى نفحةً بسوط في يده فقال: أو جعتنى، قال: فبت لنفسى لائماً، أقول أوجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فبتّ بليلى كما يعلم الله، فلما أصبحنا إذا رجل يقول: أين فلان ابن فلان قال: قلت هذا والله الذي كان منى بالأمس، قال: فانطلقت وأنا مخوف فقال لى: إنك وطئت بنعلك على رجلى بالأمس فأوجعتنى، فنفحتك نفحة بالسوط، فهذه ثمانون نعجة فخذبها".(٤)

ومنه ما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده، فقال: بئس ابن العشيرة أو أخو العشيرة، ثم أذن لـه فألان له القول فلما خرج قلت:يا رسول الله،قلت ما قلت ثم

(١) انظر: صحيح البخاري: ٨٢/٧ في كتاب الأدب باب حسن الخلق والسخاء والجامع الصحيح ٧٤/٧ كتاب الفضائل وسنن الدارمى: ٢٠ باب في سخاء النبي صلى الله عليه وسلم ودلائل النبوة للبيهقى ٢٤٣/١.

(٢) راجع: مسند الامام احمد ٢٩٣/٦ وصحيح البخاري ٢٣٤/٦ كتاب الاستقراض، باب القسمة.

(٣) راجع: شمايل الترمذى: ٢٦ باب ماجاء في خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٤) أخرجه الدارمى في باب سخاء النبي صلى الله عليه وسلم ص: ٢٠.

ألنت له القول، فقال: يا عائشة! إن من شرالناس من تركه الناس أو وَدَعَه اتقاء فحشه".(١)

إلى غير ذلك من الأخلاق التي لا يعلمها أحد على التفصيل عدا(٢) خالق القوى والقدر (بِالْحُسْنِ مُشْتَمِلٍ) صفة نبي وكذا قوله (بِالْبِشْرِ مُتَّسِمِ) أي نبى مشتمل بالحسن لا بغيره ومتسم أي مشتهر بالبشر أي طلاقة الوجه لا بغيره كما روى عن عبد الله بن الحارث قال: "ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله صلى الله عليه وسلم"(٣) وما روى: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر".(٤)

(٥٥)

كَالزَّهْرِ فِي تَرَفٍ وَالْبَدْرِ فِي شَرَفٍ
وَالْبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالـدَّهْرِ فِي هِمَمِ

(١) انظر: صحيح البخاري ٨١/٧ كتاب الأدب، باب لم يكن النبي(ص) فاحشا ولا متفحشا، وشمائل الترمذي: ٢٥ باب ماجاء في خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسنن أبى داؤد ٣٣٨/٤ كتاب الأدب، باب في حسن العشرة.

(٢) في الأصل "على" والتصويب من ب.

(٣) راجع: شمائل الترمذي: ٢٥ ومشكواة المصابيح: ٥٢٠ باب في أخلاقه وشمائله صلى الله عليه وسلم.

(٤) انظر: سنن الدارمى: ٤ باب صفة النبي(ص) وشمائل الترمذي: ٢٥ ودلائل النبوة لأبى نعيم ٢٢٨/٢.

(كَالزَّهْرِ) أي النَّور، صفة نبي أو خبر محذوف (فِيْ تَرَفٍ) لقوته وطيب رائحته، قال أنس رضي الله عنه: ما مسست خزاً ولا حريراً ولا شئ كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم"(١) "ولا شممت مسكاً قط ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم.(٢)

(وَ) كا (البَدْرِ فِيْ شَرَفٍ) فكما "أن للبدر"(٣) شرفاً على سائر الكواكب الليلية في كمال الضياء كذلك النبي صلى الله عليه وسلم له شرف على سائر الخلق في الحسن والبهاء، روى "كان يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر"(٤) (وَ) كا(البَحْرِ فِيْ كَرَمٍ) جود وسخاوة فكما أن البحر نفعه عام لعامة الخلق كذا النبي صلى الله عليه وسلم نفعه عام لعامة الخلق كيف وقد قال الله تعالى: "وَمَا أرْسَلْنَاكَ إلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِيْنَ(٥)

---

(١) انظر: صحيح البخاري ١٦٧/٤ في كتاب المناقب، باب صفة النبي(ص) وشمايل الترمذي: ٣٥ باب ماجاء في خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ودلائل النبوة للبيهقى ١٨٨/١ والشفا للقاضى ٤٠/١.

(٢) راجع: الجامع الصحيح ٨١/٧ في كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي(ص) ولين مسه وشمائل الترمذى ص: ٣٥ باب ماجاء في خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٣) سقطت هذه الالفاظ من الأصل والتكملة من "ب".

(٤) انظر: شمايل الترمذي: ٧ ودلائل النبوة لأبى نعيم ٢٢٨/٢ ودلائل النبوة للبيهقى ١٥٤/١.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(وَ) كا (الدَّهْرِ فِيْ هِمَمٍ) فكما أن الدهر همه لا نهاية لها فكذلك همه صلى الله عليه وسلم لانهاية لها بل همه أجل من هم الدهر كما قال حسان بن ثابت في مدحه صلى الله عليه وسلم:

وقد ورد: ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال لا

له همم لا منتهى لكبارها ... وهمته الصغرى اجل من الدهر
له راحة لو ان معشارجودها ... على البر كان البر اندى من البحر(١)

والأولان من هذه التشبيهات راجعان إلى الخلق والأخيران إلى الخُلق والمقصود(٢) منها تقريب كمالاته إلى الأفهام وإلا فكيف يشبه حاله صلى الله عليه وسلم بما وجوده طفيل وجوده عليه أكمل التحيات وأفضل الصلوات.

ثم دفع ما يتوهم من وصفه بكمال البشاشة وطلاقة الوجه(٣) من عدم المهابة بقوله:

(٥٦)

كَأَنَّهُ وَهْـــوَ فَرْدٌ وَفِـــي جَـلاَلَتِهِ
فِيْ عَسْكَرٍ حِيْنَ تَلْقَاهُ وَفِيْ حَشَمِ

(كَأَنَّهُ) أي النبي صلى الله عليه وسلم (وَهُوَ فَرْدٌ) ليس معه أحد، حال من اسم كأن أو من المستكن في خبره (فِيْ جَلاَلَتِهِ) لأجل جلالته وعظمته

---

(١) انظر: تفسير روح البيان: ١٠٧/١٠ ومطول: ١٨٥ ومختصر المعانى: ١٠٤.

(٢) في الأصل: المقص، مقتضبا.

(٣) في الأصل: الوجود، والتصويب من ب.

ومهابته، علة للجملة التشبيهية كائن (فِي عَسْكَرٍ) عظيم خبر كأن (حِيْنَ تَلْقَاهُ) أي النبي صلى الله عليه وسلم، والتعبير بالمضارع استحضاراً لتلك الصورة البديعة وهو ظرف للخبر (وَ) كائن (فِي حَشَمٍ) كثير والمقصود تشبيه منفرداً بنفسه المباركة مصحوباً بعسكر عظيم وحشم جسيم في الجلالة والوجاهة والمهابة والعظمة:

وليس من الله بمستنكر
ان يجمع العالم في واحد(١)

(٥٧)

كَأَنَّمَا اللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُوْنُ فِيْ صَدَفٍ
مِنْ مَعْدِنَيْ مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسَمِ

(كَأَنَّمَا اللُّؤْلُؤُ) الدر (الْمَكْنُوْنُ) المستور (فِيْ صَدَفٍ) قيّد به لأنه يكون فيه في كمال الصفاء والبهاء، ناش (مِنْ مَعْدِنَيْ مَنْطِقٍ) محل نطق كائن (مِنْهُ) صلى الله عليه وسلم وهو اللسان (وَمُبْتَسَمِ) ومكان تبسم منه صلى الله عليه وسلم(٢) أعنى الشفتين المباركتين، شبه الدر الذي يكون في غاية الصفاء والبهاء بكلامه المهذب المنقح(٣) الموجب لثروة الحياة الأبدية والمثمر للعقبى السرمدية وبأسنانه المباركة اللامعة كالبرق كما روى أنه صلى الله عليه وسلم

(١) البيت لأبى نواس، انظر ديوانه: ٤٥٤ وفي الديوان "وليس على الله بمستنكر" والكشاف ٢: ٤٣٣، وحسن التوسل إلى صناعة الترسل: ٢٩٩، ومختصر المعاني: ٣٢٦ والمطول: ٢٥٦.

(٢) كذا في الأصل وفي ب: وهو الشفتين.

(٣) وفي ب: المنفتح.

"إذا تبسم ضاحكاً افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام"(١) وإذا تكلم رئى كالنور يخرج من ثناياه، وهذا التشبيه كما في قوله:

وبدا الصباح كان غرته
وجه الخليفة ثم يمتدح(٢)

ثم أنه بعد ما أشار إلى امتيازه في الخلق والخلق على من سواه في الحياة، أشار إلى أنه ممتاز عمن سواه بعد الممات أيضاً فقال:

(٥٨)

لاَ طِيْبَ يَعْدِلُ تُرْباً ضَمَّ أَعْظُمَهُ
طُوْبَى لِمُنْتَشِقٍ مِنْهُ وَمُلْتَثِمِ

(لاَطِيْبَ) في العالم (يَعْدِلُ) يسوى نفسه (تُرْباً) أي بترب (ضَمَّ) جمع (أَعْظُمَهُ) صلى الله عليه وسلم صفة ترباً بل يرى نفسه بالنسبة إليه كالتراب بالنسبة إلى الطيب إذ لا قيمةً له بالنسبة إلى تراب روضته(٣) المقدسة المطهرة الميمونة المباركة، وهذا مأخوذ من قول فاطمة رضي الله عنها في مرثيته صلى الله عليه وسلم:

صبت على مصائب لو انها
صبت على الأيام صرن لياليا

ماذا على من شم تربة احمد
ان لا يشم مدى الزمان غواليا(٤)

(١) انظر: دلائل النبوة لأبى نعيم ٢١٩/٢ والشفا للقاضى ٣٩/١.

(٢) البيت لمحمد بن وهيب الحميرى، أبى جعفر، الشاعر العباسى، انظر: معجم الشعراء: ٣٥٨ والطراز ٣٥٣/١ ونهاية الارب ٤٧/٧ وفيه "حين" مكان "ثم" وايضاً: حسن التوسل: ٥٨.

(٣) في الأصل "روضة" والصواب ما اثبت.

(٤) انظر: روح المعانى ١٤٩/١٩ والفوائد الضيائية ٣٤ والعقد الفريد ٢٨٨/٣ وشرح المواهب للزرقانى ٢٩٣/٨ وعيون الأثر ٤٢٣/٢ والوفا لا بن الجوزى ٨٠٣/٢.

وذكر "الأعظم" تعبير عن الكل بأعظم أجزائه وإلا فجسده المبارك الآن كما كان في حال الحياة لقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء"(١) بل قد يحيى صلى الله عليه وسلم في القبر لقوله صلى الله عليه وسلم: "ما من أحد يسلّم عليّ إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام".(٢)

(طُوبَى) حالة جميلة كائنة (لِمُنْتَشِقٍ) وفي بعض النسخ "لمستنشق" أي لشامّ من "انتشقت الريح واستنشقتها": شممتها (مِنْهُ) أي من ذلك التراب الميمون (وَمُلْتَثِمٍ) مقبّل ذلك التراب من الالتثام وهو التقبيل.

ثم شرع في بيان المعجزات وما ظهر قبل الولادة وعند الولادة فقال:

(٥٩)

أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طِيْبِ عُنْصُرِهِ

يَاطِيْبَ مُبْتَدَاءٍ مِنْهُ وَمُخْتَتَمِ

(أَبَانَ) اتّضح وأبنته(٣) أوضحته يتعدى ولايتعدى أي كشف (مَوْلِدُهُ) زمان ولادته صلى الله عليه وسلم (عَنْ طِيْبِ) طهارة ونزاهة (عُنْصُرِهِ) أصله (يَا) النداء للتعجب (طِيْبَ مُبْتَدَاءٍ) زمان ابتداء كائن (مِنْهُ) صلى الله عليه

(١) راجع: سنن ابن ماجه ٥٢٤/١ كتاب الجنائز باب ذكر وفاته ودفنه صلى الله عليه وسلم والمستدرك للحاكم ٥٦٠/٤ كتاب الأهوال ودلائل النبوة لابى نعيم ٢٠٦/٢.

(٢) أخرجه صاحب مشكواة المصابيح من حديث أبى هريرة(رض) في باب الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم: ص ٨٦.

(٣) في الأصل "أبْتَهُ" والتصويب من "ب".

وسلم (وَمُخْتَتَمِ) وزمان اختتام منه، نحن عاجزون عن معرفتك كما أنت.

ثم طيبه صلى الله عليه وسلم على ما ذكر بعضه(١) ما روى عن صفية بنت عبد المطلب أنها قالت: "كنت في ليلة ولادته قابلته، فشاهدت أن نوره غلب على نور السراج، وشاهدت تلك الليلة ست علامات، أحدها: أنه لما خرج سجد، وثانيها: أنه رفع رأسه فقال: لا إله إلا الله إنى رسول الله، ثالثها: أنه أضاء البيت بنوره، رابعها: إنى أردت أن اغسله فهتف هاتف يا صفية لا تتعبي(٢) نفسك فإنى أخرجته مغسولاً طيباً طاهراً، خامسها: إنى رءيت أنه ابن أو ابنة فرأيته مختوناً مقطوع السرة،(٣) سادسها: أردت أن البسه لفافة فرأيت على ظهره خاتم النبوة مكتوب فيه لا إله إلا الله محمد رسول الله".(٤)

وبعضه ما روى عن عائشة رضي الله عنها "أنها قالت لما أرادوا غسل النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: لا ندرى أنجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد موتانا أم نغسله وعليه ثيابه؟ فلما اختلفوا ألقى الله تعالى عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا وذقنه في صدره، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو، إغسلوا النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه، فقاموا فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص".(٥)

وما روى "عن علي رضي الله عنه أنه قال: ما رأيت وقت غسل بدنه المبارك ما للأموات من درن ووسخ وغيره فقلت: بأبى وأمى ما أطيبك حياً وميتاً".(٦)

(١) كذا في الأصل وعبارة ب: ثم طيب ما ذكره بعضهم.

(٢) في الأصل "تتعب" وصوابه "تتعبى" على صيغة المؤنث.

(٣) في الأصل "السر" وصوابه "السرة".

(٤) انظر: شواهد النبوة: ١٢٥.

(٥) راجع مشكواة المصابيح: ٥٤٥، باب الكرامات وشواهد النبوة: ١٢٦ ودلائل البيهقى ٢٤٢/٧ وسنن أبى داؤد ١٦٥/٢ في كتاب الجنائز والوفا ٧٩٤/٢ وعيون الأثر ٤٢٢/٢ والخصائص الكبرى ٢٧٥/٢.

(٦) انظر: شمايل الترمذي: ٤٥ ودلائل البيهقى ٢٤٤/٧.

وما روى عنه أنه سئل عن سبب كمال فهمه وحفظه فقال: لما غسلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقى قطرة ماء في عينيه صلى الله عليه وسلم، ولم أجوز إراقته على الأرض، فشربت فصار بذلك فهمى وحفظى كاملاً وفائقاً.(١)

وبعضه ما أشار إليه الناظم قدس سره بقوله:

(٦٠)

يَوْمٌ تَفَرَّسَ فِيــــهِ الْفُرْسُ أَنَّهُمْ
قَدْ أُنْذِرُوا بِحُلُولِ الْبُؤْسِ وَالنِّقَمِ

(يَوْمٌ) بدل من مولده، وكثيراً مّا يطلق اليوم ويراد به مطلق الوقت وهو المراد ههنا (تَفَرَّسَ) صفة يوم أي علموا بالفراسة (فِيْهِ) في ذلك اليوم (الْفُرْسُ) كالقفل، الفارسيون (أَنَّهُم) مفعول "تفرس" (قَدْ أُنْذِرُوا) خوفوا (بِحُلُولِ) نزول (الْبُؤْسِ) الشدة والعذاب (وَالنِّقَمِ) كالنعم جمع نقمة كنعمة وهي المصيبة يعنى علموا نزول الهوان والحقارة بهم وزوال مملكتهم لمشاهدتهم أموراً غريبة لم يشاهدوها أصلاً.

(٦١)

وَبَاتَ اِيْوَانُ كِسْـــرَى وَهُوَ مُنْصَدِعٌ
كَشَمْلِ اَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرَ مُلْتَئِمِ

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقى: ٥٤٤ وشواهد النبوة: ١٨٨ والموضوعات الكبرى: ٢٨٧ وشرح المواهب ٢٨٩/٨ والمقاصد الحسنة للسخاوى (٣٣٨) وقال النووى: ليس بصحيح وقد ذكر ابن الجوزى في الوفا ٧٩٤/٢ رواية عن جعفر بن محمد الصادق ونصها: كان الماء يستنقع في جفون النبي صلى الله عليه وسلم فكان على رضي الله عنه يحسوه.

(وَ) يوم (بَاتَ) فيه (اِيْوَانُ) في الصحاح:(١) الاوان والايوان؛ الصفة العظيمة، وجمع الأول أُوُن مثل خِوانٍ خُوُنٌ، وجمع الثاني إيوانات وأواوين لأن أصله اوانٌ، فأبدلت من إحدى(٢) الواوين ياءً، وفي الدستور؛(٣) آيوان، بفتح الهمزة (كِسْرَى) بكسر الكاف وفتحها، اسم جنس لملوك الفرس كما أن قيصر اسم ملوك الروم وهو معرب خسرو والمراد ههنا نوشيروان بن القباد العادل، (وَهُوَ مُنْصَدِعٌ) حال من الايوان أي منشق ومنكسر (كَشَمْلِ) خبر "بات" أي مثل تفرّق.

(اَصْحَابِ كِسْرَى) الذي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه إليه مع عبد الله بن حذافة السهمى وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين إليه، فلما قرأه مزقه فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمزقوا كل ممزّقٍ أي فرقهم الله تفريقاً تاماً، واسمه خسرو الذي زوجته شيرين، فاجاب الله تعالى دعاء نبيه فيهم، فقام ابن خسرو شيرويه فشق بطن أبيه ليتزوج بشيرين لغلبة عشقه بها، فلما دفن خسرو قال شيروية: تعالى! أتزوجك، فقالت: اصبر لأدخل قبر أبيك وأودّعه، فدخلت القبر وأخذت سيفاً ووضعت مقبضه على جرح خسرو و وضعت بطنها على طرف السيف واعتمدت على السيف حتى دخل السيف في بطنها وخرّت على خسرو ميتةً.(٤)

والشمل من الأضداد يقال: جمع الله شمله أي ما تشتت من أمره وفرق الله شمله أي ما اجتمع من أمره كالبين للفراق والوصال.(٥) (غَيْرَ مُلْتَئِمٍ) مجتمعٍ، حال من "أصحاب".

(١) راجع الصحاح ٢٠٧٦/٥ تحت المادة "اون".

(٢) وعبارة الأصل: "قل من أحد الواوين ياء" والتصويب من "ب".

(٣) أي جامع العلوم الملقب بدستور العلماء للقاضى عبد النبى أحمد نكرى وقد طبع من حيدر آباد الدكن في سنة ١٣٢٩هـ، فراجع منه تحت المادة "اون".

(٤) راجع شواهد النبوة: ٥٨.

(٥) راجع الصحاح: ٦٠٣/٤ تحت المادة "شمل".

(٦٢)

وَالنَّارُ خَامِــدَةُ الأَنْفَاسِ مِنْ أَسَفٍ
عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِي العَيْنِ مِنْ سَدَمِ

(وَ) يوم (النَّارُ) التي يعبدها الفرس وقد مضى عليها ألف سنة لم تخمد أصلاً (خَامدَةٌ) ساكنة (الأَنْفَاسِ) أي الألهاب فيه (مِنْ أَسَفٍ) لأجل تأسف وحزن (عَلَيه) أي كسرى مع ما توجه إليه من انشقاق الايوان، (وَالنَّهْرُ سَاهِي) ساكن (العَيْنِ) الينبوع عن الجريان أو غافل العَيْنِ بأن جرى في غير ممرّه وخرب بناء كسرى غير مرة، (مِنْ سَدَمٍ) لأجل ندم وحزن عليه وما توجه إليه، وسدم كندم.

(٦٣)

وَسَاءَ سَاوَةَ أَنْ غَاصَتْ بُحَيْرَتُهَا
وَرُدَّ وَارِدُهَا بِالْغَيْظِ حِينَ ظَمِ

(وَ) يوم (سَاءَ) أحزن فيه، ساءه يسوءه سوءاً، بالفتح، نقيض سرّه، والاسم السوء بالضم وقرئ عليهم دائرة السوء(١) يعنى الهزيمة والشر، أهل (سَاوَةَ) مفعول "ساء" وهي مدينة بين الهمدان والرّى من مدنهم (أَنْ غَاصَتْ) نقصت فاعل "ساء" (بُحَيْرَتُهَا) أي ماء بحيرة ساوة (وَرُدَّ) صُرِف، قرئ معلوماً

(١) وفي الأصل: ساكنة والتصويب من ب.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٩٨ وسورة الفتح، الآية: ٦.

ففاعله ضميره الراجع إلى "أن غاصت"، ومجهولاً (وَارِدُهَا) أي داخل البحيرة متلبساً (بِالْغَيْظِ) الغضب حيث لم يجد فيها ماءاً (حِينَ ظَمٍ) عطش، ظرف ردّ ووارِدها، وظمى من الظماء، قلبت همزته ياءاً، وأسكنت لضرورة القافية.

ثم بين خمود النار وجمود الماء بوجه لطيف تخييلى:

(٦٤)

كَأَنَّ بِالنَّـارِ مَا بِالْمَـاءِ مِـنْ بَلَلٍ
حُزْناً وَبِالْمَاءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمِ

(كَأَنَّ) التصق (بِالنَّارِمَا) الذي ثبت (بِالْمَاءِ مِنْ بَلَلٍ) ندىً من بَلَّهُ يبلّه بالضم نداه، وفي الحديث: "بلوا أرحامكم ولو بالسلام"(١) أي ندّوها بالصلة يعنى أن النار أخذت طبيعة الماء من الرطوبة فطفئت.

(حُزْناً) مفعول له أي طفئت حزناً على عابديها وعامله هو "طفئت" المفهوم من سياق الكلام لا الظرف المستقر لعدم اتحاد الفاعل الموجب لتقدير اللام على ماهو المشهور.

قال الرضى: "وبعض النحاة لا يشترط تشاركهما في الفاعل"(٢) وهو الذي يقوى في ظنى وإن كان الأغلب هو الأول،والدليل على جواز عدم التشارك قول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في نهج البلاغة:

(١) رواه الترمذي عن عبد الله بن السلام: في صفة القيامة، باب افشر السلام وهذا شطر من حديث طويل وانظر: الدارمى ٣٤٠/١ والحاكم ١٢٩/٤ من حديث أبى هريرة ومسند احمد ٤٥١/٥ وابن ماجة في إقامة الصلاة، باب ماجاء في قيام الليل.
(٢) راجع شرح الكافية للرضى: ١٨٤.

"فأعطاهُ "اللّه"(١) النَّظرَةَ استحقاقاً للسُّخطة(٢) واستتماماً(٣) للبليّة "وإنجازاً(٤) للعِدةّ"(٥) والمستحق للسخط ابليس والمعطى للنظرة هو اللّه تعالى.

ولا يجوز أن يكون استحقاقاً حالاً من المفعول لأن استتماماً إذن يكون حالاً من الفاعل وكذا إنجازاً للعدة ولا يعطف حال الفاعل على حال المفعول انتهى.

أقول: وفيه بحث إذ قد صرّح في أول بحث الحالِ بعكسه فقال:(٦) "يجوز عطف أحد حَالِيَ الفاعل والمفعول على الآخر كقولك: لقيت زيداً ماشياً وراكباً".(٧)

(وَ) التصق (بالْمَاءِمَا) الذي ثبت (بالنَّارِ منْ ضَرَمِ) كندم، اشتعال و التهاب يعنى أن الماء أخذ طبيعة النار فجمد حزناً عليهم.

هذا وتفصيل ما ذكر في الأبيات الأربعة من الأمارات أن في ليلة ولادته صلى اللّه عليه وسلم تزلزل إيوان كسرى وسقط منه أربع عشرة شرفةً وخمدت النار التي مضى عليها ألف سنة وهي متقدة وغار(٨) ماء البحيرة ورأى موبذان و كان أعلم المجوس في المنام، كأن الجمال الشرد العربية(٩) الغير

(١) التكملة من نهج البلاغة ٩٤/١.

(٢) في الأصل المخطوط "للسخط" والتصويب من نهج البلاغة.

(٣) في الأصل "استتمالاً" والتصويب من نهج البلاغة.

(٤) التكملة من نهج البلاغة.

(٥) راجع شرح نهج البلاغة ٩٤/١: في صفة آدم عليه السلام.

(٦) الضمير راجع إلى رضى الدين الاسترآبادى م ٢١٣ هـ.

(٧) راجع شرح الكافية للرضى: ١٧٤.

(٨) في الأصل "غارت" وصوابه "غار" أو "غارت مياه البحيرة".

(٩) في الأصل "العربي" وهو خطأ والصواب ما اثبت.

المخطومة تقود الخيل العربى حتى جاوزت دِجلة وتفرقت في البلاد، واضطرب كسرى من التزلزل والسقوطٌ غاية الاضطراب وتحير تحيراً شديداً، فلما أصبح جلس على السرير فقصّ القصة عند الوزراء والحكماء، وكانوا في ذلك إذ وصل إليهم خبر النار، وأخبر أعلم المجوس عن رؤياه واضطرب كسرى وتحير وسأله عنها.

فقال: تحدث حادثة من ناحية العرب، فكتب إلى نعمان بن المنذر أن ارْسِلْ رجلاً ماهراً يجيب عما أسأله، فأرسل عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة الغسانى، فسأله فقال: لا أعلمه إنما علمه عند خالى سطيح الكاهن(١) في الشام، قال: فاذهب وسَله، فلما ذهب إلى سطيح، وجده مشرفاً على الموت، فسلم عليه ولم يجبه، فأنشد شعراً فرفع سطيح رأسه فقال: عبد المسيح، على جمل يسيح على سطيح، وقد أوفى على الضريح، ياعبد المسيح، بعثك ملك بنى ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان، ياعبد المسيح، إذا غاصت بحيرة ساوة،(٢) وفاض وادى السماوة، فقد ولد صاحب التلاوة، وظهر خير الأديان، وزال ملك بنى ساسان، وسيملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات، وكل ماهو آتٍ آتٍ، ثم خرجت نفسه، فلماجاء عبد المسيح عند كسرى وقص القصة تسلى بذلك وقال: إلى أن يملك أربعة عشر زمانٌ طويل، ثم عشرة منهم انقطع في أربع سنين و أربعة أُخَر مَلَكَ إلى خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي اللّه عنه".(٣)

(١) الأصل "الكائن" محرفاً.

(٢) في الأصل "سادة" محرفاً.

(٣) انظر: شواهد النبوة: ٥٨ والسيرة النبوية لا بن زينى دحلان ٤٢/١ والسيرة الحلبية ٧٤/١ ودلائل النبوة لأبى نعيم ٤١/١ ودلائل النبوة للبيهقى ١٠٣/١، ١٠٦ باب ماجاء في ارتجاس ايوان كسرى وأعلام النبوة للماوردى: ١٦٣ وجواهر البحار ١٢٩/١ والخصائص الكبرى ٣٥/١ وشرح الشفا للعلامة على القارى ٧٤٧/١.

وجاء في بعض الروايات أن كسرى بنى على دجلة بناءً عظيماً، صرف في عمارته مالاً كثيراً لايعلم حسابه إلا الله، فانصدع إيوانه وذهب الماء ببنائه، وكان عنده ثلاث مائة وستون نفراً من الكاهنين والساحرين والمنجمين فجمعهم وسألهم عن سبب خراب البناء وانكسار(١) الايوان، فقاموا من عنده وتأمّلوا، فاجمعوا على أنه بعث نبيٌ أو سيبعث إلا أنهم لم يظهروه خوفاً من أن يقتلهم، فقالوا: سببهما إنما هو الخطأ في اختيارساعة البناء،، ونحن نختار ساعة مباركة لبنائه حتى لا يخرب أصلاً، ثم شرع فلما تم البناء ذهب إليه مع الحشم والخدم، فغلب الماء وذهب بالبناء وأخرجوه من الماء كالميت، فغاظ عليهم وقتل كثيراً منهم، وقال الباقون: أخطأنا كالمتقدمين، ثم اختاروا ساعة فشرع فلما تم ذهب إليه خائفاً، فغلب الماء وذهب به وأخرجوه كذلك، فطلبهم وهدّدهم(٢) بالقتل، فلما لم يبق لهم مجال، قالوا: الحق أنه بعث أو سيبعث نبي يكون زوال ملكك منه، فلما سمع هذا الخبر ترك البناء.(٣)

(٦٥)

وَالْجِنُّ تَهْتِفُ وَالأَنْـوارُ سَاطِعَةٌ
وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنىً وَمِنْ كَلِمِ

(وَ) يوم (الْجِنُّ تَهْتِفُ) فيه، تُفْهِم بكلامه من حيث لا يرى أن نبي آخر الزمان قد ولد، يقال: هتف هاتف أي أفهم بكلامه (وَالأَنْوَارُ) الحاصلة بيمن

(١) في الأصل "انكسر" والصواب ما اثبت.

(٢) الأصل "هدوهم" محرفاً.

(٣) راجع: شرح الشفا للملا على القارى ٧٥١/١ وشواهد النبوة: ٦٠ والخصائص الكبرى ١١٠/١ باب: تنكس الاصنام عند بعثته صلى الله عليه وسلم وماجرى على كسرى، والسيرة الحلبية ٧٥/١.

ولادته صلى الله عليه وسلم (سَاطِعَةٌ) مرتفعة ظاهرة بحيث أضاء بها قصور الشام(١) (وَالْحَقُّ) الذي هو نبوته صلى الله عليه وسلم (يَظْهَرُ مِنْ مَعْنىً) أمور عجيبة وأحوال غريبة ظهرت عند ولادته صلى الله عليه وسلم (وَ) يظهر أيضاً (مِنْ كَلِمٍ) أقوال الجن والكاهنين والقائلين بأنه قد ولد نبي آخر الزمان، ثم لما كان الإنكار بعد ظهور الدلائل الموجبة لليقين مستبعداً يتعجب منه، أشار إلى بيان السبب فقال:

(٦٦)

عَمُوا وَصَمُّوا فَإِعلَانُ الْبَشَائِرِ لَمْ
تُسْمَعْ وَبَارِقَةُ الإِنْـذَارِ لَمْ تُشَمِ

(عَمُوا) أي الكفار عن رؤية أمور غريبة ظهرت عند الولادة أي ذهب الله بأبصارهم (وَصَمُّوا) عن سماع عن قول الجن والكهنة أي ذهب بأسماعهم (فَإِعْلَانُ) إظهار الكهان (الْبَشَائِرِ) جمع بشارة، بالضم والكسر، وهو الخبر الذي يسرّ والمراد بها ههنا خبر ولادة النبي صلى الله عليه وسلم وتصرفه في البلاد والعباد وغير ذلك.

(لَمْ تُسْمَعْ) لم يقع مسموعاً لهم سماع تدبرٍ (وَبَارِقَةُ) لامعة (الإِنْذَارِ) التخويف الذي هو انشقاق الايوان وخمود النيران وجمود الماء وغير ذلك.

(١) إشارة إلى حديث نصه: "إن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته نوراً أضاء له قصور الشام" مسند أحمد ١٣٧/٤ والمستدرك ٦٠٠/٢ ودلائل البيهقي ٨٠/١ والشفا ٢٢٦/١ والوفا ٣٦/١ وابن هشام ١٧٥/١ والسيرة الحلبية ٥٦/١.

(لَمْ تُشَم) لم ينظر نظر تفكر واعتبار من "ايشم"(١) وهو النظر، والعجب أنهم عموا وصموا.

(٦٧)

مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ
بِأَنَّ دِينَهُمُ المُعْوَجَّ لَمْ يَقُمِ

(مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الأَقْوَامَ) جمع قوم، في الصحاح:(٢) القوم: الرجال دون النساء لا واحدَ له من لفظه، قال زهير:(٣).

وما أدري وسوف إخال أدري
أقوم آل حصن أم نساء(٤)

وقال الله تعالى: لا يسخر قوم من قوم(٥) ثم قال: ولانساءٌ، وربما دخل النساء فيه على سبيل التبع.

(كَاهِنُهُمْ) فاعل أخبر والكاهن هو الذي يخبر عن الكوائن في المستقبل ويدعى في معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب، (بِأَنَّ) متعلق أخبر.

---

(١) كذا في الأصل والأجود أن يقول: ايشام.

(٢) راجع الصحاح ٢٠١٦/٥ تحت المادة "قوم".

(٣) هو زهير بن أبي سلمى، الشاعر الجاهلي من أصحاب المعلقات:
انظر: "فحول الشعراء: ٤٣" و "الشعر والشعراء، ١٣٧:١".

(٤) راجع: ديوانه: ٧٣ وفي الديوان "لست" مكان "سوف".

(٥) سورة الحجرات، الآية: ١١.

(دِينَهُمُ المُعْوَجَّ) الذي فيه عِوَجٌ، ذكر الجوهري:(١) كل ما كان منتصباً كالحائط والعود(٢) قيل: فيه عوج بالفتح، والعوج بالكسر ما كان في أرض أو دِين أو مَعَاش:

(لَمْ يَقُمْ) لم يرج، من قامت السوق: نفقت وراجت.

(٦٨)

وَبَعْدَ مَا عَايَنُوا فِي الأُفْقِ مِنْ شُهُبٍ
مُنْقَضَّةٍ وَفْقَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ صَنَمِ

(وَبَعْدَ) عطف على "بعد ما أخبر" (مَا) مصدرية أو موصولة (عَايَنُوا) شاهدوا (فِي الأُفْقِ) بضم الأول وسكون الثاني، واحد الآفاق كما أنه بضمها(٣) كذلك أي في الجوانب والنواحي.

(مِنْ شُهُبٍ) جمع شهاب بكسر الأول بمعنى شعلة النار أي شعل منفصلة عن الكواكب كالقَبَس يؤخذ من النار وقت استراق الشياطين السمْعَ فيقتلهم أو يُخبلهم، وهذا هو معنى كون النجوم رجوماً للشياطين(٤) لأن الكواكب تزول عن مكانها(٥) وقد كانوا قبل ميلاده صلى الله عليه وسلم يسترقون السمع.

---

(١) راجع الصحاح ٣٣١/١ تحت المادة "عوج".

(٢) وفي الأصل: العمود، والصواب ما أثبت.

(٣) راجع الصحاح: ١٤٤٦/٤ تحت المادة "افق" واللسان ٥/١٠.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين: سورة الملك، الآية: ٥.

(٥) في الأصل "مكانه" وصوابه "مكانها".

قال القاضي في تفسيره في سورة الحجر: "روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا لا يحجبون عن السموات، فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات، فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب"(١) ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز أن يكون لها أسباب أخر انتهى.

والقول بأن الشهب جمع شهاب بمعنى النجم ليس على ما ينبغي، (مُنْقَضَّةً) ساقطة، يقال انقض الحائط أي سقط انقضاضاً (وَفْق) انقضاض (مَا فِي الأَرْضِ مِنْ صَنَمٍ) في ليلة ولادته في أن انقضاضها كان علامة طرد المضلين.

(٦٩)

حَتَّى غَدَا عَنْ طَرِيْقِ الْوَحْيِ مُنْهَزِمٌ
مِنَ الشَّيَاطِيْنِ يَقْفُـــوا اثْرَ مُنْهَزِمِ

(حَتَّى غَدَا) صار (عَنْ طَرِيْقِ الْوَحْيِ) متعلق بقوله (مُنْهَزِمٌ) اسم "غدا" كائن (مِنَ الشَّيَاطِيْنِ يَقْفُوا) خبر "غدا" أي يتبع (اثْرَ) عقب (مُنْهَزِمِ) آخر.

ثم أنه شبه حال الشياطين المنهزمين المرجومين الذين كانوا يقصدون بالاستراق تخريب(٢) كعبة القلب بالاغواء بمن قصدوا تخريب كعبة بيت الحرام ومن قصدوا مقاتلة مربّ(٣) الكعبة نبيّ الأنام صلى الله عليه وسلم فاهلكوا

(١) انظر في تفسير البيضاوي: ٣٤٥ سورة الحجر، الآية: ١٨ في تفسير: ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيّنّاها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم إلاّ من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين وانظر أيضاً: شرح الشفا للعلامة على القارى ٧٥٢/١ والخصائص الكبرى ١/ ١١٠ باب حراسة السماء من استراق السمع بالمبعث الشريف، والسيرة النبوية لا بن زينى دحلان ١/ ٤٠.

(٢) وعبارة ب: بالاستراق تخريب كعبة بيت الحرام.

(٣) وفي ب: يرب.

جميعاً بما يتحير فيه العقول والأفهام بعون الله الملك العلاّم تقريراً وتاكيداً للانهزام فقال:

(٧٠)

كَأَنَّهُـمْ هَـرَباً أَبْطَـالُ أَبْـرَهَةٍ
أَوْ عَسْكَرٌ بِالْحَصَى مِنْ رَاحَتَيْهِ رُمِى

(كَأَنَّهُمْ) أي الشياطين المنهزمين (هَرَباً) بالتحريك وقت الفرار أو من حيث الفرار (أَبْطَالُ) خبر، جمع بطل وهو الشجاع.

(أَبْرَهَةٍ) الأشرم الحبشى من ملوك اليمن وهو أبو يكسوم صاحب الفيل، فكما أنهم قصدوا تخريبَ الكعبة فأهلكوا بقرب ميلاده صلى الله عليه وسلم "بحجارةٍ من سجيل"(١) كذلك الشياطين رجموا في ليلة ولادته بالشهب.

روى أن أبا يكسوم بنى بصنعاء كنيسةً ليصرف إليها الحاج عن مكة فأحدث رجل من كنانة فيها ولطخ قبلتها بالْعَذِرَة احتقاراً بها، فحلف ليهدمنّ الكعبة، فجاء مكة بجيشه على أفيال مقدمها فيل اسمه محمود، فحين توجهوا لهدم الكعبة أرسل الله تعالى عليهم طيراً يرمى كل واحد منهم بحجر مكتوب عليه اسمه، أكبر من العدسة وأصغر(٢) من الحمصّة، يخرق البيضة والرجل والفيل ويصل إلى الأرض(٣) "فجعلهم كعصف مأكولٍ".(٤)

(١) كلمات قرآنية، سورة الفيل، الآية: ٤.

(٢) في الأصل "اكثر" وهو خطأ كتابى والصواب ما أثبت.

(٣) راجع: السيرة النبوية لا بن هشام ٣٧/١ وتاريخ اليعقوبى ٢/ ٤٠ والطبرى ١٣١/٢ والدر المنثور ٣٩٤/٦ وتفسير الطبرى ١٦٦/٣ وتفسير البيضاوى: ١٩٥١ والخصائص الكبرى ٤٣/١ وشواهد النبوة: ٥٢ والسيرة الحلبية ٥٩/١ وأعلام النبوة: ١٨٦.

(٤) كلمات قرآنية: سورة الفيل، الآية: ٥.

(أوْ عَسْكَرٍ) عطف على أبطال يعني كأن الشياطين جيش (بِالحَصَى) دقاق(١) الحجارة ناشية (مِنْ رَاحَتَيْهِ) أي كفى النبي صلى الله عليه وسلم (رمى) صفة عسكر، وبالحصا متعلق به، يعني كأنهم جيش رُمِيَ بحجارة دقيقة ناشيةٍ من كفيه صلى الله عليه وسلم، روى أنه لما طلعت قريش يوم بدرٍ، فقال صلى الله عليه وسلم: "هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك، اللهم إني أسئلك ما وعدتني. فأتاه جبرئيل عليه السلام وقال له صلى الله عليه وسلم: خذ قبضةً من ترابٍ فارمهم بها، فلما التقى الجمعان تناول كفاً من الحصا فرمى بها في وجوههم، وقال: شاهت الوجوه،(٢) فلم يبق مشرك إلا شغل بعينيه فانهزموا"(٣) وكان ذلك الحصا يسبح في كفه صلى الله عليه وسلم معجزةً له بحيث سمع الحاضرون التسبيح، وإليه أشار بقوله:

(٧١)

نَبْذاً به بَعْدَ تَسْبيحٍ بِبَطْنِهِمَا
نَبْذَ المُسَبِّحِ مِنْ أحْشاءِ مُلْتَقِمِ

(نَبْذاً بِهِ) أي نبذ الرسول صلى الله عليه وسلم أي ألقى من "نبذت الشئ" إذا ألقيته(٤) من يدك ذلك الحصا نبذاً، فالباء لتقوية العمل وإن كان المتعارف هو اللام (بَعْدَ تَسْبِيحٍ) ذلك الحصا (بِبَطْنِهِمَا) أي في بطن كفيه المباركتين(٥)

(١) كذا في الأصل وفي ب: رقاق.
(٢) في الأصل: ابوجو، والصواب ما اثبت.
(٣) انظر: تفسير الكشاف ١٢٨/٢ وسيرة ابن هشام ١٣٨/٢.
(٤) راجع: اللسان ٥١٢/٣ تحت المادة "نبذ".
(٥) في الأصل "المباركين" والصواب ما اثبت.

مثل (نَبْذَ) الله (المُسَبِّحِ) القائل بقوله: لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين"(١) وهو يونس عليه السلام.

واعلم أنه كما(٢) استجاب الله ليونس عليه السلام ببركة هذا التسبيح كذلك يستجاب لكل مسلم يدعو به لقوله صلى الله عليه وسلم: "لم يدع بها رجل مسلم في شئى قط إلا استجاب الله له".(٣)

(مِنْ أحشَاءِ) جوف (مُلْتَقِمِ) مبتلع وهو الحوت.

روى أن يونس عليه السلام بعث إلى نينوى من الموصل فكذبوه وأصروا عليه فوعدهم بالعذاب إلى ثلاث، وقيل: إلى أربعين، وخرج من بينهم، فلما دنا الموعد أغامت السماء غيماً أسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشى مدينتهم، فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه، فأيقنوا صدقه، فلبسوا المُسوحَ وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم، وفرقوا(٤) بين كل والدة(٥) وولدها فحن بعضها إلى بعض، وعلت الأصوات والعجيج وأخلصوا التوبة وأظهروا الإيمان وتضرعوا إلى الله تعالى وقالوا: يا حي حين لا(٦) حيٌ، ياحي محى الموتى، ياحي لا إله إلا أنت" فرحمهم الله وكشف عنهم العذاب وكان عاشوراء يوم الجمعة، فدنا يونس عليه السلام يوماً من بلدهم بعد ثلاثة أيام ليعلم كيف حالهم، هل(٧) بقى منهم أحد أم هلكوا جميعاً بالعذاب، فرأى من البعيد أن البلد معمور كما كان وأهله أحياء فاستحى وقال: قد قلت لهم إن العذاب ينزل عليكم(٨) بعد ثلاثة أيام وقد مضى ثلاث، ولم ينزل عليهم، ولم يعلم أنه نزل عليهم ورفع عنهم، فذهب بلا إذن من ربه حتى أتى سفينةً وركبها، فلما ركبها وقفت(٩) في لُجة البحر

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.
(٢) وردت في ب: لما.
(٣) انظر في تفسير البيضاوى: ٤٣٥ سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.
(٤) في الأصل: فرق، والتصويب من ب.
(٥) في الأصل: واحدة، والتصويب من ب.
(٦) وفي ب: ما.
(٧) في الأصل المخطوط "بل" والتصويب من "ب".
(٨) وفي ب: من بعد.
(٩) وفي ب: وقعت.

فقال(١) الملاحون: هنا عبد آبق من سيده وتظهره القرعة "فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِيْنَ"(٢) من المعلومين بالقرعة، فألقوه في البحر فالتقمه الحوت، فجعل يقول في بطنه: "لاَ الِهَ إلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالمين"(٣) فَلَوْ لاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِيْنَ لَلَبِثَ فِيْ بَطْنِه إلى يَوْمِ يُبْعَثُوْنَ.(٤) فنبذ بالساحل من يومه أو بعد ثلاثة أيام أو سبعة أيام أو عشرين أو أربعين يوماً وهو سقيم، فأنبت الله عليه شجرة يقطين أي القرع تظله، وهو ذو ساق على خلاف العادة في القرع معجزة له، وكانت تأتيه وعلةٌ صباحاً ومساء يشرب لبنها حتى قوى.(٥)

و وجه الشبه في هذا التشبيه أن النبذ الثاني كما كان خارقاً للعادة موجباً لنجاته(٦) عليه السلام كذلك النبذ الأول كان خارقاً للعادة باعتبار تسبيح الحصا وانهزام المشركين بمجرد ذلك وموجباً لنجاة المسلمين، والمنقول أنه صلى الله عليه وسلم تناول كفاً واحداً(٧) من الحصا وما يفهم من هذا المقام خلافه ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم وضعها في الكفين المباركين(٨) عند الرمى فرمى بهما.(٩)

(٧٢)

جَاءَتْ لِدَعْوَتِه الأَشْجَارُ سَاجِدَةً
تَمْشِيْ إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِلاَ قَدَمِ

(١) في الأصل "فقالوا" وصوابه "فقال".

(٢) سورة الصافات، الآية: ١٤١.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

(٤) سورة الصافات، الآية: ١٤٣، ١٤٤.

(٥) راجع تفسير أبي السعود ٥/ ٢٠٠ وقصص الانبياء، لعبد الوهاب النجار: ٣٥٣ والمختصر في أخبار البشر ١/ ٣٢ والبداية والنهاية ١/ ٤٧.

(٦) في الأصل "للنجاته" والصواب بدون الالف واللام.

(٧) كذا في الأصل والأجود "واحدة".

(٨) كذا والأجود: المباركتين.

(٩) وفي ب: بها.

(جَاءَتْ لِـ) أجل (دَعْوَتِه) أو وقتها صلى الله عليه وسلم لغرض من الأغراض (الأَشْجَارُ) صيغة الجمع إما على حقيقة بناءً على تعداد الواقعة أو أن الشجرتين جاءتا معاً عنده على ما روى "أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى الصحراء لقضاء الحاجة ومعه علي رضي الله عنه فأرسله إلى شجرتين بالبادية وقال: أدعهما(١) فانطلق إليهما، وقال: دعاكما نبى الله فانطلقتا(٢) على ساقيهما بلا قدم خاشعتين خاضعتين واضعتين رؤوس الأغصان كهئية الساجد وصارتا ستراً له، فلما فرغ قال: اذهبا، كذا في بعض الشروح.(٣)

والتثنية من مراتب الجمع صرّح به القاضي(٤) في سورة البقرة في قوله تعالى: ربنا واجعلنا مسلمين"(٥) أو بمعنى شجر من الأشجار على أن اللام أبطل معنى الجمعية، حال كونها:

(سَاجِدَةً) ناكسةً رؤسها دهشةً وهيبةً منه صلى الله عليه وسلم لأن من رآه بديهةً هابه لكمال مهابته وعظمته ووقاره أو انفعالاً وحياءاً من أن يدعو مثلَه مثلها(٦) أو خاضعةً متواضعةً متأدبةً كما هو طريق المتأدبين عند الكبراء (تمشى) تلك الأشجار (إِلَيْهِ) صلى الله عليه وسلم حال متداخلة أو مترادفة مشياً كائناً (عَلَى سَاقٍ) كائن (بِلاَقَدَمٍ).

ثم شبه الخطوط الحاصلة على الأرض من رؤس الأغصان بالكتابة فقال:

(١) الأصل "اودعها" وهو خطأ والصواب ما اثبت.

(٢) وعبارة الأصل: فانطلقا على ساقيهما بلا قدم خاشعين خاضعين واضعين.

(٣) راجع عصيدة الشهدة: ١٢٩ وشرح شيخ زاده بهامش عصيدة الشهدة: ١٢٨ والشفا للقاضي ١/ ٩٧ وشواهد النبوة: ٢٠٨.

(٤) انظر: تفسير البيضاوى: ص٢٧.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٢٨.

(٦) في الأصل "مثله" وهو خطأ لأن الضمير راجع إلى شجرة.

(٧) في الأصل: الكبر، والتصويب من ب.

(٧٣)

كَأَنَّمَا سَطَرَتْ سَطْراً لِمَا كَتَبَتْ
فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ الخَطِّ فِي اللَّقَمِ

(كَأَنَّمَا سَطَرَتْ) كتبت تلك الأشجار (سَطْراً) كتابة (لِمَا كَتَبَتْ فُرُوعُهَا) أغصان تلك الأشجار عند سقوطها على الأرض تواضعاً للنبيّ صلى الله عليه وسلم (مِنْ بَدِيعِ الخَطِّ) أي الخط العجيب باختلاف هيئات(١) تلك الأغصان على الأرض أو باعتبار المضمون على أنه خط(٢) العبودية له أو خط الحرية لمن أطاعه أو خط عذر التقصير في المجئ قبل الدعوة، (فِي اللَّقَمِ) بالتحريك، وسط الطريق، جاءت الأشجار لحاجته(٣) بلا تلعثم مجيئاً:

(٧٤)

مِثْلُ الْغَمَامَةِ أَنَّى سَارَ سَائِرَةً
تَقِيْهِ حَرَّ وَطِيْسٍ لِلْهَجِيْرِ حَمِي

(مثل) مجئ (الغَمَامَة) قطعة السحاب، عند الحاجة (أَنَّى) كيف (سَارَ) صلى الله عليه وسلم حال كون تلك الغمامة (سَائِرَةً) معه، ثم أشار إلى(٤) فائدة سيرها معه بقوله: (تَقِيْه) أي تقى تلك الغمامة النبيّ صلى الله عليه وسلم عن (حَرَّ) حرارة (وَطِيْسٍ) تنور الهوى(لِلْهَجِيْرِ) وقت الهاجرة وهي نصف النهار

---

(١) كذا في الأصل وفي ب: هيئة.

(٢) وفي الأصل في المواضع الثلاثة: حظ، مصحفا.

(٣) في الأصل: لحاجة، والتصويب من ب.

(٤) سقطت من الأصل والصواب ثباتها.

عند اشتداد الحرّ، ظرف لقوله (حَمِي) ذلك الوطيس(١) صفة له، وجعل قوله "مثل الغمامة" مبتدأ و"سائرةً" خبره ليس على ما ينبغي فتدبرا!

(٧٥)

اَقْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنْشَقِّ أَنَّ لَه
مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ الْقَسَمِ

(اَقْسَمْتُ) حلفت (بِالْقَمَرِ) يقال بعد ما جاوز ثلاث ليالى إلى آخر الشهر، سمى قمرا لبياضه وفيها الهلال (الْمُنْشَقِّ) المنفلق فلقّتين على أبى قبيس وقيقعان آية له صلى الله عليه وسلم وقد سُئلها فقال: اشهدوا.(٢)

والمراد بالقسم في هذا المقام وأمثاله مما يقسم بغير الله صورة القسم لتاكيد مضمون الكلام وترويجه فقط لأنه أقوى من سائر المؤكدات وأسلم من التاكيد بالقسم بالله تعالى بوجوب البر به، وليس الغرض اليمين الشرعى وتشبيه غير الله تعالى به في التعظيم حتى يرد عليه أن الحلف بغير اسم الله تعالى وصفاته منهىٌ "عنه"(٣) بالحديث، قال صلى الله عليه وسلم: "ألا ان الله تعالى

---

(١) "الآن حمى الوطيس" قطعة من حديث أخرجه مسلم في صحيحه: ٥: ١٦٧ في كتاب الجهاد والسير باب في غزوة حنين، واحمد في مسنده ١: ٢٠٧ وأخرجه الجاحظ في جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم انظر: البيان والتبيين ١٢٨/٢ والشفا للقاضى ٤٧/١ وشرح الشفا لعلى القارى ١٩٤/١ في فصاحة النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) قال القاضى عياض والسيوطى: أجمع المفسرون وأهل السنة على وقوع انشقاق القمر، انظر: الشفاللقاضى ١٨٣/١ فصل في انشقاق القمر والخصائص الكبرى ١٢٥/١ وشواهد النبوة: ١٠٧ وصفة الصفوة ٩٢/١ وشرح الشفالعلى القارى ٥٨٤/١ ورواه مسلم عن ابن مسعود في صفات المنافقين والترمذي في تفسير سورة القمر والبخاري في علامات النبوة في الاسلام، وأبو نعيم في الدلائل ٩٥/١.

(٣) سقطت من الأصل والصواب ثباتها.

ينهاكم أن تحلفو بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت".(١)

وجواب القسم قوله: (إِنَّ لَه) أي القمر (مِنْ قَلْبِهِ) أي النبي صلى الله عليه وسلم (نِسْبَةٌ) مناسبة يعنى أن للقمر مناسبة ومشاكلة بقلبه، فقوله من قلبه متعلق به قسماً (مَبْرُورَةً) صادقة (القَسَم) يقال: برَّ في قسمه أي صدق والنسبة بعد المشاركة في كونهما سببين لنجاة العالم عن الظلمة أن كل واحد منهما انشق لأمر النبوة.

أما القمر فلما مرّ وأما قلبه صلى الله عليه وسلم فلما ورد في حديث حليمة بنت الحارث أنها قالت في حديث طويل: "فبينا نحن خلف بيوتنا و رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أخ له من الرضاعة في بُهم لنا، إذ جاءنا أخوه يشتد فقال: ذلك أخى القريشى قد جاءه رجلان، عليهما ثياب بيض فاضجعاه فشقابطنه، فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فنجده قائماً ممتقعا لونه فاعتنقه أبوه فقال: أي بنىّ ما شأنك قال: جاءنى رجلان عليهما ثياب ببص فاضجعانى فشقا بطنى ثم استخرجا منه شيئاً فطرحاه ثم ردا كما كان.(٢)

ولما روى عن أنس رضي الله عنه: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبرائيل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظّ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه وأعاده في مكانه وجاءت الغلمان يسعون إلى أمه يعنى ظئره فقالوا: إن محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون"، قال أنس رضي الله عنه فكنت

(١) راجع: سنن الدارمى: ٣٠٦ باب النهى عن أن يحلف بغير الله والجامع الصحيح ٥/ ٨٠ كتاب الايمان باب النهى عن الحلف بغير الله وصحيح البخاري ٧/ ٢٢١ كتاب الايمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم.

(٢) انظر: مشكواة المصابيح: ٥٢٣ باب علامات النبوة، والمستدرك للحاكم ٢/ ٥٨٢ كتاب التفسير، باب واقعة شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم وأعلام النبوة: ١٩٢ ودلائل النبوة للبيهقى ١/ ٢٩٣

أرى اثر المخيط في صدره هكذا في المصابيح.(١)

وفي المفاتيح: "اعلم أن شق صدره صلى الله عليه وسلم صورى وسببه أنه أراد الله تعالى أن يقدس قلبه وينوّر بنور ألطاف جلاله تحصيلاً لكمال الاستعداد حالة الطفولية وتهيئاً لقبول الوحى السماوى فيصير نفسه قدسية ملكوتية لكونها منقادة للقلب فكانت قابلةً للأنوار الالهيّة التي حصلت في القلب فأرسل إليه جبرئيل عليه السلام حتى شق صدره فأخرج منه علقه هي تكون أم المفاسد والمعاصى في الانسان فلهذا قال بعد ما أخرجه: هذا حظ الشيطان انتهى".(٢)

(٧٦)

وَمَا حَوَى الْغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ
وَكُلُّ طَرْفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي

(وَ) اذكر ويحتمل العطف على القمر فيكون(٣) هو مقسماً به وقوله: إنّ له حينئذ بياناً لوجه كونه مقسما به والجواب قوله: ما سامنى(٤) (مَا) الذي وما للصفة (حَوَى) جمعه (الغار) هو ثقب في أعلى ثور وهو جبل بمَنَى مكة على مسيرة ساعة (مِنْ خَيْرٍ) بيان لما وصف للنبي صلى الله عليه وسلم،جعله

(١) انظر: مشكواة المصابيح: ٥٢٤ باب علامات النبوة.

(٢) راجع: مرقاة المفاتيح: ٦/ ٢٥٧، كتاب الاسراء، باب علامات النبوة.

(٣) وعبارة ب: لكونه مقسما بقوله.

(٤) اشارة إلى البيت رقم: ٨٠.

خيراً مبالغة في وصفه بالخير والفيض (وَمِنْ كَرَمٍ) وصف للصديق رضي الله عنه، جعله كرماً مبالغةً في وصفه به، لأنه قال الله تعالى في حقه: وسيجنبها الأتقى الذي يؤتى ماله يتزكى.(١)

والأتقى الأكرم لقوله تعالى: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم".(٢)

(وَ) الحال إن (كُلُّ طَرْفٍ) عين، كائن (مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ) أي عما حوى الغار أي عن رؤيته وهو متعلق بقوله (عَمِي) لا يبصره مع أنه يبصر أشياء أُخَرَ. روى أن المشركين طلعوا فوق الغار فأشفق أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين، الله ثالثهما، فأعماهم الله تعالى عن الغار فجعلوا يترددون حوله".(٣)

روى أنه صلى الله عليه وسلم لما أمر بالهجرة من مكة إلى المدينة لأربعة عشر سنة من البعثة، أراد الخروج في ليلة وقصد الكفار من القريش أن يقتلوه إذا نام، فلما حان وقت العشاء جاؤا كلهم حول بيته، ونزلت في تلك الليلة أول يسين، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفاً من التراب وخرج من بيته وتلاعليهم: وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً"(٤) وألقى التراب على رؤسهم وأعينهم، فخرج من بينهم بحيث لم يشعر أحد منهم بخروجه، فأخبرهم رجل بأنه قد خيّبكم الله تعالى إذ قد ذهب محمد صلى الله عليه وسلم من بينكم وما شعرتم به وبما فعل بكم، فقاموا ينفضون التراب من رؤسهم

(١) سورة الليل، الآية: ١٨.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.
(٣) انظر: مشكواة المصابيح: ٥٥٦ باب مناقب أبي بكر(رض) والسيرة الحلبية ٤٨/٢ وسيرة ابن زيني دحلان ٣١١/١.
(٤) سورة يسين، الآية: ٩.

ووجوههم فتوجه صلى الله عليه وسلم مع الصديق رضي الله عنه تلقاء الغار، فلما بلغا بابه قال الصديق: يارسول الله أنا أدخل أولاً لعل فيه شيئاً من الهوام فيؤذيك، فجعل يدخل في كل جحر إصبعه حتى وصل إلى جحر عظيم فوضع رجله فيه، وفي رواية: يقد قميصه ويجعل في جحرٍ جحرٍ حتى فَنِيَ القميص وبقى جحر، فجعل رجله فيه، وبالجملة(١) لدغته رضي الله عنه فيه حية ثم قال: ادخل يا رسول الله، فإنى هيأت لك منزلاً، فاشتغل الرسول صلى الله عليه وسلم بالاستراحة والصديق رضي الله عنه كان في نصب وألمٍ من لدغ الحية حتى تورّم بدنه المبارك، فلما أصبح الرسول صلى الله عليه وسلم رأى بدنه متورماً فسأل عنه. قال: لسعت حية، فقال: هلاً أخبرتني، قال: ما أردت أن أنغّص عليك النوم، فمسح صلى الله عليه وسلم بدنه بيده فذهب الورم والألم بالكلية".(٢)

ثم أشار إلى تحقيق كونهم عمين وصرف الله تعالى نظرهم عنه صلى الله عليه وسلم مع كونه بمرأى منهم:

(٧٧)

فَالصِّدْقُ فِي الْغَارِ وَالصِّدِّيقُ لَمْ يَرِمَا
وَهُـمْ يَقُولُـونَ مَـا بِالْغَارِ مِـنْ أَرِمِ

(فَالصِّدْقُ) النبي صلى الله عليه وسلم، سماه صدقاً لكماله في الصدق حيث لم يصدر عنه صلى الله عليه وسلم ما يسمى كذبا لوصورة كائن: (فِي الْغَارِ وَالصِّدِّيقُ) الأكبر رضي الله عنه أيضاً كائن فيه الذي هو

(١) كذا في الأصل وفي ب: في الجملة.
(٢) انظر: اعلام النبوة: ٨١ والسيرة الحلبية ٥٧/٢ وسيرة ابن هشام ٩٣/٢ وشواهد النبوة: ١١٥.

الأفضل بعد الأنبياء لقوله صلى الله عليه وسلم: "والله ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على رجل أفضل من أبي بكر".(١)

وقوله صلى الله عليه وسلم: "ما ينبغى لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره"(٢)

وقوله صلى الله عليه وسلم: لو وزن إيمان أبى بكر(٣) بإيمان العالمين لَرَجَحَ(٤) وقوله: أين مثل أبى بكر، كذبنى الناس وهو صدقنى وآمن وزوجنى ابنته وجهزنى بماله ونفسه وجاهد معى ساعة الخوف.(٥) وقول محمد ابن الحنفية، قال، قلت لأبى: أي الناس خير بعد النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أبو بكر، قلت ثم من، قال عمر.(٦) الحديث، وقول ابن عمر(رض): قال،"كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حىّ، أفضل أمة النبي صلى الله عليه وسلم بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علىّ(٧) رضوان الله تعالىٰ عليهم أجمعين، وقول عمر رضي الله عنه: أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.(٨)

---

(١) ذكره ابن زينى في السيرة النبوية ٣١٦/١ من حديث أبى الدردا.(رض) قال رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمشى امام أبى بكر(رض) فقال: ياأبا الدردا. تمشى أمام من هو أفضل منك في الدنيا والآخرة فو الذي نفس محمد بيده ما طلعت الشمس الخ.

(٢) انظر: مشكواة المصابيح: ٥٥٥ باب مناقب أبى بكر الصديق رضي الله عنه.

(٣) في الأصل "أبوبكر" وهو خطأ والصواب ما اثبت.

(٤) قيل: إنه من كلام عمر رضي الله عنه، انظر: الدرر المنتثرة، ص:١٦٩

(٥) لم اعثر على تخريجه وفي السيرة الحلبية ٣١٠/١ حديث: ان أعظم الناس علينا منا ابو بكر زوجنى ابنته وواسانى بنفسه.

(٦) انظر: صحيح البخاري ١٩٥/٤، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضل أبى بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وسنن أبى داؤد ٢٨٨/٤ كتاب السنة، باب في التفضيل.

(٧) نفس المراجع.

(٨) راجع: جامع الترمذي ٢٠٦/٢ ابواب المناقب، باب مناقب أبى بكر رضي الله عنه.

وقول عمرو بن العاص: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل، قال فأتيته فقلت: أي النساء أحب اليك، قال: عائشة رضي الله عنها قلت: من الرجال، قال: أبوها، قلت ثم من، قال صلى الله عليه وسلم: عمر.(١) الحديث.

والخليفة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لقول جبير بن مطعم: "قال أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة، فكلمته في شئى فأمرها أن ترجع إليه، قالت: يارسول الله أرأيت إن جئت ولم أجدك، كأنها تريد الموت، قال: إن لم تجدينى(٢) فأتى أبا بكر.(٣)

ولما روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنه قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حائط وكان بابه مغلقاً فإذا رجل دق بابه وقال صلى الله عليه وسلم: انظر يا أنس من هو، فاذا هو أبو بكر فقلت: أبو بكر يا رسول الله، قال افتح الباب وبشره بأنك تكون الخليفة بعدى، ثم دق رجل آخر، قال صلى الله عليه وسلم انظر، فإذا هو عمر رضي الله عنه، فقلت له، فقال لي افتحه وبشره بأنك تكون الخليفة بعد أبى بكر، ثم دق آخر، فقال انظر، فإذا هو عثمان رضي الله عنه فقال: افتحه وبشره بأنك تكون الخليفة بعد عمر ثم تصير شهيدا" هكذا ذكر في شواهد النبوة".(٤)

---

(١) راجع: صحيح البخاري ١٩١/٤ باب فضل أبى بكر(رض) بعد النبي صلى الله عليه وسلم والجامع الصحيح ١٠٩/٧ كتاب فضائل الصحابة.

(٢) في الأصل "تجدنى" والصواب ما اثبت.

(٣) انظر: صحيح البخارى ١٩١/٤ باب فضل أبى بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم والجامع الصحيح ١١٠/٧ كتاب فضائل الصحابة والترمذي ٢٠٨/٢ ابواب المناقب، باب مناقب أبى بكر رضي الله عنه.

(٤) انظر شواهد النبوة: ٢٤٤.

(لم يَرِمَا): قال بعض الشارحين: يجوز أن يكون من ورَم أنفه؛ إذا غضب، ومن رامَه يريمه ريماً على خلاف القياس للضرورة أو لكون حركة الميم عارضة، فكان الالتقاء باقياً، والمعنى على الأول؛ لم يغضبا على القضاء والقدر ولم يتغيرا من حالهما باستشعار الخوف لكمال تمكينهما وصدق يقينهما، وعلى الثاني؛ لم يبرحا ويعض الناس يقرأ لم يَرِمَا، وما ذلك من الناظم وإنما حمله على ذلك العجز عن تأويل "لم يَرِمَا" وفي قوله "لكون حركة الميم عارضة" بحث، تدبرْ!.

ثم أورد عليه بعضهم أن هذا الحذف من قبيل الحذف القياسي وليس من الضرورات الشعرية والسماع غير معلوم والتوجيه الأول أيضاً بعيد بغاية البعد، هذا وهو لا يخلو عن شئ، ثم قال: ولا يبعد أن يكون المراد أنه لم يتورما ببركة النبي صلى الله عليه وسلم الصديق رضي الله عنه مع أن الغارمأوى الحيات، والأولى أن يكون صيغة الواحد مؤكدا بنون الخفيفة المنقلبة ألفاً وقفاً يعنى الصديق لم يتورم أصلاً مع لدغ الحية، انتهى كلامه.

أقول وفيه بحث فإن التوجيه الأول لا يخلو عن قلق واضطراب كما لا يخفى، والثانى يناقض القصة المذكورة الثابتة في كتب السير، والعجب أنه نقل القصة بعين ما نقلناه، ثم قال بهذا التوجيه والأولى أن يقال أنه مفرد مؤكّد بالنون الخفيفة المنقلبة ألفاً حالة الوقف وإن كان قليلاً في غير الطلب على معنى أن الصديق رضي الله عنه لم يخبر على مقتضى الألم والورم من القلق والاضطراب وإيقاظ النبي صلى الله عليه وسلم بل صبر واحتسب حتى أصبح النبي صلى الله عليه وسلم وراه متورماً فسأله أو على معنى أنه لم يتغير من خوف العدو تغيراً ينافى التسليم وإن كان منزعجاً، قال القاضى: "فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ"(١) أمنته(٢) التي تسكن عندها القلوب"عليه" على النبي صلى الله

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٢) وعبارة الأصل: او منه الذي يسكن عندها القلوب" والتصويب من تفسير البيضاوى.

عليه وسلم أو على صاحبه وهو الأظهر لأنه كان منزعجاً(١) (وَهُمْ) أي الكفار المصرَّفون المقهورون (يَقُولُونَ مَا بِالْغَارِ) في الغار (مِنْ أَرِمِ) أي أحد ككلم.

ثم بين وجه قولهم بقوله:

(٧٨)

ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى

خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسِجْ وَلَمْ تَحُمِ

(ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ): الناسجة، والغالب عليها التانيث (عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ) الخليقة(٢) متعلق بقوله (لَمْ تَنْسِجْ) بكسر السين وضمها (وَلَمْ تَحُمِ) أي لم تحل الحمام حوله.

روى أنه نبت تلك الليلة على باب الغار شجر، ونسج(٤) العنكبوت عليه، والحمامتان الوحشيتان باضتا في أسفله، فلما وصل الكفار إلى أن يبقى(٥) بينهم وبين الغار مائتا ذراع، وفي رواية خمسون ذراعاً، أرسلوا واحداً إلى الغار، فلما وصل إلى باب الغار انصرف، قالوا: لم انصرفت، قال: رأيت الحمامتين الوحشيتين على باب الغار، فعلمت أنه ليس في الغار أحد، فدعا صلى الله عليه وسلم للحمامتين حتى كثرت و بوآها الله تعالى في الحرم".(٦)

---

(١) انظر: تفسير البيضاوى: ٢٥٤ سورة التوبة، الآية: ٤٠ في تفسير: فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها.

(٢) في الأصل "الخليفة" والصواب ما اثبت.

(٣) وفي ب: لا.

(٤) وفي ب: نسجت.

(٥) وفي ب: بقى.

(٦) راجع شواهد النبوة: ١١٥.

(٧٩)

وِقَايَةُ اللهِ اَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةٍ
مِنَ الدُّرُوْعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الأُطُمِ

(وِقَايَةُ اللهِ) الصدق والصديق (أغْنَتْ) جعلتهما مستغنين (عَنْ مُضَاعَفَةٍ مِنَ الدُّرُوْعِ) أي الدروع المضاعفة (وَعَنْ عَالٍ مِنَ الأُطُمِ) بضم الهمزة والطاء أي الحصون المرتفعة جمع أطمة كطلبة.(١)

والحاصل: أن من كان محباً لله تعالى، واثقاً به، متوكلاً عليه حاضراً لديه، لا يحتاج إلى لبس الدروع المضاعفة.والالتجاء إلى الحصون العالية بل وقاية الله وحفظه يصير له دروعاً وحصوناً، ثم أشار إلى تقرير ما في البيت بقوله:

(٨٠)

مَاسَامَنِى الدَّهْرُ ضَيْماً وَاسْتَجَرْتُ بِهِ
إِلاَّ وَنِلْتُ جِوَاراً مِنْهُ لَمْ يُضَمِ

(مَاسَامَنِى) أذاقنى(٢) (الدَّهْرُ) الزمان (ضَيْماً) ظلما (وَ) ما (اسْتَجَرْتُ) طلبت الجوار والأمن (بِهِ) بالنبي صلى الله عليه وسلم في حال من الأحوال (إلاَّ وَ) الحال أني (نِلْتُ) وجدت

(١) وفي الصحاح: الواحدة: أطمة مثل أكمة: ٥/١٨٦٢ واللسان: ١٢/١٩.

(٢) وردت في ب: آذاني.

وتقدير "قد" في هذا المقام كما قال به بعض الفضلاء مما لاحاجة إليه إذ كثيرا ما يقع الحال بعد إلا ماضياً مجرداً عن "قد" والواو نحو: ما أتيته إلا أتاني، وفي الحديث: ما أيس الشيطان من بنى آدم إلا أتاهم من قبل النساء، وذلك لأنه قُصد لزوم تعقيب مضمون ما بعد إلا لما قبلها فاشبه الشرط والجزاء، صرح به العلامة التفتازاني في شرح التلخيص(١) ومقرونا بالواو وحدها ولم يسمع فيه قد من دون الواو صرح به الرضى.(٢)

(جِوَاراً) بالكسر، أماناً حاصلاً (مِنْهُ) صلى الله عليه وسلم (لَمْ يُضَمِ) صفة جوار أي لم يظلم ذلك الجوار بأن يظلم(٣) من طلبه، من الضيم يعنى ما عرض لى حادث من الحوادث إلا دفع الله تعالى ذلك بيمن الاستجارة والالتجاء إليه صلى الله عليه وسلم لأنه حبيب إله العالمين ورحمة لهم وصاحب الشفاعة على اليقين.

هذا وأما الاستعانة بمن مات من الصلحاء، فيتوقف على إثبات أنه يسمع وأنه من أهل الجنة على اليقين وأنه مأذون في الشفاعة وأنه مأذون أن يشفع لشخص زائر تربته مريداً منه العون، وكل ذلك مما لا دليل عليه: "من ذاالذي يشفع عنده إلا باذنه"(٤) ومجرد الظن لا يغنى من الحق شيئاً فلا تطع ما ليس لك به علم.

(٨١)

وَلاَ الْتَمَسْتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ
إِلاَّ اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلِمِ

(١) راجع شرح تلخيص المفتاح المسمى بمختصر المعاني: ٢٢١.

(٢) انظر: شرح الكافية للرضى: ٢/١٢٦.

(٣) في الأصل "يظلم على" والصواب ما اثبت.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(وَلاَ الْتَمَسْتُ) طلبت (غِنَى الدَّارَيْنِ) الأولى والعقبى (مِنْ يَدِهِ) صلى الله عليه وسلم في حال (إلاَّ) والحال أنى (اسْتَلَمْتُ) قبّلت كما هو رسم المتأدبين عند أخذ شئى من الكبراء (النَّدى) العطاء الواصل (مِنْ خَيْرِ مُسْتَلِمٍ) مُقَبَّل، كناية عن يده صلى الله عليه وسلم.

والحاصل أن سلب المضار وجلب المنافع يحصل بالتوجه إلى حضرته عليه أكمل التحيات وأفضل الصلوات إلى يوم الميقات.

ثم لما كان القول في المعجزات أشار إلى معجزته(١) وهي يقظة قلبه صلى الله عليه وسلم عند النوم وبقاؤه متميزاً مدركاً خلاف ما عليه العادة، وفيه إشارة إلى معجزة أخرى وهي أن نومه لم يكن ناقضاً للوضوء مع القول بأن إلهامه في النوم مبرأ(٢) عن طرق الشك، فقال:

(٨٢)

لاَتُنْكِرِ الْوَحْىَ مِنْ رُؤْيَاهُ اِنَّ لَهُ

قَلْباً اِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنَمِ

(لاَ تُنْكِرِ) أيها المخاطب (الْوَحْىَ) الإلهام(٣) (مِنْ رُؤْيَاهُ) ما يرى في المنام أي الإلهام الذي هو رؤياه صلى الله عليه وسلم بحسبانك أن الرؤيا يفارق حالة الإدراك في العادة، ثم بين ذلك بوجهين؛ الأول قوله (اِنَّ لَهُ) للنبي صلى الله عليه وسلم (قَلْباً) والمراد منه اللطيفة الربانية العارفة المدركة المتميزة(٤) لا المضغة اللحمية، الصنوبرى الشكل، المودعة في الجنب الأيسر.

(اِذَا) كلما (نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنَمِ) ذلك القلب بل يبقى يقظاناً مدركاً

(١) وردت في ب: معجزة.

(٢) في الأصل "مبراى" والتصويب من "ب".

(٣) وردت في ب في الموضعين: إلهام.

(٤) وردت في ب: المميزة.

متميزاً لقوله صلى الله عليه وسلم: "إن عينى تنامان ولا ينام قلبى"(١) ولذا لم يكن نومه صلى الله عليه وسلم ناقضاً للوضوء، والثانى قوله:

(٨٣)

وَذَاكَ* حِيْنَ بُلُوْغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ

فَلَيْسَ يُنْكَرُ فِيْهِ حَالُ مُحْتَلِمِ

(وَذَاكَ) أي كان رؤياه وحياً كان (حِيْنَ بُلُوْغٍ) أي بلوغه ووصوله، (مِنْ نُبُوَّتِهِ) لقوله صلى الله عليه وسلم: "الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة".(٢)

وبيانه أن مدة الوحى كانت ثلاثاً وعشرين سنة، منها ستة أشهر كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى الرؤيا، ثم جاء جبرئيل عليه السلام بعد ذلك، وستة أشهر من ثلاث وعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزأ لأن كل سنة اثنا عشر شهراً فيكون ثلاث وعشرون ستة وأربعين جزءاً.

(١) راجع: صحيح البخاري ٤٨/٢ في كتاب التهجد، باب قيام النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والجامع الصحيح ٢٤٨/٢ في صلاة المسافرين، باب صلاة الليل، وسنن الترمذي ٥٩/١ باب وصف صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وسنن الدارمى ص: ٦ باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم والموطأ للامام مالك ١٢٠/١ في صلاة الليل وشرح السنة ٥/٤ باب صلاة الليل ودلائل النبوة للبيهقى ٢٧٧/١ والخصائص الكبرى ٦٩/١.

(٢) انظر: صحيح البخاري ٦٨/٨ في كتاب الرؤيا، باب رؤيا الصالحين والجامع الصحيح ٥٤/٧ في كتاب الرؤيا، ومسند الامام احمد ١٤٣/١ وسنن الترمذى ٥١/٢ في ابواب الرؤيا، باب ان رؤيا المومن جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وسنن الدارمى: ٢٥٣ باب في رؤيا المسلم وسنن أبى داؤد ٤١٦/٤ باب ماجاء في الرؤيا.

* وفي بعض النسخ للقصيدة: فَذَاكَ مكان وَذَاكَ وتُنْكَرُ مكان يُنْكَرُ.

قال بعض الفضلاء: "مقصود ازين بيت بعد از اثبات كمالات كه مستدعي مرتبه نبوت است دفع منافى نبوت است از وى، يعنى نهايت نقصان كه ناقصى در وى توهم كند كه آنرا منافى نبوت داند، خواب و غفلت او است، منكر مشو الهام خداى تعالى مر او را زجهت خواب ديدن"(١)

أقول: إما ان يريد من الرؤيا ما يرى النائم أو النوم، وعلى التقديرين لا يخلو عن شئى، أما على الأول فلأنه إما أن يكون متعلقاً بِيُنْكَرُ أو الوحى.(٢) فإن كان الأول فالتعليل غير سديد إذ المتوهم تصور النوم منافياً لا الرؤيا وكذا تعليل نهى انكارٍ من تصور النوم منافياً للنبوة بأن الرؤيا وحى وإن كان الثانى فالظاهر أن كلمة "من" حينئذ ابتدائية أو بيانية، وأما على الثاني فلأن الرؤيا هو ما يرى النائم لا النوم، وأن قوله في التعليل الثاني "واز براى آنكه اين رويا وحى است"(٣) غير سديد إذ كون الرؤيا وحياً إنما هو بالمعنى الأول لا الثانى، وههنا أبحاث لا يحتملها المقام.

ثم فرّع على ما ذكر قوله (فَـ) كيف كما يدل عليه رواية (لَيْسَ يُنْكَرُ فِيْهِ) صلى الله عليه وسلم (حَالٌ) صفة (مُحْتَلِم) راء الرؤيا.

(٨٤)

تَبارَكَ اللّهُ مَا وَحْيٌ بِمُكْتَسَبٍ
وَلاَ نَبِـيٌّ عَلَى غَيْــبٍ بِمُتَّهَمِ

---

(١)عبارة فارسية ترجمتها: والمقصود من هذا البيت بعدما أورد الكمالات التي تثبت مرتبة النبوة، هو الردّ على إنكار النبوة عنه يعنى أنه من الخسارة العظيمة أن يتوهم قليل الفكر أن هذا الأمر مناف للنبوة وهذا دليل على غفلته وكسله، فلا تكن منكراً لإلهام الله له في الرؤيا.

(٢) كذا في الأصل وفي "ب": "بتنكرٍ أو الوحى".

(٣) جملة فارسية ومعناها: وبناءً على أن هذه الرؤيا وحى.

(تَبارَكَ) تعالى وتعاظم (اللّهُ) علم للذات الواجب الوجود، المستحق لجميع(١) المحامد، الموصوف بصفات الكمال، المنزه عن النقصان والزوال، الخالق للبريات والمكون للكائنات.

واعلم أنه اختلف في اشتقاق هذا الاسم، ثم القائلون باشتقاقه اختلفوا في ما بينهم، فقال البعض: أنه مشتق من الوَلَهِ وهو شدة المحبة، والأصل وِلاَهٌ فقلبت الواو بالهمزة ثم أدخلت عليه لام التعريف وأدغمت في اللاّم بعد حذف الهمزة، إما بنقل حركتها إلى ما قبلها على ما هو قياس تخفيفها، وحينئذ يكون وجوب الإدغام على خلاف القياس لأن الإدغام فيما تحرك المثلان في الكلمتين جائز لا واجب، وإما بحذف حركتها فيكون مخالفاً لقياس تخفيفها ووجوب الإدغام حينئذ على القياس، فهذا الاسم لا يخلو عن خلاف القياس كما أن مسماه خارج عن دائرة القياس وطرق العقل، فقيل: اللّهَ، وسمى به لأنه تعالى هو المحبوب الحقيقى الذي تدلّهَ في جماله العارفون ويشتاق إلى لقائه المشتاقون.

وقال البعض: أنه مشتق من ألَهَ يَألَهُ؛ إذا تحيَّر، سمى به لأن عقول ذوى النهى تتحير في مبادئ "بيداء"(٢) جلاله وأنظار أولى الألباب تقصر في إدراك جماله.

وقال البعض أنه مشتق من لاَهَ أي ارتفع، سمى به لأن الرفعة الحقيقية له تعالى وما لغيره من الرفعة مستعار من الرفعة(٣) الذاتية، فهو العلى المتعال الرفيع الرافع يرفع من يشاء(٤) قدراً ويَخفض من يشاء قهراً.

وقال البعض:أنه مشتق من لاَهَ يَلِيهُ بمعنى احتجب، سمى به لأنه تعالى

---

(١) في الأصل "جميع" والتصويب من "ب".

(٢) في الأصل مخروم والتكملة من "ب".

(٣) كذا في الأصل وفي ب: رفعته.

(٤) وفي ب في الموضعين: شاء.

يحتجب برداء كبريائه وكمال عظمته عن العقول والأوهام، فلا يجد العقلاء في سبيل طلب حقيقته إلا التحير والعجز عن الإدراك، ولا يحصل لهم شئ سوى الحيرة والاعتراف بالقصور ولا يسمعون في وادى شوق إدراك هُويَّته من الهاتف الغيبى ألاّ "وما قدروا الله حق قدره".(١)

وقال البعض: أنه مشتق من الإلاهة وهي العبادة، سمى به لأنه المعبود الحق بكل مكان في كل زمان و أوان.

وقال البعض: أنه مشتق من قولك: أَلِهْتَ بالمكان، إذا قمت به، سمى به ليكون عبارةً عن دوامه وثباته وإشارة إلى أنه أزليّ أبدى باق سرمدى ليس لوجوده بداية ولا لبقائه نهاية.

وقال البعض: أنه مشتق من أَلِهَ الفصيل إذا أُولِعَ بأمّه، سمى به لأن العباد مولعون بالتضرع إليه في الشدائد.

وقال البعض: "أنه مشتق من أَلِهْتَ إلى فلان أي سكنت إليه، سمى به لأن القلوب تطمئن بذكره والأرواح تسكن إلى معرفته "ألا بذكر الله تطمئن القلوب".(٢)

(مَاوَحْيٌ) نبوة (بِمُكْتَسَبٍ) بشئى يحصل بالكسب وتحصيل الأسباب والكمالات بل "الله يمن على من يشاء من عباده"(٣) (وَلاَ نَبِيٌّ) من الأنبياء (عَلَى) خبر (غَيْبٍ) ماغاب بأن يُخبر عن الأمور قبل وقوعها.

(بِمُتَّهَمٍ) منسوب إلى التهمة والكذب بل تقع الأشياء كما أخبر بها معجزة له إذ "لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى".(٤)

---

(١) كلمات قرآنية: سورة الزمر، الآية: ٦٧ وسورة الحج، الآية: ٧٤.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٨ وهذه المعلومات أخذها المؤلف من تفسير البيضاوى ٣/١.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ١١.

(٤) سورة النجم، الآية: ٣.

قال القاضى في سورة إبراهيم في قوله تعالى: ولكن الله يمن على من يشاء من عباده(١) وفيه دليل على أن النبوة عطائية.(٢)

(٨٥)

كَمْ اَبْرَأَتْ وَصِباً بِاللَّمْسِ رَاحَتُه
وَاَطْلَقَتْ اَرِباً مِـــنْ رِبْقَةِ اللَّمَمِ

(كَمْ) مرة (اَبْرَأَتْ) أخلصت عن المرض (وَصِباً) مريضاً ككتف (بِاللَّمْسِ) بالمسح (رَاحَتُهُ) كفه صلى الله عليه وسلم كقصة الصديق الأكبر رضي الله عنه على ما ذكر.

وما روى عن البراء(رض) قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطاً إلى أبى رافع فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلاً وهو نائم فقتله، فقال عبد الله بن عتيك: فوضعت السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره فعرفت(٣) أنى قتلته، فجعلت افتح الأبواب حتى انتهيت إلى درجة،(٤) فوضعت رجلى فوقعت في ليلة مقمرة، فانكسرت ساقى، فعصبتها بعمامة، فانطلقت إلى أصحابى، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال صلى الله عليه وسلم: ابسط رجلك، فبسطت رجلى فمسحها فكأنما لم اَشْتَكِهَا(٥) قط.(٦)

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١١.

(٢) راجع تفسير البيضاوى: ٣٣٧.

(٣) في "الأصل" : "فرفعت" والتصويب من "ب".

(٤) في الأصل: "درجته".

(٥) في الأصل "اشتكا" والتصويب من مشكواة المصابيح: ٢٧٦.

(٦) راجع: الخصائص الكبرى ٢٣٥/١ باب ما وقع في قتل أبى رافع من الآيات ومشكواة المصابيح: ٣٤٣ باب في المعجزات .

(وَ) كم (أطْلَقَتْ) أخلصت راحته صلى الله عليه وسلم (أرِباً) محتاجاً كَوَصِباً (مِنْ رِبْقَةِ) كحكمة، حبل (اللَّمَمِ) ككرم، الجنون، والمراد منه ما يطلق عليه لفظ اللمم أيّ جنون كان.

روى عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن امرأة جاءت بابن لها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله، إن ابني به جنون وأنه ليأخذ(١) عند غدائنا وعشائنا، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم "في"(٢) صدره ودعا فَثَعَّ ثَعَّةً وخرج من جوفه مثل الجرو(٣) الأسود يسعى.(٤)

(٨٦)

وَأَحْيَتِ السَّنَةَ الشَّهْبَاءَ دَعْوَتُهُ
حَتَّى حَكَتْ غُرَّةً فِي الأَعْصُرِ الدُّهُمِ

(وَ) كم (أَحْيَتِ) جعلت حية مخضرة ذانبات كثيرة ونَعِمَ بكثرة المطر (السَّنَةَ) عام القحط، قال القاضي في سورة الاعراف في قوله تعالى: ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين(٥) "السنةُ غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به، ثم اشتق منها فقيل: أَسْنَتَ القومُ؛ اذا أُقحطوا".(٦)

(١) في الأصل "يأخذ" والتصويب من مسند الدارمى: ٨.
(٢) سقطت من الأصل.
(٣) في الأصل "الجراد".
(٤) راجع: مسند الدارمى: ٨ باب ما اكرم الله به نبيه من إيمان الشجر به والبهائم والجن، والخصائص الكبرى ٦٩/٢ باب آياته صلى الله عليه وسلم في ابراء المرض وذوى العاهات، وشرح الشفا لعلى القارى ٦٥/١.
(٥) سورة الاعراف، الآية: ١٣٠.
(٦) راجع تفسير البيضاوى: ٢١٩.

(الشَّهْبَاءَ) البيضاء لفقد الماء والكلأ فيرى الأرض بيضاء نقية، والشهبة: البياض الذي غلب على السواد.

(دَعْوَتُهُ) دعاؤه المبارك، روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنه أصابت الناس سنة في(١) عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في يوم جمعة، قام أعرابى فقال: يارسول الله، هلك المال وجاع العيال، فادع الله لنا، فرفع يديه وما نرى في السماء قزعةً فوالذي نفسى بيده ما وضعهما حتى ثار السحاب بأمثال الجبال، ثم "لم"(٢) ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتجاوز(٣) على لحيته، فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد حتى الجمعة الأخرى، وقام ذلك الأعرابى أو غيره فقال: يا رسول الله، تهدم البناء وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع يديه وقال: اللهم حوالينا ولا علينا، فما يشير إلى ناحية من السحاب إلا انفجرت(٤) وصارت المدينة مثل الجُوبة، وسال وادى(٥) قناة(٦) شهراً ولم يجئ أحد من ناحيةٍ إلاّ حدّث(٧) بالجَود.

وفي رواية قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب

(١) كذا في الأصل وفي المراجع الأخرى "على".
(٢) سقطت من الأصل والتكملة من الجامع الصحيح ٢٥/٣.
(٣) كذا في الأصل وفي المراجع الأخرى "يتحادر".
(٤) في الأصل "انفرجت".
(٥) في الأصل "الوادى" بحرف التعريف.
(٦) وقناة: بالفتح، واد بالمدينة وهي أحد أوديتها الثلاثة، عليه حرث ومال، وقد يقال وادى قناة، سمى قناة لأن تُبّعا مر به فقال: هذه قناة الارض،كذا في معجم البلدان ٤٠١/٤ تحت المادة "قناة".
(٧) في الأصل "حداث".

وبطون الأودية ومنابت "الشجر، قال":(١) فاقلعتْ وخرجنا نمشى في الشمس(٢) (حتّى) غاية لقوله "أحيت" (حَكَتْ) شابهت تلك السنة المدعو لها، يقال: فلان يحكى الشمس حسناً ويُحاكيها بمعنى والمحاكاة المشابهة.

(غُرَّةٌ) مفعول "حكت" والغرة بالضم بياض في جبهة الفرس فوق الدرهم، وغرة كل شئى أوله وأكرمه، (فِي الأَعْصُرِ) جمع عصر.

(الدُّهُمِ) كعنق جمع الأدهم أي السواد لشدة خضرة الزرع والنبات فيها حتى(٣) تضرب إلى السواد، وفي الصحاح: العرب تقول لكل أخضر أسود وسميت قرى العراق سواداً لكثرة خضرتها(٤) يعنى تلك السنة المدعولها لكثرة الزرع والأثمار والنبات والأشجار فيها أحسن وأكرم من أولاك الأعصر مع كثرة الخصب والرخاء فيها حتى كأنها بمنزلة الغرة من الفرس الأدهم وأولاك الأعصر بمنزلة باقى الأعضاء، ويتعلق بقوله "أحيت":

(٨٧)

بِعَارِضٍ جَادَ اَوْ خلتَ الْبِطَاحَ بِهَا
سَيْباً مِنَ الْيَمِّ اَوْ سَيْلاً مِنَ الْعَرِمِ

(١) في الأصل مخروم والتكملة من الجامع الصحيح ٢٥/٣.

(٢) راجع: "صحيح البخاري" ٢٢٣/١ باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة وكتاب الاستسقاء ١٩/٢ باب من اكتفى بصلاة الجمعة في الاستسقاء و"الجامع الصحيح" ٢٥/٣ كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعا في الاستسقاء و"سنن ابى داؤد" ٤١٦/١ باب رفع اليدين في الاستسقاء و"سنن ابن ماجه" ٤٠٤/١ كتاب إقامة الصلوة: باب ماجاء في الدعا في الاستسقاء و"مسند احمد" ١٠٤/٣ و"مسند الامام الشافعى" ٧٩ كتاب العيدين و"سنن النسائى" ٣٧٥ في باب الاستسقاء و"الموطا للامام مالك" ١٧٧ في الاستسقاء.

(٣) ووردت في ب: متى.

(٤) انظر: الصحاح ١٩٢٤/٥ تحت المادة "دهم".

(بِعَارِضٍ) سحاب، في الصحاح: العارض السحاب ومنه قوله تعالى: هذا عارض ممطرنا(١) "أي ممطرلنا" لأنه معرفة ولا يجوز أن يكون صفة لعارض وهو نكرة(٢) انتهى، فتدبر!.

(جَادَ) أمطر مطراً كثيراً من الجود بالفتح وهو المطر الغزير (أَوْ) إلى أن (خلتَ) ظننت (الْبِطَاحَ) جمع الأبطح وهو المسيل الواسع فيه رقاق(٣) الحصى (بِهَا) بسبب ذلك العارض (سَيْباً) عطاء، والسيب مصدر، ساب الماء سيباً أي جرى(٤) والسيب بالكسر مجرى الماء (مِنَ الْيَمِّ) البحر (أَوْ سَيْلاً مِنَ الْعَرِمِ) هي ما يمسك الماء من البناء وغيره إلى وقت الحاجة أي سيل الوادى.

ثم أنه لما ذكر نبذاً من المعجزات والعلامات التي وُجدت قبل الولادة وبعدها ونبذاً من الأخلاق إجمالاً، كان السامع تاق واشتاق إلى تفصيلها، فقال معتذراً عنه:

(٨٨)

دَعْنِي وَوَصْفِيَ آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ
ظُهُورَنَارِ الْقِرىَ لَيْلاً عَلَى عَلَمِ

(دَعْنِي) اتركنى (وَوَصْفِيَ آيَاتٍ) أي مع وصفى علامات ومعجزات مصدقة (لَهُ) صلى الله عليه وسلم (ظَهَرَتْ) تلك الآيات ظهوراً مثل (ظُهُورَنَارِ الْقِرَى) الضيافة (لَيْلاً) كما هو عادة أسخياء العرب (عَلَى عَلَمٍ) جبل.

(١) في الأصل "ممطرلنا" محرفا، سورة الاحقاف، الآية: ٢٤.

(٢) راجع الصحاح ١٠٨٥/٣ تحت المادة "عرض".

(٣) كذا في الأصل وفي ب: دقاق.

(٤) في الأصل: جرت، والتصويب من ب.

ثم أشار إلى فائدة في(١) وصفها مع أن لها كمالا(٢) في نفسها بقوله:

(٨٩)

فَالدُّرُّ يَزْدَادُ حُسْناً وَهُوَ مُنْتَظِمٌ
وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْراً غَيْرَ مُنْتَظِمِ

(فَالدُّرُّ يَزْدَادُ حُسْناً) من حيث الحسن (وَهُوَ مُنْتَظِمٌ) مجتمع في السلك مراعى فيه ترتيبه اللائق (وَلَيْسَ) الدر (يَنْقُصُ قَدْراً) من حيث القدر والمرتبة وهو (غَيْرَ مُنْتَظِمِ) والكلام تمثيل، ثم علل قوله "دعنى" بقوله:

(٩٠)

فَمَا تَطَاوَلَ آمَالُ الْمَدِيْحِ إِلَى
مَا فِيْهِ مِنْ كَرَمِ الأَخْلاَقِ وَالشِّيَمِ

(فَمَا) نافية (تَطَاوَلَ) طاول (آمَالُ) جمع أمل (الْمَدِيْحِ) المادح (إِلَى) تفصيل (مَافِيْهِ) صلى الله عليه وسلم (مِنْ كَرَمِ الأَخْلاَقِ) أي الأخلاق الكريمة. (وَالشِّيَمِ) جمع شيمة وهو(٣) الخلق يعنى تفصيل أخلاقه وشمائله وتبيين مفصّله بل مجمله ليس شأن البشر بل إنما هو من شأن خالق القُوى والقدر ومن تلك الآيات:

---

(١) سقطت من ب.
(٢) سقطت من الأصل والتكملة من ب.
(٣) كذا في الأصل وفي ب: هي.

(٩١)

آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمانِ مُحْدَثَةٌ(٢)
قَدِيْمَــةٌ صِفَــةُ الْمَوْصُــوْفِ بِالْقِــدَمِ

(آيَاتُ حَقٍّ) قرآنية نازلة (مِنَ الرَّحْمَانِ) الذي تقتضي رحمته(٢) تنزيلها لتربية الخلائق وهدايتهم وإرشادهم (مُحْدَثَةٌ) من حيث اللفظ، رد على الحنابلة (قَدِيْمَةٌ) من حيث المعنى، رد على المعتزلة، ثم أشار إلى وجه قدمها بقوله:(٣) (صِفَةُ الْمَوْصُوْفِ) الذي وُصِفَ (بِالْقِدَمِ) وقدم الموصوف يستلزم قدم الصفات كما قرِّر في موضعه.

(٩٢)

لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَــانٍ وَهْيَ تُخْبِرُنَا
عَنِ الْمَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ اِرَمِ

(لَمْ تَقْتَرِنْ) تلك الآيات (بِزَمَانٍ) من الأزمنة إذ لا يُتصور بالنسبة إليه تعالى ماضٍ ولا مستقبل ولا حال لتنزّهه عنه (وَهْيَ) بسكون الهاء، (تُخْبِرُنَا عَنِ الْمَعَادِ) أي البعث كقوله تعالى: وهو الذي يبدء الخلق ثم يعيد(٤) (وَعَنْ عَادٍ) أولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قوم هود عليه السلام

---

(١) كذا في الأصل وفي ب: محكمة.
(٢) في الأصل "رحمة".
(٣) كذا وفي ب: قدمها وهي.
(٤) سورة الروم، الآية: ٢٧.

سموا باسم أبيهم كما سمى بنو هاشم باسمه.

(وَعَنْ اِرَمٍ)، كعنب، اسم جنة بناها شداد بن عاد.

روى أنه كان لعاد ابنان؛ شداد وشديد "فملكا"(١) وقهرا ثم مات شديد فخلص الأمر لشداد وملك المعمورةَ ودانت له ملوكها، فسمع ذكر الجنة فبنى على مثالها في بعض صحارى عدن جنة في ثلاث مئة سنة، وكان عمره تسع مئة، قصورها من الذهب والفضة، وأساطينها من الزبرجد والياقوت، وفيها أصناف الأشجار والأنهار، وسماها ارم، فلما تمت سار إليها بأهله، فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة، بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا، وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبله فوقع عليها.(٢)

(٩٣)

دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ

مِنَ النَّبِيِّيْنَ اِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمِ

(دَامَتْ) فاستمرت تلك الآيات (لَدَيْنَا) عندنا ولم تفن بعد الوقوع(٣) كما هو حكم سائر المعجزات.

(فَفَاقَتْ) علت، (كل معجزة) وهي أمر خارق للعادة، يظهر على يد مدعى النبوة عند تحدى المنكرين وبه يمتاز عن الكرامة.

---

(١) سقطت من الأصل والتكملة من "ب".

(٢) راجع النور السافر ص: ٧٤، ٧٥ في بيان ما حدث في ٩١٤ هـ.

(٣) كذا في الأصل وفي ب: الوجود.

واعلم أن الأمور الخارقة للعادة لا تخلو من أن تصدر ممن هو مقرون بالايمان والعمل الصالح أولاً، فإن كان الأول، لا تخلو من أن لا يكون مع ذلك مقروناً بكمال العرفان والطاعة بحسب الامكان أو يكون، وعلى الثاني إما أن يكون مع ذلك مقروناً بدعوى النبوة أو لا.

فهذه ثلاثة أقسام، الأول يسمى "معونة" وهو ما يظهر لعوام المسلمين تخليصاً لهم عن المحن والمكاره(١) والثاني معجزة والثالث كرامة، وإن كان الثاني لا يخلو إما أن يكون موافقاً للدعوى أو لا، فالأول استدراج والثاني إهانة كما أن مسيلمة الكذاب دعا لأعور أن يصير عينه العوراء صحيحة، فصارت عينه الصحيحة عوراء، والارهاص داخل في الكرامة، والسحر ليس من الأمور الخارقة، يعنى فاقت:

(كُلَّ مُعْجِزَةٍ) صدرت (مِنَ النَّبِيِّيْنَ اِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمِ) تلك المعجزة كدوامها هي.

(٩٤)

مُحَكَّمَاتٌ فَمَا يُبْقِيْنَ مِنْ شُبَهٍ

لِذِى شِقَاقٍ وَلاَ يَبْغِيْنَ مِنْ حَكَمٍ

(مُحَكَّمَاتٌ) جعلت حاكمة في الخليقة اذ الأحكام كلها تستفاد منها (فَمَا) نافية (يُبْقِيْنَ) من الإبقاء (مِنْ شُبَهٍ) باطلة (لِذِى شِقَاقٍ) خلاف وعداوة (وَلاَيَبْغِيْنَ) يطلبن.

---

(١) في الأصل: المكان، والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: يطلبين، والصواب ما اثبت.

(مِنْ حَكَمٍ) حاكم سواها إذ لا أحق منها، والسنة والاجماع والقياس ماخوذ منها بقوله تعالى: "وما أتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا"(١) "ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين"(٢) "فاعتبروا يا أولى الأبصار"(٣)

(٩٥)

مَاحُورِبَتْ قَطُّ إِلاَّ عَـــادَ مِنْ حَرَبٍ
أَعْدَى الأَعَادِيْ إِلَيْهَا مُلْقِىَ السَّلَمِ

(مَاحُورِبَتْ) عورضت تلك الآيات (قَطُّ) بفتح القاف وضم الطاء المشددة يذكر بعد الماضى المنفى ليستغرق النفى جميع الأزمنة في حال من الأحوال (إِلاَّ) والحال أنه (عَادَ) رجع وتقدير "قد" ههنا مما لا حاجة إليه على مامرّ (مِنْ حَرَبٍ) كطلب أي رجع من حربه بها (أَعْدَى الأَعَادِيْ) جمع الأعداء (إِلَيْهَا) متعلق بقوله (مُلْقِىَ السَّلَمِ) كفرس وعنب، الصلح يعنى ما عارض أحد تلك الآيات إلا عجز عن معارضتها والإتيان بمثلها لبلاغتها ووقوعها في مرتبة الإعجاز فيها على ماهو الرأى الصحيح في وجه إعجاز القرآن.

وقيل: لإخباره عن المغيبات، وقيل: لأسلوبه الغريب،(٤) وقيل: لصرف الله تعالى العقول عن المعارضة وفي نظر(٥) الكل فتدبر! وأشار إلى الوجه الأول بقوله:

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.
(٢) سورة النساء، الآية: ١١٥.
(٣) سورة الحشر، الآية: ٢.
(٤) في الأصل "التغريب" والصواب ما اثبت.
(٥) سقطت في الأصل والتكملة من ب.

(٩٦)

رَدَّتْ بَلاَغَتُهَا دَعْـوَى مُعَارِضِهَا
رَدَّ الْغَيُورِ يَدَ الْجَانِي عَنِ الْحَرَمِ

(رَدَّتْ) منعت (بَلاَغَتُهَا) أي بلاغة الآيات البالغة حدّ الإعجاز، والبلاغة عبارة عن كون الكلام مطابقاً لمقتضى الحال مع فصاحته،(١) والإعجاز فيه أن يرتقى ببلاغته إلى حد يعجز البشر عن معارضته(٢) والإتيان بمثله (دَعْوَى مُعَارِضِهَا) أي الآيات بحيث عجزوا مع كمال بلاغتهم عن(٣) معارضة أقصر سورة مع تهالكهم على ذلك حتى أعرضوا عن المعارضة بالحروف إلى المنازعة بالسيوف رداً مثل (رَدَّ الْغَيُورِ) ذى الغيرة (يَدَ الْجَانِي) المجرم (عَنِ الْحَرَمِ) أهله.

(٩٧)

لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي مَدَدٍ
وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقِيَمِ

(لَهَا) أي للآيات (مَعَانٍ) كائنة (كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِيْ مَدَدٍ) نصرة فكما أن موجه ينصر بعضه بعضاً في الظهور على التواتر والتوالى كذلك معانيها ينصر بعضها بعضاً في الظهور على التواتر على المتأملين بحسب صفاء الباطن

(١) وفي ب: فصاحة.
(٢) في الأصل "معارضة" والثواب ما اثبت.
(٣) وفي ب: من.

والعرفان بحيث لا ينتهي إلى حدٍ، قال أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: "لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب".(١) وقال بعض العلماء: لكل آية ستون ألف فهم وما يبقى من فهمها(٢) أكثر.

(وَ) لها معان كائنة (فَوْقَ جَوْهَرِه) أي البحر (فِي الْحُسْنِ) إذ حسنه حسن ظاهرى زينة الحيواة الدنيا، وحسنها حسن حقيقى زينة الأولى والعقبى (وَالْقِيَم) كعنب جمع قيمة إذ قيمته توجب غناء الدنيا وما الحيواة الدنيا إلا لهو ولعب وقيمتها توجب ثروة العقبى، والآخرة خير وأبقى؛ ثم فرّع على ما ذكر:

(٩٨)

فَمَا تُعَدُّ وَلاَ تُحْصَى عَجَائِبُهَا

وَلاَ تُسَامُ عَلَى الاكْثَارِ بِالسَّأَمِ

(فَمَا تُعَدُّ) تفصيلاً (وَلاَ تُحصَى) إجمالاً (عَجَائِبُهَا) جمع عجيب يعنى معانيها العجيبة وفوائدها الغريبة لا تدخل تحت العدد والإحصاء ولا تنتهى إلى حد ونهاية لقوله صلى الله عليه وسلم في القرآن: "لا تنقضى عجائبه"(٣) في المفاتيح:(٤) أي لا تنتهي معانيه العجيبة وفوائده الغريبة.

(وَلاَتُسَامُ) لا تطلب شرى العجائب والمعانى الغريبة، (عَلَى الاكْثَارِ) أي مع إكثار النظر والتدبر فيها والمطالعة لها أو مع إكثار الله تعالى إياها أي مع

(١) انظر: مرقاة المفاتيح ٣٤١/٤ في كتاب فضائل القرآن.

(٢) الأصل "فهمهما" وهو خطأ وصوابه "فهمها".

(٣) رواه الترمذي ١٤/٢ ابواب فضائل القرآن، باب ماجاء، في فضل القرآن والدارمى ص: ٤٢٣ باب فضل من قرأ القرآن.

(٤) راجع: مرقاة المفاتيح ٣٥٨/٤ في كتاب فضائل القرآن.

كونها كثيرة غير متناهية طلباً متلبساً.

(بِالسَّأَمِ) بالملال بخلاف سائر الكتب والجواهر وغيرها من الأمتعة يعنى لا ينقص وقعتها وعظمتها في القلوب بكثرتها أو بكثرة مطالعتها بل يزداد ولا يرغب عنها بل يرغب فيها لقوله صلى الله عليه وسلم: "ولا يشبع منه العلماء."(١) ويحتمل أن يكون المعنى: ولا تطلب الآيات مع إكثار تلاوتها وتكرارها طلباً متلبساً بالملال بل باللذات والنشاط والطرب على خلاف ماهو المتعارف لقوله صلى الله عليه وسلم: "ولا يخلق عن كثرة الرد"(٢) وفي المفاتيح(٣) أي عن كثرة التلاوة يعنى لا يَبلى بكثرة التلاوة بل يصير بكل مرة يقرأ القارئ أكثر لذةً.

ثم أشار إلى فائدة قراءته بقوله:

(٩٩)

قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَه

لَقَدْ ظَفِرْتَ بِحَبْلِ اللهِ فَاعْتَصِمِ

(قرت) أضاءت. في الصراح:(٤) القرة والقرور، "روشن شدن چشم از شادى"(٥) من باب علم، (بِهَا) بسبب الآيات وبتلاوتها والتدبر في معانيها

(١) رواه الترمذى عن علي ١٤/٢ ابواب فضائل القرآن، باب ماجاء، في فضل القرآن و"الدارمى" ص: ٤٢٥.

(٢) نفس المرجع.

(٣) انظر: مرقاة المفاتيح ٣٥٨/٤ في كتاب فضائل القرآن.

(٤) راجع: الصراح: ٣٩٥.

(٥) كلمات فارسية ومعناها بالعربية: إضاءة العين سرورا وفرحا.

والعمل بمقتضاها (عَيْنُ قَارِيْهَا) وقرة العين عبارة عما يحصل له بالاشتغال بها من الفرح والسرور والوقار والنور والاشتهاء على مادل عليه قوله صلى الله عليه وسلم:

"يقول الله سبحانه تعالى: "من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلون"(١) "وتعلموا القرآن واقرءوه فان مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جِراب مُلئ مسكاً يفوح ريحه في كل مكان"(٢) وقوله صلى الله عليه وسلم في سورة الكهف: "من قرأها يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين".(٣)

والقراءة هنا يحتمل أن يكون المراد بها بالمصحف وبدونه، وإن كان الأول أولى لاشتماله على بركة الطهارة والرؤية والتأدب في الجلوس والحمل والمس والتمكن من التفكر فيه وانبساط معانيه ومشقة ترديد الأوراق، قال صلى الله عليه وسلم: "قراءة الرجل القرآن في غير المصحف ألف درجة وقراءة مصحف يضعف على ذلك إلى ألفى درجة".(٤)

(فَقُلْتُ لَه) للقارئ ترغيباً له على الدوام والثبات على ذلك والإحسان والإخلاص فيه والله (لَقَدْ ظَفِرْتَ) فزت (بِحَبْلِ اللهِ) بما يتوصل به إليه أي القرآن حبل الوصال إليه، لقوله صلى الله عليه وسلم: "وهو حبل الله المتين وهو الصراط المستقيم"(٥) (فَاعْتَصِم) فكن متمسكاً به دائماً على سبيل الاحسان

(١) انظر: سنن الدارمى ص: ٤٢٨ في باب فضل كلام الله على سائر الكلام وجامع الترمذي ١١٦/٢ أبواب فضائل القرآن، باب ماجاء في فضل القرآن ومشكواة المصابيح: ١٨٦ كتاب فضائل القرآن.

(٢) راجع: سنن ابن ماجه ٧٨/١ باب فضل من تعلم القرآن وعلمه ومشكواة المصابيح: ١٨٧، فضائل القرآن.

(٣) انظر: مشكواة المصابيح: ١٨٩ في كتاب فضائل القرآن.

(٤) أخرجه صاحب مشكواة المصابيح: ١٨٨ في كتاب فضائل القرآن بلفظ: وقرأته في المصحف تُضعَّف.

(٥) نفس المرجع ص: ١٨٥.

والإخلاص لئلا تدخل تحت(١) قوله صلى الله عليه وسلم: "رب تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه" وقوله: "من قرأ القرآن يتأكل به الناس جاء يوم القيامة ووجهه(٢) عظم ليس عليه لحم"(٣) أو كن متسمكاً به بضم العمل والتعلم إلى القراءة.

ثم أشار إلى أدنى فائدة من فوائد القراءة والعمل بمقتضاه فقال:

(١٠٠)

انْ تَتْلُهَا خِيْفَــةً مِنْ حَرِّ نَارِ لَظَى
أَطْفَأتَ حَرَّ لَظَى مِنْ وِرْدِهَا الشَّبِمِ

(انْ تَتْلُهَا) من التلاوة أو من التلوّ (خِيْفَةً) خوفا (مِنْ حَرِّ) حرارة (نَارِلَظَى) جهنم (أَطْفَأتَ) من الإطفاء ومعناه بالفارسية: فروكشتن آتش وجزان (حَرَّ لَظَى مِنْ وِرْدِهَا) بالكسر، الماء المورود عليه أي من ماء الآيات(٤).

(الشَّبِمِ) البارد ككتف والمراد من مائها، إما الثواب الحاصل من التلاوة والعمل بمقتضاها أو محاجاتها وشفاعتها لأصحابها.

(١٠١)

كَأَنَّهَا الْحَوْضُ تَبْيَضُّ الْوُجُوْهُ بِهِ
مِنَ الْعُصَاةِ وَقَدْ جَاءُوْهُ كَالْحُمَمِ

(١) كذا وفي ب: في.

(٢) في الأصل: وجه، والتصويب من ب.

(٣) مشكواة المصابيح: ١٨٨، كتاب فضائل القرآن.

(٤) سقطت في الأصل والتكملة من ب.

(كَأَنَّهَا) أي الآيات الكريمة باعتبار اشتمالها على ما يزيل أدناس المعاصي ويهذب عنها العاصي وينور القلب والقالب ويصفي الظاهر والباطن من بيان التوحيد والصفات والأفعال وسلوك الطريق إليه تعالى والأحكام والأعمال والقصص والمواعظ وغير ذلك مما ينتظم به المعاش والمعاد، (الْحَوْضُ) الذي يرد عليه العاصون من المؤمنين بعد إخراجهم من النار وقد كانوا فحماً لقوله صلى الله عليه وسلم: "ناس أصابتهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فأماتتهم إماتة حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة فجئ بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة" الحديث، حتى يغتسلوا فيه ويصير أبدانهم مبيضةً مشرقة بعد ما كانت مسودة مظلمة.(١)

عن أنس رضي الله عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم: "نزلت عليّ آنفا سورة، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الأبتر، ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال فإنه نهر وعدنيه ربي، عليه خير كثير، وهو حوض يرد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم.(٢)

وروى "حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه فلا يظمأ أبداً"(٣)

(تَبْيَضُّ) أي تصير مبيضة منورة مشرقة، حال أو مستأنفة لبيان وجه الشبه (الْوُجُوهُ) تعبير عن الكل بالجزء (بِهِ) أي بذلك الحوض، وفي بعض النسخ "بها" أي بتلك الآيات والأولى أولى (مِنَ الْعُصَاةِ) حال من الوجوه، جمع

---

(١) رواه مسلم في "صحيحه" ١١٨/١ باب ذكر الشفاعة.

(٢) راجع: الخصائص الكبرى ٨٥/١ وجواهر البحار ٤٧/١ والبخاري ٢١٩/٦ تفسير سورة كوثر.

(٣) رواه الترمذي عن عبد الله بن عمر: ٦٧/٢ ابواب صفة القيامة، باب ماجا، في صفة اواني حوض، و"الدارمي": ٣٨٣ باب في الكوثر و"مسلم" في صحيحه: ٦٦/٧ باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته، كتاب الفضائل.

عاص كالقضاة جمع قاض، أصله عَصَيَة، قلبت الياء ألفاً ثم ضم الفاء.

قال الشيخ الرضى في شرح الشافية: وإذا كسِّر على فعلة في المعتل اللام وجب ضم الفاء ليعتدل طرفُ الكلمة بالثقل في أولها والخفة "بالقلب"(١) في آخرها، وقال الفراء: أصله فُعَّل بتشديد العين فاستثقل فابدل الهاء من أحد المثلين "ثم أبدل الفاء لفتحة ما قبلها".(٢)

وذهب المبرد(٣) إلى أنه اسم جمع "وليس بجمع"(٤) وذلك لعدم فُعلة جمعا في غير هذا النوع.(٥)

(وَ) الحال أن العصاة (قَدْجَاءُوهُ) أي الحوض (كَالْحُمَمِ) مُشْبِهِين بالحمم كالتهم جمع حمة وهو الرماد والفحم وكل ما احترق من النار.

(١٠٢)

وَكَالصِّرَاطِ وَكَالْمِيزَانِ مَعْدِلَةً
فَالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمِ

(وَ) الآيات (كَالصِّرَاطِ) الذي هو جسر ممدود على متن جهنم أحدّ من السيف(٦) وأدق من الشعر يعبره الخلق (وَكَالْمِيزَانِ) الذي يوزن به الأعمال وله

---

(١) سقطت من الأصل والتكملة من شرح الشافية للرضى: ١٦٣.

(٢) التكملة من نفس المرجع.

(٣) وهو محمد بن يزيد بن عبد الاكبر بن عمير بن حسان الازدى، صاحب كتاب "الكامل في الأدب" ولد سنة ٢١٠هـ وتوفى سنة ٢٨٦هـ، انظر "طبقات النحويين": ١٠١، ١١٠.

(٤) والتكملة من شرح الشافية.

(٥) راجع: شرح الشافيه للرضى: ١٦٣.

(٦) في الأصل "الصيف" بالصاد محرفا والثواب ما اثبت.

كفتان ولسان وشاهين (مَعْدِلَةٌ) من حيث العدل والتمييز بين المحق والمبطل والمسيء والمحسن، ثم فرع عليه:

(فَالْقِسْطُ) بالكسر العدل، ومنه أقسط الرجل وعليه قوله تعالى: "إن الله يحب المقسطين"(١) والقسوط الجور، ومنه قوله تعالى: وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً"(٢) الناشئ (مِنْ غَيْرِهَا) أي غير الآيات غير مثبت بها بخلاف السنة والاجماع والقياس على مامرّ (فِي النَّاسِ) متعلق بـ (لَمْ يَقُمِ) لم يرج أو لم يوجد أصلاً.

كيف وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن: "ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله تعالى"(٣) فالعدل منحصر في الآيات حصراً حقيقياً لا ادعائياً كما زعم البعض، ثم إنكار الآيات بعد ظهور برهانها وسطوة سلطانها، لما كان موجباً للتعجب أشار إلى أنه لا غروَ فيه بقوله:

(١٠٣)

لاَ تَعْجَبَنْ لِحَسُودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا

تَجَاهُلاً وَهْوَ عَيْنُ الْحَاذِقِ الْفَهِمِ

(لاَتَعْجَبَنْ) لاتكن متعجباً (لِحَسُودٍ) مستنكرا إنكاره (رَاحَ) أمسى (يُنْكِرُهَا) أي الآيات (تَجَاهُلاً) إظهاراً للجهل بها من نفسه تكبراً أو عناداً(٤)

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٢.

(٢) سورة الجن، الآية: ١٥.

(٣) أخرجه الترمذي ١٤/٢ ابواب فضائل القرآن، باب ماجاء في فضل القرآن وابن حبان في "صحيحه" ٢٨٧/١ ومسلم في "صحيحه" ٢٣٨/٢ وأحمد في "مسنده" ٣٦٦/٤ والدارمي ٤٣١/٢.

(٤) في الأصل: وعناء، والتصويب من ب.

(وَ) الحال (هُوَ عَيْنُ) خير أو نفس (الْحَاذِقِ) بالذال المعجمة، الكامل الماهر بها، يعلمها أنها من عند الله تعالى وأنها "يهدى للتى هو أقوم"(١) (الْفَهِمِ) ككتف الكاملُ الفهم بثمراتها وفوائدها وغرائبها لكن مرض الحسد والعناد لا يدعه أن يُذعنها وينقاد لها فينكرها- كما:

(١٠٤)

قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ

وَيُنْكِرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ

(قَدْ تُنْكِرُ) تكره (الْعَيْنُ) البصر (ضَوْءَ الشَّمْسِ) ويعده حرارة محضاً لا فائدةَ فيه غير الايذاء مع أنه تنور العالم به وفيه من الفوائد ما لا يحصى، (مِنْ رَمَدٍ) لأجل ألم حصل لها، يقال: رمد الرجل بالكسر يرمد رمداً، هاجت عيناه(٢) ولله درمن قال:

عجب نبود گر از قرآن نصيبى نيست جز نقشى

كه از خورشيد جز گرمى نه بيند چشم نابينا*

(وَيُنْكِرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ) لذته ويعده تفهاً بَشِعاً مُراً مع أنه عذب بارد و لذيد حسن، (مِنْ سَقَمٍ) لأجل مرض حصل له.

ثم لما ذكر نبذاً من أحواله قوّى محرك الإقبال عليه والتوجه إليه حتى كأنه شاهده، فخاطب بقوله:

---

(١) كلمات قرآنية، سورة الاسراء، الآية: ٩.

(٢) في الأصل "عينيه" والصواب ما اثبت.

* بيت فارسى ومعناه: ليس من العجب إذا لم يتبق من القرآن إلا رسمه كما لا تستفيد عين الأعمى من الشمس غير حرارتها.

(١٠٥)

يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمَ الْعَافُونَ سَاحَتَهُ
سَعْياً وَفَوْقَ مُتُونِ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ

(يَاخَيْرَ مَنْ يَمَّمَ) قصد (العَافُونَ) الطالبون للمعروف، من "عفوته" أتيته لطلب المعروف واعتفيته مثله.

(سَاحَتَهُ): حريم داره الواسع صلى الله عليه وسلم، يعنى يا أيها الأفضل الذي قصد الطالبون للاحسان حريمه ليأخذوا منك أنواع العلوم والحكم وأصناف الخيرات والنعم وفنون ما يحصل به خير الدنيا والعقبى وطريق الوصول إلى الله تعالى والزلفى، (سَعْياً) حال كونهم ساعين مسرعين بالأقدام (وَ)كائنين (فَوْقَ مُتُونِ) ظهور (الأَيْنُقِ) جمع ناقة، أصله أنْوُق استثقل الضمة على الواو فقدموها فقالوا:(١) اونق، ثم عوضوا من الواو ياءً، فقالوا: الأينق.

(الرُّسُمِ) كعنق جمع رسوم كرسول، يقال: ناقة رسوم؛ تؤثر في الأرض من شدة الوطى يعنى الراكبين النوق اللاتى تؤثر(٢) في الأرض من شدة العدو، والمراد منه التعميم على معنى أن كل ما تيسّر له كيف ما كان توجه إليه،(٣) ويحتمل أن يكون المراد الأولياء والأنبياء والأبرار والمقربين أو الصلحاء والصديقين أو الجن والانس أو(٤) من على الأرض أو من في السماء.

(١) في الأصل: فقال، والتصويب من ب.
(٢) في الأصل "تؤثرون" والصواب ما اثبت.
(٣) سقطت في الأصل والتكملة من ب.
(٤) كذا في الأصل وفي ب: و.

(١٠٦)

وَمَنْ هُوَ الآيَةُ الْكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ
وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ الْعُظْمَى لِمُغْتَنِمِ

(وَ) يا (مَنْ هُوَ الآيَةُ) العلامة (الكُبْرَى) أو الدليل على الدين الحق والصراط المستقيم والارشاد(١) إليه وما يحصل به سعادة الدارين، (لِمُعْتَبِرٍ) لمن يعتبر وينظر ويتدبر إذ هو المنتفع(٢) به، (وَ) يا (مَنْ هُوَ النِّعْمَةُ الْعُظْمَى لِمُغْتَنِمِ) لمن يعده غنيمة ويجعل(٣) هواه تابعاً لرضاه أو يكون عنده أحبّ مما سواه من الآباء والأبناء والأزواج والعشائر والأموال والتجارات والمساكن بخلاف من شغله حب هذه الأشياء، فانه لم يحظ بهذه النعمة وحرم واستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.(٤)

(١٠٧)

سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلاً إِلَى حَرَمٍ
كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

(سَرَيْتَ) سرى وأسريت بمعنى إذا سريت ليلاً أي سريت يا نبي الله (مِنْ حَرَمٍ) مكة، لما روى أنه كان نائماً في بيت أم هانى بعد صلاة العشاء فأسرى به

(١) وفي ب: الإشارة.
(٢) في الأصل: الشفع، والتصويب من ب.
(٣) وفي ب: يحصل.
(٤) كلمات قرآنية في سورة البقرة، الآية: ٦١.

ورجع من ليلة، وقص القصة عليها، وقال: مُثِّل لى النبيون، فصليت بهم، ثم خرج إلى المسجد وأخبر به قريشاً، فتعجبوا منه استحالةً، وارتدّ ناس ممن آمن به، وسعى رجال إلى أبى بكر صديق رضي الله عنه فقال: إن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أتصدقه على ذلك؟ قال: إنى لأصدقه على أبعد من ذلك، فسمى الصديق، وقيل من المسجد الحرام(١) لما روى أنه عليه الصلوة والسلام قال: بينما أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتانى جبرائيل عليه السلام بالبراق.(٢)

(لَيْلاً) ظرف "سريت" قال: العلامة التفتازانى في المطول: "ذكر الليل مع أن الإسراء لا يكون إلا بالليل للدلالة على تقليل المدة وأنه أسرى في بعض الليل".(٣) قال السيد السند رحمة الله تعالى عليه: "الدلالة على البعضية مذكورة في الكشاف"(٤) واعترض عليه بأن البعضية المستفادة من التنكير هي البعضية في الأفراد لا البعضية في الأجزاء، فكيف يستفاد من قوله "ليلاً" أن الإسراء كان في بعض من أجزاء ليلة واحدة، فالصواب أن(٥) تنكيره لدفع توهم كون الإسراء في ليال أو لإفادة تعظيمه.(٦)

(إلى حَرَمٍ) منزل محترم مبارك وهو المسجد الأقصى الذي في بيت المقدس الذي ورد فيه: أول الأرض التي بارك الله تعالى فيها، أرض بيت المقدس، المحشر والمنشر في البيت المقدس، وينصب الصراط على جهنم إلى

---

(١) انظر: السيرة الحلبية ٣٦٦/١ في ذكر المعراج والمستدرك للحاكم ٦٢/٣ في كتاب معرفة الصحابة.

(٢) راجع: الجامع الصحيح ١٠٤/١ في كتاب الايمان، باب الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٣) راجع: المطول: ٢٤٨.

(٤) انظر: في الكشاف ٤٣٦/٢، سورة بنى اسرائيل، الآية: ١ في تفسير: سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً وقال الزمخشرى: أراد بقوله ليلاً بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وأنه أسرى به بعض الليل.

(٥) لم ترد في ب.

(٦) وردت في ب: العظمة.

الجنة بأرض بيت المقدس ويوضع الميزان يوم القيامة ببيت المقدس.(١)

إن قيل: أن مكة أشرف من بيت المقدس، فما الحكمة في إسرائه من الأشرف إلى الأدون، أجيب: أن البيت المقدس أرض المحشر والمحاسبة فُحمل إليها ليضع قدميه عليها فيسهل الحساب على أمته ببركة قدميه، وقيل: إن البقاع الفاضلة مكة ومدينة وبيت المقدس، فنال بركة البقعتين، فأراد أن ينال بركات البقاع كلها، سُرِيَ (كَمَا سَرَى) مثل سرى.

(البَدْرُ): القمر، سمى بدراً ليلة أربعة عشر لمبادرته الشمس بالطلوع كأنه يعجلها(٢) المغيب، وقيل: لمبادرته وسرعته في السير تلك الليلة، من "بدرت إلى الشنى أبدر بدوراً" أسرعت في سرعة السير وقطع المسافة البعيدة في المدة القليلة.

وفيه(٣) أنه كما يحصل للبدر في تلك الليلة كمال في النور كذلك له صلى الله عليه وسلم حصل تلك الليلة حكَم عجيبة وعلوم غريبة كما دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: علمنى ربى ليلة الاسراء علوماً شتىً، فعلم أخذ على كتمانه، وعلم خيرنى فيه، وعلم أمرنى أن ابلّغه(٤) ومقامات رفيعة لا يصل إليها أحد من الخلق، وعجائب قدرة الله تعالى كذهابه(٥) في برهة من الليل مسيرة شهر، ورؤية البراق وإحياء الأنبياء، وملكـوت السموات.

(فِيْ) ليل (دَاجٍ) ساتر (مِنَ الظُّلَمِ) لأجل الظلمات.

واعلم أن الاسراء من المسجد الحرام إلى البيت المقدس قطعى ثبت

---

(١) انظر: السيرة النبوية لا بن زينى دحلان ٩٥/١.

(٢) وردت في ب: يعلجها للغيب.

(٣) في الأصل "في" والتصويب من "ب".

(٤) راجع: السيرة الحلبية ٤٠٣/١ في ذكر المعراج.

(٥) في الأصل: لذهابه، والتصويب من ب.

بالكتاب ومن الأرض إلى السماء مشهور ومن السماء إلى الجنة أو العرش أو غير ذلك آحاد.

(١٠٨)

وَبِتَّ تَرْقَى إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً
مِنْ قَابَ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ

(وَبِتَّ) عطف على(١) "سريت" وهو من الأفعال الناقصة موضوع(٢) لاقتران مضمون الجملة بوقت يدل عليه وهو الليل.

(تَرْقَى) تصعد من "رقيت في السلم بالكسر رَقيا ورُقيا"، إذا صعدت وارتقيت مثله (إِلَى أَنْ نِلْتَ) وجدت (مَنْزِلَةً) مرتبة عظيمة ناشئة (مِنْ قَابَ) قدر (قَوْسَيْنِ) كناية عن كمال القرب أي وجدت منزلة عظيمة ناشئة من كمالات القرب منه تعالى.

(لَمْ تُدْرَكْ) أي لم تكن تلك المنزلة مدركة(٣) لأحد من الخلق بمعنى لم يبلغها أحد ولم يعلمها.

(وَلَمْ تُرَمِ) ولم تكن تلك المنزلة مطلوبة لأحد يعنى لم يتمنها أحد من الأنبياء والرسل والمقربين لعلمه بأنها مختصة به صلى الله عليه وسلم أو لعدم علمه بها.

(١٠٩)

وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ بِهَا
وَالرُّسُلُ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ

(١) سقطت من الأصل والتكملة من ب.

(٢) كذا في الأصل وفي ب: موضح.

(٣) وفي ب: مدركا.

(وَقَدَّمَتْكَ) جعلتك مقدماً إماماً (جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ بِهَا) أي في تلك البقعة المباركة المقدسة وهو بيت المقدس، روى أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل مسجد بيت المقدس أحى الله تعالى جميع الأنبياء فجعلوه إماماً فصلى صلى الله عليه وسلم بهم(١) (وَالرُّسُلُ) عطف على الأنبياء، تقديماً مثل (تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ) ككرم جمع خادم يعنى أن تقديمهم له صلى الله عليه وسلم كان لما أنهم علموا أنه صلى الله عليه وسلم أفضلهم وأكرمهم عند الله تعالى وأنه متبوعهم وهم تابعوه.

(١١٠)

وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقَ بِهِمْ
فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعَلَمِ

(وَأَنْتَ) لا غيرك على ما تفيده تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى، وما قيل من أن قوله أنت من تقديم ما حقه التاخير لإفادة التخصيص وأنه من باب شريطة التفسير، ففيه مافيه، (تَخْتَرِقُ) تقطع السموات (السَّبْعَ الطِّبَاقَ) بعضها فوق بعض (بِهِمْ) منهم أي أنت قطعت السموات من بين الأنبياء لا غيرك، إذ كل منهم ما(٢) جاوز مقامه على ماجاء في حديث المعراج، حال كونك كائناً (فِي مَوْكِبٍ) جمع عظيم من الملائكة، والموكب بكسر الكاف، جماعة الفرسان (كُنْتَ فِيهِ) ذلك الموكب (صَاحِبَ الْعَلَمِ) أي صاحب الحكم والأمر والعز والشرف لا أنه(٣) في يده عَلَم.

(١) راجع: السيرة الحلبية ٣٧٤/١ في ذكر المعراج.

(٢) ومكتوب هنا بين السطرين "ما نا فية".

(٣) في الأصل: لأنه، والصواب ما اثبت.

(١١١)

حَتَّى إِذَا لَمْ تَدَعْ شَأْواً لِمُسْتَبِقٍ
مِنَ الدُّنُوِّ وَلاَ مَرْقًى لِمُسْتَنِمِ

(حَتَّى) غاية لتخترق(١) (إِذَا لَمْ تَدَعْ) تترك(٢) (شَأْواً) سبقا من "شأوتُ القوم شأواً" إذا سبقتهم (لِمُسْتَبِقٍ مِنَ الدُّنُوِّ) أي لم تترك سبقا لطالب(٣) السبقة في القرب منه تعالى بل وصلت إلى ما لم(٤) يصل إليه أحد من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين (وَلاَ مَرْقًى) معرجاً (لِمُسْتَنِمِ) طالب للرفعة في القرب منه تعالى.

(١١٢)

خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالإِضَافَةِ إِذْ
نُودِيتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعَلَمِ

(خَفَضْتَ) وضعت، جواب إذ (كُلَّ مَقَامٍ) من المقامات العالية للأنبياء المرسلين والملائكة المقربين (بِالإِضَافَةِ) بالنسبة إلى مقامك الذي أعطيت (إِذْ نُودِيتَ بِالرَّفْعِ) أي بكونك مرفوعاً معظماً، رفعاً (مِثْلَ) رفع (الْمُفْرَدِ) المنفرد بالفضائل والكمالات.

(الْعَلَمِ) المشهور بها في العالم فكما هو رفيع المنزلة بالنسبة إلى من

(١) في الأصل "لتخرق" محرفا.
(٢) لم ترد في ب.
(٣) في الأصل: لغالب، والتصويب من ب.
(٤) كذا في الأصل وفي ب: لا.

سواء كذلك أنت يارسول الله رفيع القدر والمنزلة بالنسبة إلى جميع الخلائق ولا يخفى ما في هذا البيت من حسن الجمع بين الخفض والإضافة والنداء والرفع والمفرد والعلم.

(١١٣)

كَيْمَا تَفُوزَ بِوَصْلٍ أَيِّ مُسْتَتِرٍ
عَنِ (١) الْعُيُونِ وَسِرٍّ أَيِّ مُكْتَتَمِ

(كَيْمَا تَفُوزَ) تظفر، علة للرفع (بِوَصْلٍ) بالله تعالى (أَيِّ مُسْتَتِرٍ) كامل في الاستتار بحيث لا يطلع عليه أحد (عَنِ الْعُيُونِ) الأبصار (وَ) تفوز ب (سِرٍّ أَيِّ مُكْتَتَمِ) كامل في الاكتتام والاستتار، إذا ظفرت بما ذكر:

(١١٤)

فَحُزْتَ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ
وَجُزْتَ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ

(فَـ) قد (حُزْتَ) بالحاء المهملة والزاء المعجمة أي جمعت (كُلَّ فَخَارٍ) كرجال، كل ما يفتخر به (غَيْرَ مُشْتَرَكٍ) فيه أي جمعت كل ما يفتخر به(٢) بحيث لا شركة فيه لغيرك بل لا يطلع عليه غيرك (وَجُزْتَ) بالجيم والزاء المعجمة، عبرت (كُلَّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ) فيه أي وصلت إلى مقامات عالية خالية عن مزاحمة الغير.

(١) كذا في الأصل وفي ب: من.
(٢) لم ترد في ب.

(١١٥)

وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ
وَعَزَّ إِدْرَاكُ مَا أُولِيتَ مِنْ نِعَمِ

(وَجَلَّ) عظم (مِقْدَارُ) قدر (مَاوُلِّيتَ) جعلت والياً عليه(١) (مِنْ رُتَبٍ) جمع رتبة كتهم جمع تهمة (وَعَزَّ) قل بحيث لا يكاد يوجد أو شق على الخلائق (ادْرَاكُ) بلوغ (مَا أُولِيتَ) أعطيت من إدراك الثمر أيْ بَلَغ أو فهم ما أعطيت. (مِنْ نِعَمِ) جمع نعمة يعنى عظم قدر الذي جعلت والياً عليه من المراتب العالية والدرجات المتتالية ويشق(٢) على الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين الوصول إلى الذي أعطيت من النعم الجسام والآلاء العظام.

(١١٦)

بُشْرَى لَنَا مَعْشَرَ الإِسْلَامِ إِنَّ لَنَا
مِنَ الْعِنَايَةِ رُكْناً غَيْرَ مُنْهَدِمِ

(بُشْرَى) خبر يسرّ فتخصيص المبتداء بالصفة كائنة (لَنَا مَعْشَرَ) جماعة (الإِسْلَامِ) نصب على المدح أو على الاختصاص أي مخصوصاً بهذه البشرى جماعة الاسلام من بين الخلائق، ثم بينها بقوله (انَّ لَنَا مِنَ الْعِنَايَةِ) من عناية الله تعالى وأنعامه (رُكْناً) جانباً أقوى لا يخذل من التجأ(٣) إليه، ولا ينصر من هو مخذول لديه، وهو الملة الحنفية السهلة البيضاء (غَيْرَ مُنْهَدِمِ) متغير.

---

(١) لم ترد في ب.
(٢) كذا في الأصل وفي ب: شق.
(٣) في الأصل "التجى" وهو خطأ والصواب ما اثبت.

(١١٧)

لَمَّا دَعَا اللهُ دَاعِيَنَا لِطَاعَتِهِ
بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمَ الأُمَمِ

(لَمَّا) ظرف بمعنى إذ، يستعمل استعمال الشرط يليه فعل ماض لفظاً أو معنى وعامله جوابه.

(دَعَا اللهُ دَاعِيَنَا) مفعول دعا، وإسكان الياء للضرورة، وقد جاء في السَّعة أيضاً نحو: أَعْطِ القوسَ بَارِيهَا(١) (لِطَاعَتِهِ) متعلق بداعينا.

(بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ) متعلق دعا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: "أنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر"(٢) ولأن كل نبى كان في الكمال والتكميل بالغاً إلى حد يبلغه غيره، ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم في الكمال والتكميل بالغاً إلى حد لم يبلغه غيره، كان أفضل الأنبياء وسيد المرسلين صلوات الله عليه وعليهم، كذلك: (كُنَّا أَكْرَمَ الأُمَمِ) لأن شرف الأمة بشرف نبيهم.

(١١٨)

رَاعَتْ قُلُوبَ الْعِدَى أَنْبَاءُ بِعْثَتِهِ
كَنَبْأَةٍ أَجْفَلَتْ غُفْلاً مِنَ الْغَنَمِ

---

(١) والمثل في "مجمع الامثال" ١٩/١ و"المستقصى" ٢٤٧/١ و"جمهرة الامثال" ٧٦/١ و"حسن التوسل إلى صناعة الترسل" ص: ٢٠٧.
(٢) رواه الترمذي عن ابن عباس: ٢٠٢/٢ ابواب المناقب، باب ماجاء في فضل النبي صلى الله عليه وسلم، ونقله العلامة على القارى في شرح الشفا ٧٤/١

(رَاعَتْ) أفزعتْ وخوّفت من "رعتُ فلاناً وروعته فارتاع" أي أفزعته ففزع (قُلُوبَ العدى) بكسر العين، الأعداء وهو جمع لا نظير له كذا في الصحاح(١) (أَنْبَاءُ) أخبار، جمع نبأ وهو الخبر الذي له شأن، كذا في بعض الشروح (بِعْثَتِهِ) كونه مبعوثاً إلى الخلق يعنى أفزعت قلوب الأعداء المحرومين أخبارٌ تدل على نبوته من الأمور الواقعة قبل الولادة وحين الولادة أو ما ثبت في شأنه صلى الله عليه وسلم في التوراة وغيره أو المعجزات الكثيرة المتتالية أو مجرد الخبر الواصل إليهم من كل ناحية أنه(٢) نبى الله، إفزاعاً.

(كَنَبْأَةٍ) مثل إفزاع صوت قطيعاً (أَجْفَلَتْ) هربت مسرعة بمجرد ذلك الصوت أو كانت عادته الهرب بسرعة لأدنى شئى من "أجفل القومُ" هربوا مسرعين حال كون ذلك(٣) القطيع (غُفْلاً) غافلات عن حقيقة ذلك الصوت أنه خير أو شر، والغفل بضم العين المعجمة، جمع غافل كبزل وبازل، كذا في بعض الشروح، وفي بعضها: أن جمع غافل لم يجئ على غفل، ولا يبعد أن يكون جمع أغفل اسم تفضيل وأسكن العين للضرورة، والحق أن هذا الوزن إن لم يكن قياساً في اسم الفاعل ولم يكن مسموعاً فالصواب ما قال الثانى وإلا فالأول.

وأما قوله: ولا يبعد... آه... ففيه بحث فتدبر! وبما ذكرنا من التوجيه لا يرد عليه(٤) أن الإجفال في اللغة بمعنى الفرار لا الإفرار حتى يُحتاج إلى ما يقال وغاية التوجيه أن غفلاً منصوب بحذف باء التعدية لكن صحته موقوفة على السماع حال كون ذلك القطيع كائناً:

(مِنَ الغَنَمِ) يعنى أن الكفار يفزعون ويَبْهَتُون بمجرد خبره صلى الله عليه وسلم كالغنم تفزع من مجرد الصوت كما قال صلى الله عليه وسلم: "نصرت

(١) راجع الصحاح: ١٨٤٧/٦ تحت المادة "عدى".

(٢) في الأصل: أي، والتصويب من ب.

(٣) سقطت من الأصل والتكملة من ب.

(٤) سقطت من الأصل والتكملة من ب.

بالرعب مسيرة شهر."(١)

(١١٩)

مَازَالَ يَلْقَاهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ
حَتَّى حَكَوْا بِالْقَنَا لَحْماً عَلَى وَضَمِ

(مَازَالَ) النبي صلى الله عليه وسلم (يَلْقَاهُمْ) يحاربهم (فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ) موضع حرب (حَتَّى) غاية يلقاهم (حَكَوْا) شابهوا (بِالْقَنَا) على الرماح، قناً كعلى جمع قناة، وهو الرمح (لَحْماً) مفعول حكوا كائناً (عَلَى وَضَمٍ) شئى يوضع عليه اللحم من خشب أو غيره يقال له(٢) بالفارسية "قناره" يعنى استمر قتال النبي صلى الله عليه وسلم للكفار إلى أن شابهوا كائنين على رماح أهل الاسلام التي هي بمنزلة الوضم للقصاب لحماً كائناً على وضم القصاب فكما أن القصاب حريص دائماً لا يفتر على ذبح الحيوانات كذلك أهل الاسلام حريصون على قتلهم لا يفترون ولا يبالون بهم(٣) حتى:

(١٢٠)

وَدُّوا الفِرَارَ فَكَادُوا يَغْبِطُونَ بِهِ
أَشْلاَءَ شَالَتْ مَعَ العِقْبَانِ وَالرَّخَمِ

(١) راجع: صحيح البخاري ١٢/٤ كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "نصرت بالرعب مسيرة شهر" و"الخصائص الكبرى" ١٩٣/٢ و"شرح الشفا لعلى القاري" ٣٦٥/١.

(٢) سقطت من الأصل والتلمكة من ب.

(٣) وفي ب: لهم.

(وَدُّوا) أحبوا أي الكفار الباقون لما رأوا حال القتل (الْفِرَارَ) منه صلى الله عليه وسلم (فَكَادُوا) قاربوا لما رأوا أنهم لا يجدون عنه صلى الله عليه وسلم محيصاً.

(يَغْبِطُونَ) بكسر العين، يتمنون، والغبطة أن يتمنى مثل حال المغبوط من غير أن يريد بزوالها،(١) تقول غبطة بما نال (بِهِ) الفرار (أَشْلاَءَ) أعضاء، جمع شلو وهو العضو (شَالَتْ) ارتفعت (مَعَ الْعِقْبَانِ) جمع عقاب وهو طائر (وَ) مع.

(الرَّخَمِ) جمع رخمة كطلبة، طائر أبقع يُشبه النسر في الخلقة يعنى أنهم لغاية جبنهم ومغلوبيهم وخذلانهم وعدم وجدانهم إلى الهرب سبيلاً قاربوا أن يتمنوا أن يحصل لهم حال أعضاء متفرقة على وجه الأرض بأن يحسبهم العقبان والرخم جيفاً فتأخذهم كما تأخذها.

والنكتة في اختيار الغبطة على الحسد ما تقرر من أن الحاسد لا يسود(٢) ولا يحصل له المقصود، فخافوا أن لو اختاروه لا يحصل لهم ما تمنوا، فاختاروا الغبطة رجاء أن يحصل لهم تلك الحال(٣) القبيحة غاية القبح مع أنها مطلوبهم ومقصودهم، وأمّا ما قيل من أنهم تمنوا أن يذهب بهم العقبان فيما بين الأشلاء ليختفوا فيها لإبدالها مخافة أن يُعرفوا ففيه تأمّل!

(١٢١)

تَمْضِي اللَّيَالِي وَلاَ يَدْرُونَ عِدَّتَهَا
مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيَالِي الأَشْهُرِ الْحُرُمِ

(تَمْضِي) تذهب (اللَّيَالِي) الليل واحد بمعنى الجمع وواحده ليلة مثل تمر وتمرة، وقد جمع على ليال، فزادوا فيها الياء على غير قياس، ويقال كان الأصل

(١) وعبارة ب: تتمنى مثل حال المغبوط من غير أن تريد زوالها.

(٢) وفي الأصل: يسرّ، والتصويب من ب.

(٣) سقطت من الأصل والتكملة من ب.

فيها ليلاة، فحذفت، وتصغيرها لُيَيْلِيَةٌ كذا في الصحاح(١) (وَلاَ يَدْرُونَ) يعلمون (عِدَّتَهَا) عدد تلك الليالى لتشتت حالهم وتفرق بالهم وكثرة اشتغالهم من خوف النبي صلى الله عليه وسلم أن يجتاحهم(٢) ويستأصلهم بحيث لا يسكنون فيها أصلاً مع أنها أوقات الفراغة والاستراحة والسكون والقرار، فكيف يعلمون عدد الأيام مع أنها أوقات الاشتغال.

(مَا) دام (لَمْ تَكُنْ) تلك الليالى كائنة (مِنْ لَيَالِي الأَشْهُرِ الْحُرُمِ) التي كانت القتال فيها منهياً وهي ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب ثلاثة سرد وواحدٌ فرد.

(١٢٢)

كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ
بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَى لَحْمِ الْعِدَى قَرِمِ

(كَأَنَّمَا الدِّينُ) دين(٣) الاسلام (ضَيْفٌ) عظيم كريم حقيق بأن يبذل له كل ما هو أعز الأشياء وأكرمها وأحسنها وأحبّها(٤) (حَلَّ) يحل بضم العين في المضارع أي نزل، وأما حل يحل بالكسر فمعناه وجب، كذا في الصحاح.(٥)

(سَاحَتَهُمْ) باحة دارأهل الاسلام وهم متمكنون من(٦) كل مايُكرم به الضيف، ومكرمون لكل ضيف، فكيف بالعظيم، حال كون ذلك الضيف مُصاحباً

(١) راجع: الصحاح ٤/٢٠٨٥ تحت المادة "ليل".

(٢) في الأصل "يحتاجهم" والصواب ما اثبت.

(٣) وفي ب: أي.

(٤) وفي ب: أجلها.

(٥) راجع: الصحاح ٤/١٩٠١٧ تحت المادة "حل".

(٦) سقطت من الأصل والتكملة من ب.

(بِكُلِّ قَرِمٍ) بالتسكين سيّد (إِلى لَحْمِ العِدى) الأعداء الذين هم بالاجتياج والإهلاك أحق وأحرى وهم في هلاكهم وزوالهم راضون أشد الرضاء فبلغوا(١) في قتلهم وإهلاكهم الغاية(٢) الأقصى ليحصل قرى هذا الضيف المشتهى إلى لحومهم غاية الاشتهاء.

(قَرِمٍ) بكسر الراء، شديد الشهوة من "قرمت إلى اللحم" بالكسر إذا اشتهيته، صفة للقرم و"إلى" متعلق به وقدم به للاهتمام أو التخصيص، وفي قوله ضيف إشارة إلى أنهم يعظمونه ويكرمونه بأقصى ما يمكن على الدوام مثل ما يكرم به الضيف في أيامه، وقيل المعنى أن الدين ضيف كريم نزل دارالكفار ومن عادتهم إكرام الضيف مقارناً بكل سيد شديد الشهوة إلى لحومهم، وهذا كناية عن سرعة صيرورتهم قتلى كأنهم يقتلون أنفسهم تحصيلاً لرضى(٣) الضيف.

(١٢٣)

يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيسٍ فَــوْقَ سَابِحَةٍ

تَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الأَبْطَالِ مُلْتَطِمِ

(يَجُرُّ) أي النبي صلى الله عليه وسلم (بَحْرَ خَمِيسٍ) أي خميس كالبحر في المهابة والكثرة والغلبة. فكما أن البحر المواج يُهيب من أراد دخوله فلا يطيقه، ولودخل يغلبه ويغرقه، كذلك جيش النبي صلى الله عليه وسلم يهيب ويدهش مقابليه، فلا يطيقون المقابلة، ولو قابلوه صاروا مغلوبين مغرقين تحت

(١) كذا وفي ب: فيبلغون قتلهم.

(٢) في الأصل "غاية" بدون حرف التعريف والصواب ثباتها.

(٣) وفي ب: لمرضى.

كالأمواج، سمى الجيش خميساً لأنه يكون خمس فرق، المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساق، كائناً ذلك الخميس:(١)

(فَوْقَ سَابِحَةٍ) أفراس حسن الجرى لا تتعب راكبها كأنها تجرى في الماء حال كون تلك البحر (تَرْمِي) بالتاء الفوقانية، إذ البحر مؤنث سماعى بدليل بحيرة، وأما ما قبل من أن فاعله ضمير راجع إلى البحر أو إلى سابحة على رواية يرمى بالياء ففيه بحث بوجوه فتدبر! أي تلقى:

(بِمَوْجٍ) وصف بالموج(٢) في القهر والغلبة على الملاقى له كائن ذلك الموج (مِنَ الأَبْطَالِ) الغالبين على الأعداء في معركة القتال لغاية شجاعتهم ونهاية مبارزتهم وكمال ثقتهم بالله تعالى.

(مُلْتَطِم) ذلك الموج مزدحم مختلط ضارب بعضه بعضاً لشدة اشتياق كل واحد منهم في السبقة في قتل الأعداء المعاندين المحرومين المطرودين، وقول بعض الشارحين: "ملتطم كه برهم ميخورند اين ابطال"(٣) لا يخلو عن شئ.

ثم بين الأبطال بقوله:

(١٢٤)

مِــنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ لِلّهِ مُحْتَسِبٍ

يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكُفْرِ مُصْطَلِمِ

(مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ) بكسر الدال، يقال: ندبه لأمر فانتدب له؛ دعاه فأجاب، ومن قال بفتح الدال فقد سها، أي مجيب لله في دعوته لقتال المشركين لإحكام أمر الدين وإصلاح حال المسلمين بقوله: قاتلوا المشركين.(٤)

(١) وردت في ب: الجيش.

(٢) في الأصل: صف كالموج، والتصويب من ب.

(٣) جملة فارسية معناها: ملتطم أي يغضب هؤلاء الأبطال.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٣٦.

(مُحْتَسِبٍ) طالب للأجر من الله، مخلص للعمل من شوب الأغراض، متمحض(١) النية لذاته تعالى ابتغاء لمرضاته (يَسْطُوا) أي يصول ذلك المنتدب ويبطش متلبساً (بِمُسْتَأصِلٍ) مقلع (لِلْكُفْرِ) من أصله من "استأصله، قلعه من أصله"، جرّد من نفسه مستأصلا آخر مُصاحباً له مبالغة في استيصاله على ماهو قاعدة التجريد أو مستغنياً بمستأصل من السيف والراية وغيرهما من الأسلحة (مُصْطَلِمِ) تاكيد لمستأصل، في الصحاح:(٢) الاصطلام: الاستيصال.

(١٢٥)

حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الإِسْلَامِ وَهْيَ بِهِمِ
مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَــوْصُولَةَ الرَّحِمِ

(حَتَّى) غاية بجرّ (غَدَتْ) صارت (مِلَّةُ الإِسْلَامِ) الملة والدين والشريعة والإسلام والشرع متحد بالذات مختلف بالاعتبار، فإن ماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الله تعالى من حيث أنه يُملى ويُكتَب سمى ملةً من "أمللت" بمعنى أمليت، ومن حيث أنه يطاع له سمى دينا من "دَانَه" أطاعه ومن حيث أنه مشبه بالشريعة، وهي مورد الشاربة سمى شريعة، ومن حيث أنه ينقاد له سمى إسلاماً، ومن حيث أنه أظهره الشارع سمى شرعاً (وَ) الحال (هِيَ) أي الملة مؤيّدة (بِهِمِ) أي الخميس أو مَفْضُوةٌ(٣) إليهم (مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا) اغترابها فيما بين الخلق لقلة ناصرها وظهيرها(٤) ومعينها ومروّجها كما قال عليه

(١) في الأصل: متحض، والصواب ما اثبت.
(٢) راجع الصحاح: ١٩٠٤/٥ تحت المادة "صلم".
(٣) وفي ب: مفتوحة.
(٤) في الأصل "ظهرها" والتصويب من "ب".

الصلاة والسلام: "بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء"(١) وهو ظرف لقوله:

(مَوْصُولَةَ الرَّحِمِ) خبر "غدت" أي وصلت قرابتها وحفظت حرمتها ورُوعيت أحوالها حق الرعاية بذلك الخميس الكامل الباذل ماله ونفسه في ترويجها وحتى غدت:

(١٢٦)

مَكْفُولَةً أَبَداً مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَبٍ
وَخَيْرِ بَعْلٍ فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمْ تَئِمِ

(مَكْفُولَةً) لها (أَبَداً) دائماً إلى قيام القيامة كفالة صادرة (مِنْهُ)(٢) صلى الله عليه وسلم (بِخَيْرِ أَبٍ) بخير من يربيها ويروّجها ويراعيها حق الرعاية كالأب المشفق المربى بولده (وَخَيْرِ بَعْلٍ)زوج وبخير من يحافظها ويراقبها كالزوج المراقب لامرأته يعنى أنه صلى الله عليه وسلم كفل(٣) بأن يكون لها دهراً بعد دهرٍ وقرناً بعد قرن من يربيها ويروّجها ويحافظها ويراقبها لقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"(٤) إذا كان كذلك:(فَلَمْ تَيْتَمْ) لم تصر الملّة يتيمة بفقدان ناصرها ومعينها

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" عن ابى هريرة رضي الله عنه: ٩٠/١ باب بيان ان الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً و"الترمذي" ٨٧/٢ ابواب الايمان، باب ماجاء ان الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريباً و"احمد" في مسنده" ٢٠٧/٤ و"ابن ماجة" ١٣١٩/٢ في العتق و"الدارمي" في "سننه": ٣٧٠ باب ان الاسلام بدأ غريباً.
(٢) كذا في الأصل وفي بعض النسخ "منهم" والضمير للكفار أي من شرورهم واضرارهم وافسادهم انظر: عصيدة الشهدة: ١٩٤ وشرح شيخ زاده: ١٩٣.
(٣) كذا في الأصل وفي ب: كبعل.
(٤) راجع: سنن ابى داؤد ١٥٦/٤ والخصائص الكبرى ١٥٢/٢ باب إخباره صلى الله عليه وسلم بمن يجدد الدين على رأس كل مائة سنة، والدرر المنتثرة: ٥٩.

بل لا تزال منصورةً معانةً ظاهرةً غالبةً، مِن "يَتم الولد" بكسر الفوقانية، ييتم بفتحها؛ إذا مات أبوه وهو صغير.(١)

(ولَمْ تَيِنِم) لم تصر أيّماً بعدم وجدان من يحافظها ويراقبها بل دائماً تكون مراقبةً محفوظة لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا يزال من أمتى أمة قائمة بأمر الله تعالى لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله"(٢) من "آمت المرأة تيئم" كباعت تبيع إذ أحلّت من زوجها.

(١٢٧)

هُمُ الْجِبَالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ

مَاذَا رَأَى مِنْهُمْ فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ

(هُمُ) أي الجيش في العظمة والاستقامة والثبات والتمكن(٣) والصلابة والاستحكام كـ (الجبال) التي لا يحركها عن مقارّها محرك (فَسَلْ) أيها المسترشد لحقيقة الحال، (عَنْهُمْ) أى عن قتالهم للكفار وثبات قدمهم واحتياجهم واستيصالهم، مفعول ثان لسَل، والأول (مُصَادِمَهُمْ) مواضع حربهم، من "صدمه صدماً" ضربه بجسده.

---

(١) ومكتوب هنا بهامش الأصل: "اليتيم من الأناس من لا أبَ له ومن البهائم من لا أم له ومن اللآلى من لا نظير له يقال: در يتيمة".

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" ١٨٧/٤ كتاب المناقب، باب حدثنى محمد بن المثنى حدثنا معاذ وكتاب الاعتصام بالسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق، ومسلم في "صحيحه" ٩٥/١ باب نزول عيسى ابن مريم حاكما لشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم وكتاب الامارة ٥٢/٦ باب قوله صلى الله عليه وسلم: لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم، و"الترمذي" ٤٦/٢ ابواب الفتن، باب ماجاء في الائمة المضلين.

(٣) وفي ب: التمكين.

(٤) وفي ب: استطالهم

ثم أشار إلى بيان كيفية السؤال بقوله:

(مَاذَا) أيّ شئ أو ما الذي (رَأَى) كل واحد من المصادم (مِنْهُمْ)(١) (فِيْ كُلِّ مُصْطَدَمِ) موضع حربهم ومكان قتالهم لهم، وفي السؤال عن الجيش الأمكنة إشعار بأن قتالهم للكفار واستيصالهم لهم بلغ في الشدة والمهابة مبلغاً أثرفى الجمادات حتى أنها شاهدة على شناعة حالهم أو أنه لم يبق منهم أحد حتى يسأل عنه.

ثم خص بالذكر بعض المصادم العظيمة المشهورة فقال:

(١٢٨)

وَسَلْ حُنَيْناً وَسَلْ بَدْراً وَسَلْ أُحُداً

فُصُولُ حَتْفٍ لَهُمْ أَدْهَى مِنَ الْوَخَمِ

(وَسَلْ حُنَيْناً) واد(٢) بين مكة والطائف (وَسَلْ بَدْراً) بئر كانت لرجل يُدعى بدراً (وَسَلْ أُحُداً) جبل بالمدينة ففيها (فُصُولُ) أنواع (حَتْفٍ) موت كانت (لَهُمْ) للكفار(٣) (أَدْهَى) أشد تلك الفصول إصابة (مِنَ الْوَخَمِ) الطاعون والوباء، واحد وخمة كطلبة، أعنى بالجبال:

(١٢٩)

اَلْمُصْدِرِي الْبِيْضِ حُمْراً بَعْدَ مَا وَرَدَتْ

مِنَ الْعِدَى كُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ

---

(١) كذا في الأصل وفي بعض النسخ "عنهم".

(٢) في الأصل "وادى" صوابه "واد".

(٣) في الأصل: لكفار، والتصويب من ب.

(الْمُصْدِرِى الْبِيْضِ) المخرجى السيوف البيض، جمع أبيض وهو السيف، حال كونها (حُمْراً) جمع أحمر (بَعْدَ مَا وَرَدَتْ) بعد ورودها كائناً (مِنَ العِدى) حال من (كُلِّ مُسْوَدٍّ) ذى سواد كائن (مِنَ اللِّمَم) كعنب جمع لِمَّة بالكسر وهو الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن، فإذا بلغت المنكبين فهي جمة، والمراد هنا مطلق الشعر، وفي التعبير عن شعرهم بمسود وباللمم(١) إشارة إلى أنهم كانوا شباناً، ولا يخفى ما في ذكر الألوان من تذبيح الكناية.

(١٣٠)

وَالْكَاتِبِيْنَ بِسُمْرِ الْخَطِّ مَا تَرَكَتْ
أَقْلَامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ

(وَ) أعنى (الْكَاتِبِيْنَ) الطاعنين للمعاندين (بِسُمْرِ) جمع أسمر أي برماح تنسب إلى (الْخَطِّ) هو موضع باليمامة تنسب إليه الرماح لأنها تحمل من بلاد الهند فتقوّم به، (مَا تَرَكَتْ أَقْلَامُهُمْ) رماحهم المشبهة بأقلام الكاتبين (حَرْفَ) طرف (جِسْمٍ) الأعداء (غَيْرَ مُنْعَجِمِ) غير ذى نقطة سوداء بالدم بالطعن، من "العجم" وهو النَقط بالسواد مثل التاءِ عليها(٢) نقطتان، يقال: أعجمت(٣) الحرف والتعجيم مثله، ولا يقال: عجمت، والجملة حال من ضمير الكاتبين، ولا يخفى ما فى البيت من الاستعارة المجردة والمرشحة والإيهام.(٤)

---

(١) في الأصل "باللحم" والتصويب من "ب".
(٢) في الأصل "عليه" صوابه "عليها".
(٣) الأصل "اعجت" والتصويب من "ب".
(٤) في الأصل: "الابهام" وهو تصحيف.

(١٣١)

شَاكِى السِّلَاحِ لَهُمْ سِيمَا تُمَيِّزُهُمْ
وَالْوَرْدُ يَمْتَازُ بِالسِّيمَا مِنَ السَّلَمِ

(شَاكِى) تامى (السِّلَاحِ) مقلوب شائك، بدل من الكاتبين أو صفة له، إذ المعنى على المضى فالإضافة مختصة وأما ما قال بعض الشارحين: " بدل است از المصدرى البيض يا صفت اوست اگر شاكى را براى استمرار دارند واسم فاعل چون براى استمرار باشد عمل نكند".*

ففيه بحث بوجوه؛ أما أولاً فلأن كونه صفة للكاتبين أولى، وأما ثانياً فلأن عبارته تُشعِر بعدم جواز الحمل على المضى مع أن المعنى عليه، وأما ثالثا فلأنه لا معنى للحمل على الاستمرار إذ استمرار الصفة للموصوف بعد ارتحاله غير متصور، وأما رابعاً فلأن نفى العمل على الاطلاق عن اسم الفاعل إذا كان للاستمرار غير صحيح، لأنه إذا كان له ففى إضافته اعتباران؛ أحدهما أنها مختصة باعتبار معنى المضى فيه وبهذا الاعتبار يقع صفة للمعرفة ولا يعمل، وثانيهما أنها غير مختصة باعتبار معنى الحال أو الاستقبال وبهذا الاعتبار يقع صفة للنكرة ويعمل فيما أضيف إليه، كذا ذكره صاحب المنهل ناقلاً عن شرح الكشاف لليمنى فتدبر!.

(لَهُمْ سِيْمَا) مقصورٌ وقد يجئ ممدوداً، علامة في وجوههم من أثر السجود وإشراقها بنور الإيمان والعمل وصحبة الرسول صلى الله عليه وسلم وفنائهم تحت أمره بخلاف المعاندين الموذين المشبهين بالشوك في الإيذاء وعدم النفع، والجملة حال من الشاكى وجعلها صفة له غير مرضيٍ.

---

* عبارة فارسية ومعناها بالعربية: بدل من "المصدرى البيض" أو صفة له إذا جعلوا "شاكى" للاستمرار وإذا كان اسم الفاعل للاستمرار لا يعمل.

(تُمَيِّزُهُمْ) تلك العلامة عن أغيارهم، صفة "لسيما" ولذا أنّث الفعل، وجعله صيغة المخاطب تفكيكٌ للنظم وفي جعلها صفة للشاكى بحذف العائد والتقدير أي تميزهم به أي بسيما، بحث فتدبر!

(وَ) الحال أن (الوَرْدُ) جنس، واحده وردة أي شجرة (يَمْتَازُ) يتميز (بالسِيِّمَا) من حسن الهيئة والنظارة(١) والطراوة وطيب الرائحة والقبول، (مِنَ السَّلَمِ) بالتحريك، شجرة العضاة(٢) واحده سَلَمة.

(١٣٢)

تُهْـدِى إِلَيْكَ رِيَاحُ النَّصْـرِ نَشْرَهُمُ

فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ فِي الأَكْمَامِ كُلَّ كَمِى

(تُهْدِى) ترسل هدية (إلَيْكَ) أيها المستمع لأخبارهم عند حضورهم في معركة القتال.

(رِيَاحُ النَّصْرِ): فاعل تهدى أي الرياح التي بها ينصر الله تعالى أهل الإسلام والمراد بارسالها سرعة انتشار خبر ظفرهم وغلبتهم وبطشهم على الأعداء فيما بين الخلق كأنها مرت به فيما بينهم.

(نَشْرَهُمْ) رائحتهم الطيبة من الثبات والتمكين والثقة بالله تعالى وكمال اليقين عند المحاربة للمعاندين الضالّين المقهورين.

(فَتَحْسَبُ) بسبب انتشار رائحتهم الطيبة،(الزَّهْرَ) النّور كائناً (فِي الأَكْمَامِ) جمع كم بالكسر وهو وعاءً(٣) الطلع وغطاء النور، مفعول ثانٍ قدم

---

(١) كذا في الأصل وفي ب: النضارة.

(٢) في الأصل "العصاة" وهو التصحيف

(٣) في الأصل "دعاء" وهو التحريف والتصويب من "ب".

للضرورة على الأول وهو:

(كُلَّ كَمِى) والكَمِيّ الشجاع المتكمى أي المتغطى في سلاحه لأنه كَمَىَ نفسه أي سترها بالدرع والبيضة، والجمع الكماة مِن "كَمَى فلان شهادة يكميها" إذا كتمها(١) يعنى تحسب أنت كل شجاع في سلاحه النور في أكمامه فكما أن النور فيها يكون في غاية الصفاء والبهاء ونهاية الحسن والضياء لا يمكن أن يُشم منه رائحة كريهة كذلك الجيش في سلاحه يكون في غاية الحسن والبهجة والبهاء ونهاية الطراوة والنضارة والضياء وكمال الثبات والاستقامة والتمكين وحسن اليقين لدى المحاربة لا يتصور أن يسمع منهم خبر غير مرضى من الهزيمة والقلق والاضطراب.

(١٣٣)

كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الْخَيْلِ نَبْتُ رُباً

مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ لاَ مِنْ شِدَّةِ الْحُزُمِ

(كَأَنَّهُمْ) أي شاكى السلاح كائنين (فِي) على (ظُهُورِ الْخَيْلِ نَبْتُ) نبات (رُباً) جمع ربوة بحركات الفاء، وهو ما ارتفع من الأرض، فكما أن نبات الربوة يكون أشد وأقوى ضارباً عروقه إلى نجوم الأرض لا يزعجها ريح كذلك هم يكونون على ظهورها ذوى(٢) قوة وفطانة لا يزعجهم شئى عنها.

(مِنْ شِدَّةِ) بالكسر قوة (الْحَزْمِ) كفلس، الضبط والاحتياط وكمال العقل والمهارة في الفراسة (لاَ مِنْ شِدَّةِ الْحُزُمِ) كعنق جمع حزام، يقال له في(٣) الفارسية

---

(١) في الأصل "كهتما" والصواب ما اثبت.

(٢) في الأصل: ذى، والتصويب من ب.

(٣) وفي ب: بالفارسية.

"تنك" يعنى أنهم مشبهون به من كمال الثبات لا من قوة الحزام.

ثم أنه لما وصف الجيش بغاية الشجاعة والثبات أشار إلى وصف العدو بنهاية الجبن والهزيمة بقوله:

(١٣٤)

طَارَتْ قُلُوبُ العِدَى مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقاً
فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ البَهْمِ وَالبُهَمِ

(طَارَتْ) اضطربت وخافت (قُلُوبُ العِدَى مِنْ بَأْسِهِمْ)(١) شدة شاكى السلاح وغلبتهم (فَرَقاً) بالتحريك خوفاً، تقول "فرقت منك" بالكسر ولا تقول "فرقتك" كذا في الصحاح(٢) (فَمَا تُفَرِّقُ) قلوبهم لغاية الاضطراب والقلق والدهشة الحاصلة لهم من مبارزى الاسلام بحيث يحسبون كل صيحة عليهم، هم العدو:

(بَيْنَ البَهْمِ) بفتح الباء، وسكون الهاء، جمع بهمة وهي أولاد الضان،

(وَالبُهَمِ) كعنق جمع بهمة بالضم، وهو الشجاع يعنى أنهم لغاية جبنهم يفرون من كل(٣)صغير وكبير وحقير ووقير ولا يلاحظون أنه ممن(٤)يفر منه أو لا، ويحتمل أن يكون تفرق صيغة الخطاب يعنى لا تفرق أنت أيها المخاطب بين أولاد الضان وبين شجعان الكفار لانفرارهم كانفرارها.

---

(١) وفي بعض النسخ "من خوفهم" أي من الخوف منهم، انظر شرح شيخ زاده بهامش عصيدة: ٢٠٣.

(٢) راجع: الصحاح ٤/١٤٩٥ تحت المادة "فرق".

(٣) سقطت من الأصل والتكملة من ب.

(٤) لم ترد في ب.

(١٣٥)

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللهِ نُصْرَتُهُ
إنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ فِي آجَامِهَا تَجِمِ

(وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللهِ) صلى الله عليه وسلم أي باستعانته (نُصْرَتُهُ) كونه منصوراً (إنْ تَلْقَهُ) تحاربه(١) (الأُسْدُ) التي في غاية الشجاعة بحيث لا مزيد عليه، كقفل جمع أسد كائنة (فِي آجَامِهَا) كآلام جمع أجم ككتب، جمع إجام ككتاب، أجم كجبل وهو جنس العرين والغيل وهو موضع الأسد الذي يألفه، يقال له بالفارسية "بيشه" (تَجِمِ) تخاف منه تلك الأسد أشد الخوف وتهرب مع أنها في مواضع يكون أشد غضباً وقهراً منها في غيرها.

(١٣٦)

وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيٍّ غَيْرَ مُنْتَصِرٍ
بِهِ وَلاَ مِنْ عَدُوٍّ غَيْرَ مُنْقَصِمِ

(وَلَنْ) لتاكيد النفى لا لتأبيده لقوله تعالى: فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي(٢) (تَرَى) تعلم (مِنْ وَلِيٍّ) من أوليائه صلى الله عليه وسلم (غَيْرَ مُنْتَصِرٍ بِهِ) بل يكون كل محب له منصوراً معاناً معززاً (وَلاَ) ترى (مِنْ عَدُوٍّ) مخالف له، كيف وقد قال الله تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الكَافِرِينَ لاَمَوْلَى

---

(١) لم ترد في ب.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٠.

لهمْ(١). أي ناصرلهم، (غيْرَ مُنْقصِمِ) منكسر مهان مخذول في الدنيا والعقبى، من "قصمت الشئى قصماً" إذا كسرته حتى تبين.

(١٣٧)

أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِمِلَّتِهِ
كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الأَشْبَالِ فِي أَجَمِ

(أَحَلَّ) أنزل صلى الله عليه وسلم (أُمَّتَهُ) أي أمة الإجابة (فِي حِرْزِمِلَّتِهِ) والحرز بكسر الحاء المهملة وسكون الراء؛ الموضع الحصين أي في الموضع الحصين الذي هو ملته (كَاللَّيْثِ) إحلالاً مثل إحلال الليث(حَلَّ) نزل (مَعَ الأَشْبَالِ) جمع شبل كحبر وهو ولد الأسد.

(فِي أَجَمِ)(٢) بفتحتين، الغيل يعنى كما أنه لا يمكن أن يتعرض أحد لولد الأسد في أجمه بل كل من تعرض صار مغلوباً مقتولاً كذلك كل من استقام على جادة الشريعة لا يمكن أن يتعرض له(٣)ويؤذيه أحد فهو آمن من الغوائل والحوادث والفتن.

(١٣٨)

كَمْ جَدَّلَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ مِنْ جَدِلٍ
فِيهِ وَكَمْ خَصَمَ الْبُرْهَانُ مِنْ خَصِمِ

(١) سورة محمد، الآية: ١١.

(٢) في الأصل "الاجم" والتصويب من "ب" وكذا في النسخ الأخرى للبردة بدون حرف التحريف.

(٣) سقطت من الأصل والتكملة من ب.

(كَمْ) خبرية أو استفهامية وقعت مفعول (جَدَّلَتْ) رمت على الأرض، (كَلِمَاتُ اللَّهِ) أي القرآن بإعجازه (مِنْ جَدِلٍ) بكسر الدال أي شديد الخصومة تميز كم.

قال الشيخ الرضى(١) عند شرح قوله "فكم الاستفهامية": "إذا وقع الفصل بين كم الخبرية ومميزها بفعل متعدّ وجب الاتيان بمِنْ لئلا يلتبس المميز بمفعول ذلك الفعل نحو قوله تعالى: كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ(٢) وحال "كم" الاستفهامية مع الفصل كحال الخبرية، وأما قوله عند قوله: ويدخل مِن فيهما أما في الخبرية فكثير نحو: "وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ "فِي"(٣) السَّمٰوَاتِ(٤) "وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ"(٥) وأما مميز "كم" الاستفهامية فلم أعثر عليه مجروراً بمن في نظم ولا نثر ولادلّ "على جوازه"(٦) كتاب من كتب النحو فإنما هو عند عدم الفصل لا مطلقاً.

فقوله تعالى: سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ(٧) ليس حجة عليه كما زعم العلامة التفتازانى في "المطول"(٨) والجامى في "الضيائية"(٩)

وقال بعض الشارحين: "من جدل، تميز كم است كه فاصل شده است فعل متعدى ميان او وكم، و زيادتى "مِن" درين مقام واجب است تا ملتبس نشود

(١) راجع: شرح الكافيه للرضى الاسترآبادى: ١٨٤.

(٢) سورة الدخان، الآية: ٢٥.

(٣) سقطت من الأصل.

(٤) سورة النجم، الآية: ٢٦.

(٥) سورة الاعراف، الآية: ٤.

(٦) في الأصل "عليه" والتكملة من شرح الكافية.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢١١.

(٨) انظر: المطول: ٢٣٤ الباب السادس.

(٩) راجع الفوائد الضيائية: ٢٢٧.

بمفعول، خواه كم خبرى باشد خواه استفهامى، وبر تقدير كم استفهامى شايد كه "من جدل" مفعول جدلت باشد وتميز مرة محذوف".*

وفيه بحث بوجوه، أما أولاً فلأن زيادة "مِن" إن كانت ترفع اللِّبس كما اعترف به الشارح وقال به النحاة، فلا معنى للاحتمال المذكور وإلا فلا يحصل الرفع مع أن زيادتها لهذا وأما ثانياً فلأنه يلزم منه زيادتها في الايجاب مع أنها لا يزاد فيه، وأما ثالثاً فلأنه لا معنى لتخصيص هذا الاحتمال مع أنه غير موجه بكم الاستفهامية، وأما رابعاً فلأن أول كلامه يناقض آخره فتدبر!.

وكم ههنا منصوب المحل على المفعولية بالفعل المذكور على ماهو القاعدة فيها، وجعله مرفوع المحل على الابتداء و"جدلت" خبره ناش عن الغفلة عن قاعدة إعرابها، يعنى رمى على الأرض بحيث لم ينتهض أصلاً كثيراً من المعاندين المعارضين المخاصمين.

(فِيْه) في شأنه صلى الله عليه وسلم وكونه نبياً، القرآنُ البالغ في بلاغته حد الإعجاز بحيث أفحمهم وأسكتهم فعجزوا عن آخرهم عن الإتيان بأقصر سورة مع كونهم خطباء بلغاء متهالكين حريصين على المنازعة والمعارضة، وفيه إشارة إلى أن الأمة لا يزالون غالبين على المخالفين ما تمسكوا بالقرآن، (وكَمْ) كالأولى (خَصَمَ) غلب في مقام الخصومة (البُرهَانُ) أي الحجة وهي الآيات، في الصحاح:(١) يقال: خاصمت فلاناً فخصمته أخصمه بالكسر ولا يقال بالضم وهو شاذ لأن ما كان من قولك فاعلته ففعلتُه فان يَفْعَلَ منه يردّ إلى الضم إن لم يكن فيه حرف من حروف الحلق من أي باب كان من الصحيح.

وأما ما كان من المعتل مثل وجدتُ وبعت ورميت فان جميع ذلك يرد

* عبارة فارسية وترجمتها: "من جدل" هو مميز كم وقد وقع الفصل بينه وبين كم بفعل متعد وزيادة مِنْ في هذا المقام واجبة لئلا يلتبس المميز بالمفعول سواء كانت كم الخبرية أو كم الاستفهامية وعلى تقديركم الاستفهامية يمكن أن يكون "من جدل" مفعول "جدلت" ويكون المميز محذوفا.

(١) راجع: الصحاح ٥/٢٠٣٣ تحت المادة "خصم".

إلى الكسر إلا ذوات الواو فإنها ترد إلى الضم تقول: رَاضَيْتُه فَرَضَوْتُه أرْضُوه وَخَاوَفَنِي فَخِفْتُه أخُوفُه(١) انتهى ولا يخلو(٢) عن حزازة(٣) فتدبر!.

(مِنْ خَصِمٍ) كمن جَدِلٍ لفظاً ومعنىً.

ثم أنه لما ذكر كثيراً من المعجزات الباهرة وأراد الانتقال إلى المقصد(٤) الآخر أشار إلى أن تعدادها مما لاحاجة إليه بل يكفى معجزةٌ دالةٌ على نبوته صلى الله عليه وسلم بحيث لا يشك فيه من له عقل سليم وطبع مستقيم، العلم والأدب وحاصلان فيه على وجه لا يوجد في غيره من الأنبياء والمرسلين في وقت لا يتصور الحصول فيه في العادة، فقال:

(١٣٩)

كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِـي الأمِّيِّ مُعْجِزَةً
فِيْ الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّادِيْبِ فِي الْيُتُمِ

(كَفَاكَ) أيها الطالب لساطع الآيات وأوضح(٥) البينات على نبوته صلى الله عليه وسلم (بِالْعِلْمِ) فاعل كفى، ككفى بالله أي كفاك العلم الحاصل، (فِي الأُمِيِّ) الذي لا يكتب ولا يقرأ مكتوباً (مُعْجِزَةً) دالة على نبوته (فِيْ) زمان (الْجَاهِلِيَّة) ظرف للحاصل المقدر أي في زمان لا يوجد فيه من يكسب(٦) منه العلم. يعنى كفاك معجزةً دالةً على النبوة العلم الحاصل الواصل إلى حدّ لم يصل إليه أحد من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين كما دل عليه: "علمت علم الأولين والآخرين" في شخص لا يتصور حصوله في مثله في العادة في زمان لا

(١) انظر: شرح الشافية للرضى: ١٢٢.
(٢) في الأصل "يخلوا" والالف زائدة.
(٣) في الأصل "جزازة" صوابه: حزازة، والحزازة واحد الحزازات، الأمور التي تتألم بها القلب.
(٤) وفي ب: مقصوده.
(٥) وفي ب: واضح.
(٦) وفي ب: يكتسب.

يوجد فيه طرق اكتساب العلم أصلاً إذ هو دليل جَلِيٌّ وبرهان قوى على أن ليس ذلك إلا بالوحى والمتوقف مخذول معذول عن نور اليقين: وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَه نُوراً فَمَالَه مِنْ نُورٍ.(١)

(وَ) كفاك (بِالتَّادِيْبِ) الحاصل في الأمى (فِي الْيُتْمِ) كعنق "بى پدر شدن".

يعنى كفاك معجزةً كونه متأدباً ومؤدِّباً على وجة لا يتصور في غيره كما يدل عليه: أدبنى ربى فأحسن تأديبى(٢) في زمان لا يتصور فيه حصول نفس الأدب فضلاً عن أدب وتأديب بالغ إلى ما لم يصل إليه غيره عليه أكمل التحيات وأفضل الصلوات.

في "المدارك" في سورة العنكبوت في تفسير قوله تعالى: وَلاَ تَخُطُّه بِيَمِيْنِكَ.(٣) عن مجاهد والشعبى: ماماتَ النبي صلى الله عليه وسلم حتى قرأ وكتب.(٤)

ثم أنه شرع في مقصده والتجائه إلى حضرة النبي صلى الله عليه وسلم وطلبه العفو من الذنوب بمدحه واشتغاله بذكر مناقبه الجميلة وإظهار مناصبه الجليلة،(٥) فقال:

---

(١) سورة النور، الآية: ٤٠.

(٢) ذكره العسكرى في الأمثال: ٢١٧/١ والسيوطى في "الدرر المنتشرة": ٤٥، وانظر ايضاً: كتاب اللمع: ٣١ وشرح الشفا لعلى القارى: ١٤٣/١ وفيض القدير ٢٢٤/١ وكشف الخفا: ٧٠/١ وشرح المواهب للزرقانى ١٠١/٤ والمقاصد الحسنة للسخاوى (ص٢٩) والوفا لابن الجوزى ٤٥٦/٢ والنهاية لابن الأثير ٢/١.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٨.

(٤) راجع: تفسير مدارك التنزيل ٤٥٣/٣.

(٥) وردت في ب: الجلية.

(١٤٠)

خَدَمْتُه بِمَدِيْحٍ اَسْتَقِيْلُ بِه
ذُنُوْبَ عُمْرٍ مَضَى فِي الشِّعْرِ وَالْخِدَمِ

(خَدَمْتُه) صلى الله عليه وسلم من باب نصر (بِمَدِيْحٍ) مدح (أَسْتَقِيْلُ) أطلب العفو (بِهِ) بسبب ذلك المدح (ذُنُوْبَ عُمْرٍ(١) مَضَى) ذهب (فِيْ) إنشاء(٢) (الشِّعْرِ) في مدح الملوك والسلاطين وأبناء الدنيا والمترفين.

(وَالْخِدَمِ) كعنب جمع خدمة أي في خدمة أبناء الدنيا والعمال بالتملق لهم والمجالسة معهم والمداهنة بهم لأجلّ الحظوظ العاجلة، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم عن نفس المجالسة بهم فقال: وإياكم ومجالسة الموتى، قيل: ومن هم، قال: الأغنياء" فكيف إذا انضم إليه ما يوجب الرضا بأقوالهم وأفعالهم وأحوالهم من قول أو فعل أو حال.

(١٤١)

إِذْ قَلَّدَانِي مَا تُخْشَى عَوَاقِبُهُ
كَأَنَّنِي بِهِمَا هَدْىٌ مِنَ النَّعَمِ

(إِذْ) تعليل لكونه مذنباً بالشعر والخدمة (قَلَّدَانِي) أي جعل الشعر والخدمة قلادة في عنقى (مَا تُخْشَى عَوَاقِبُهُ) أواخره من الأقوال والأفعال السيئة

---

(١) في الأصل: عمرى، والصواب ما اثبت.

(٢) وردت في ب: إنشاد.

الحاصلة بسببهما (كَأنَّنِي) متلبساً (بِهِمَا) أي بالشعر والخدمة (هَدْيٌ) ما يهدى إلى الحرم (مِنَ النَّعَمِ) واحد الأنعام وهي المال الراعية وأكثر ما يقع هذا الاسم على الابل بمعنى(١) أنى بملازمة الشعر والخدمة مشابه بالهدى فكما أن قلادته علامته لذبحه ولا يشعر به، كذلك هما كانا قلادة هلاكى وخسارتى، ولكن ما شعرت بهما بل حسبتهما حسنين بالتسويل.

(١٤٢)

أَطَعْتُ غَيَّ الصِّبَا فِي الْحَالَتَيْنِ وَمَا
حَصَّلْتُ إِلاَّ عَلَى الآثَامِ وَالنَّدَمِ

(أَطَعْتُ) امتثلت (غَيَّ) ضلال (الصِّبَا) عنفوان الشباب، بالكسر، مقصور من صبا يصبو صبوةً وصبواً أي مال إلى الجهل والفُتُوَّة.(٢) وجعله من صَبِيَ صِبا مثل سمع سماعاً أي لعب مع الصبيان، غير مرضى في هذا المقام، يعنى قبلت ما يقتضى جهل عنفوان الشباب ويشتهيه، وسعيت فيما يحبّه ويهويه، وكنت له مطيعاً في أمَانيه ومراضيه من(٣) طلب المال والمنال والاستقصاء في استيفاء اللذات والشهوات وملازمة أبناء الدنيا وأهل البدع وأرباب المباهات.

(فِي الْحَالَتَيْنِ) المذكورتين، وقيل: الصبا ومقابله طرف "لاطعت" (وَ) الحال (مَا حَصَّلْتُ) على شئى (إلاَّ عَلَى الآثَامِ) أي المعاصى (وَ) موجب (النَّدَمِ) ثم أنه تندّم وتحسّر على مافاته من نقد عمره فيما هو فَتَمنّى أن يرغب عنه فقال:

(١٤٣)

فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِي تِجَارَتِهَا
لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسُمِ

(١) كذا في الأصل وفي ب: يعنى.
(٢) وفي ب: الصبوة.
(٣) كذا وفي ب: في.

(فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ)(١) تعالي فهذا أوانك (فِيْ تِجَارَتِهَا) التي جاءت في هذا العالم لأن تربح فيها فما ربحت حيث (لَمْ تَشْتَرِ(٢) الدِّيْنَ) كما ينبغى أي الآخرة التي ورد فيها: ولدار الآخرة خير(٣) (بِالدُّنْيَا) التي ورد فيها و"اِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَّ لَهْوٌ وَزِيْنَةٌ وَّتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ"(٤) "وأن الدنيا ملعونة وملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه(٥) عالم أو متعلم".(٦)

(وَلَمْ تَسُمِ) ولم تصر طالباً لِشَراه بها أيضاً كذلك وهو بإنفاقها في سبيل الله تعالى ومرضاته وبذلها ابتغاءً لوجهه وذاته والقناعة والاكتفاء على(٧) الضروري منها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "هلك الاكثرون إلا من قال بالمال هكذا وهكذا، ومن أخذ الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر"(٨) والإعراض عن زينتها والزهد فيها، قال: "من أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، "ازهد في الدنيا يحبك الله"(٩) ويقلع حبها عن القلب إذ حبها يضر الآخرة قال: "من أحب دنياه أضرّ بآخرته ومن أحب آخرته، أضرّ بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى".(١٠)

(١) في الأصل "نفسى" والتصويب من "ب".
(٢) في الأصل "تشترى".
(٣) كلمات قرآنية في سورة الأعلى، الآية: ١٧.
(٤) سورة الحديد، الآية: ٢٠.
(٥) في الأصل: ماواه، والتصويب من ب.
(٦) انظر: جامع الترمذي ٥٧/٢ ابواب الزهد وسنن ابن ماجه ١٣٧٧/٢ كتاب الزهد، باب مثل الدنيا.
(٧) كذا في الأصل والأجود أن يقال: والاكتفاء بالضروري.
(٨) راجع: جامع الترمذي ٥٦/٢ في كتاب الزهد وسنن ابن ماجه ١٣٨٤/٢ في كتاب الزهد، باب منزلة الفقراء، بلفظ "ويل للمكثرين".
(٩) انظر: سنن ابن ماجه ١٣٧٤/٢ في كتاب الزهد والمستدرك للحاكم ٣١٣/٤ في كتاب الرقاق.
(١٠) راجع: مشكواة المصابيح ص: ٤٣٩ كتاب الرقاق، وأخرجه صاحب الحلية ١٣٨/١ في ترجمة عبد الله بن مسعود، بلفظ "أراد" مكان "أحب".

وبالصبر والرضاء على المرزوق وترك حرص الزيادة، قال: "قد أفلح من أسلم، و رزق كفافاً، وقنّعه الله بما آتاه"(١) وباتخاذها دار رحلة وأنه فيها مسافر يتسافر إلى الآخرة، ويقول: "ما أنا والدنيا إلا كراكب، استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها"(٢) قال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"(٣) وإذا كان الشرى ما ذكر، فخلافه بيع العقبى بالأولى.

(١٤٤)

وَمَــنْ يَبِــعْ آجِلاً مِنْــهُ بِعَاجِلِــهِ
يَبِنْ لَهُ الْغَبْنُ فِي بَيْعٍ وَفِي سَلَمِ

(وَمَنْ يَبِعْ) نفعاً (آجلاً مِنْهُ) من الدين يعنى آخرته (بِعَاجِلِه) بدنياه (يَبِنْ) يظهر (لَهُ الْغَبْنُ) الخسارة يوم لا ينفع مال ولا بنون لأنه باع العظيم الباقى بالحقير الفانى (فِي بَيْعٍ) نقد الدين بنقد الدنيا.

(وَفِي سَلَمٍ) في بيع نقد(٤) الدين الذي هو ثمن معجل بمقابلة الخسارة الأخروية التي هي مبيع مؤجل أو بيع نقد الوقت والعمر الذي هو رأس المال بمقابلة ما يسعى في تحصيله ويتعب لتدبيره(٥) من حطام الدنيا وزخارفها.

---

(١) أخرجه صاحب المشكواة عن عبد الله بن عمرو، كتاب الرقاق: ٤٤٠.

(٢) نفس المرجع: ٤٤٢.

(٣) راجع: صحيح البخاري ٧/ ١٧٠ كتاب الرقاق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: كن في الدنيا كأنك غريب والترمذي ٢/ ٥٧ ابواب الزهد، باب ماجاء في قصر الامل، وبلوغ المرام من أدلة الأحكام: ١٨٦ باب الزهد.

(٤) لم ترد في ب.

(٥) في الأصل: تدبيره، والتصويب من ب.

يعنى من اختار الدنيا على العقبى وجعلها مبلغ علمه وأكبر همه ومعظم مقاصده وجُلّ معاقده وربيع قلبه وأحسن صنعه(١) بحيث ألهاه عن ذكر الله تعالىٰ والتأهب للقائه والسعى لإرضائه يَبِنْ له الخسارة ويظهر له أنه استبدل "الذي هو أدنى بالذي هو خير"(٢) وأنه ما كان ينبغى ما كان يسعى فيه ويَتعَبُ له وعند ذلك يتذكر وأنّى له الذكرى ويقول: ياليتنا نُرَدُّ فنعمل غير الذي كنا نعمل، وجملة الأمر أن الذي آثر الدنيا خسر بقدر ما آثر، قال الله تعالى: هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً(٣) و يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّٰهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ.(٤)

ولما كان هذا البيع مستلزماً للسلم، ذكره إشارةً إليه وزيادة في التفريع.

ولما ذكر نبذاً من سوء حاله واشتغاله بالدنيا وزخارفها، تسلى بأن له عروة قويّة، فقال:

(١٤٥)

اِنْ آتِ ذَنْباً فَمَا عَهْدِى بِمُنْتَقِضٍ
مِــنَ النَّبِيِّ وَلاَ حَبْلِى بِمُنْصَــرِمِ

(اِنْ آتِ) أفعل (ذَنْباً) أتوسل للغفران بعهدى من النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أشار إلى وجه كون العهد وسيلة بقوله (فَمَا) الفآء للتعليل كأنه قيل:

---

(١) في الأصل "صفه" والتصويب من "ب".

(٢) كلمات قرآنية في سورة البقرة، الآية: ٦.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١٠٣، ١٠٤.

(٤) سورة المنافقون، الآية: ٩.

إذ ليس،(عَهْدِيْ) الذي عهدنى(١) النبي صلى الله عليه وسلم (بِمُنْتَقِضٍ مِنَ) جانب (النَّبِيِّ) صلى الله عليه وسلم (وَلاَ حَبْلِيْ) أملى (بِمُنْصَرِمٍ) بمنقطع عن ذلك العهد.

ثم أشار إلى بيان العهد مع بيان وجه عدم الانتقاض بقوله:

(١٤٦)

فَإِنَّ لِىْ ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَتِى
مُحَمَّداً وَهُوَ اَوْفَى الْخَلْقِ بِالذِّمَمِ

(فَإِنَّ) الفاء للتعليل كأنه قيل: لأن (لِيْ ذِمَّةً) عهداً كائناً (مِنْهُ) صلى الله عليه وسلم (بِتَسْمِيَتِي) بسبب كونى مسمى (مُحَمَّداً) وقد قال صلى الله عليه وسلم: إنى شفيع لكل محمد يوم القيامة(٢) (وَ) الحال (هُوَ) صلى الله عليه وسلم (أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذِّمَمِ) العهود، ثم التوسل بالعهد يكون:

(١٤٧)

اِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِيْ آخِذاً بِيَدِىْ
فَضْلاً وَاِلاَّ فَقُلْ يَازَلَّةَ الْقَدَمِ

(اِنْ لَمْ يَكُنْ) صلى الله عليه وسلم (فِيْ مَعَادِيْ) بعثى (آخِذاً بِيَدِيْ) ناصراً ومعيناً (فَضْلاً) تفضلاً من غير استحقاق بالعهد وغيره (وَإِلاَّ) وإن كان آخذاً فضلاً

(١) كذا وفي ب: عهد فى.
(٢) لم أجده بهذا اللفظ وفي ابن ماجه ١٠٢٣/٢ حديث: قال تعالى: آليت على نفسى أن لا ادخل النار من كان اسمه أحمد أو محمد وانظر: دلائل النبوة لأبى نعيم ١٠٨/٢ والسيرة الحلبية ٣٥/١.

(فَقُلْ) فضله يكفينى لا حاجة إلى التوسل بالعهد (يَازَلَّةَ الْقَدَمِ) يامن تزل قدمك لخوف العصيان.

وقال بعض الشارحين قوله: وإلا، يحتمل أن يكون بالتنوين بمعنى العهد، معطوف علىٰ "فضلاً"، وأن يكون بمعنى إن لم يكن تاكيداً للأول لبعد وقوع هذا الغرض منه صلى الله عليه وسلم، والجواب فقل يا زلة القدم يعنى إن لم يكن معيناً فقل: يا شدة الحال وسوء المآل، تعالي فهذا أوانك.

وقال بعضهم: "جواب اين شرط در بيت سابق است يعنى "فإنّ لىٓ ذمة منه بتسميتى" يعنى عهدِ من منتقض وحبلِ من منصرم نيست از براى آنكه اگر بفضل دستگيرى من نكند مرا عهدى هست واگر نباشد هيچ يكى ازين دو، نه عهد و نه اخذ بفضل، پس بگو اى آنكه قدم تومى لغزد درين مرتبه نلغزى، وباين بيعنانتى دست كوتاه نكنى، كه در تسويف حكمتى است، و از تو طلبِ مزيد ندامتى"* فيه بحث فتدبر!.

ثم أشار إلى عموم فضله وشموله لمن التجأ إليه بقوله:

(١٤٨)

حَاشَاه اَنْ يُحْرَمَ الرَّاجِى مَكَارِمَه
اَوْ يَرْجِعَ الْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمِ

(حَاشَاهُ) أي جعل الله النبي صلى الله عليه وسلم منزهاً عن (أَنْ يُحْرَمَ) على صيغة المجهول، يجعل محروماً (الرَّاجِيْ) الذي رجا (مَكَارِمَهُ) جمع مكرمة، بضم الراء بمعنى الكرم (أَوْ) أن (يَرْجِعَ) من الرجوع (الْجَارُ) المستجير (منه) صلى الله عليه وسلم حال كونه: (غَيْرَ مُحْتَرَمِ) فكل من توجه إلى

* عبارة فارسية ومعناها: جواب هذا الشرط في البيت السابق وهو "فان لى ذمة منه بتسميتى" والمراد أنه ليس عهدى بمنتقض ولا حبلي بمنصرم لأنه إن لم يكن آخذا بيدى تفضلا فإن لى عهد منه، وإذا لم يكن هناك شئى من هذين، لا عهد ولا أخذ بفضل، فقل: يا من تزل قدمك، لا تزل في هذه المرة، ولا تقصر همتك على هذا الإهمال لأن في التسويف حكمة وفى الطلب المزيد منك ندامة

حضرته صلى الله عليه وسلم يكون منصوراً معاناً(١) من عالم الغيب البتة.

(١٤٩)

وَمُنْذُ الْزَمْـتُ اَفكَارِىْ مَدَائِحَهُ
وَجَدتُّهُ لِخَلاَصِـى خَيْـرَ مُلْتَزَمِ

(وَ) الحال (مُنْذُ) لابتداء الغاية في الزمان أي من الزمان الذي (الْزَمْتُ) فيه (أفكارى مَدَائِحَهُ) جعلت(٢) مدائحه لازمة لأفكارى(وَجَدتُّهُ) علمته (لِخَلَاصِىْ) من كل سوء (خَيْرَ مُلْتَزَمِ) خير من يلتزم لدفع الضراء، على صيغة اسم المفعول، ويحتمل الفاعل ومن قال: بكسر الزاء المعجمة مصدر ميمى، فقد سها سهواً بيّناً.

(١٥٠)

وَلَنْ يَفُوْتَ الْغِنَـى مِنْهُ يَداً تَرِبَتْ
اِنَّ الْحَيَا يُنْبِتُ الأَزْهَارَ فِي الاَكَمِ

(وَلَنْ يَفُوْتَ الْغِنَى) الناشئى (مِنْهُ) صلى الله عليه وسلم (يَداً) مفعول "يفوت" أي يد محتاج (تَرِبَتْ) افتقرت ولأنها(٣) لصقت بالتراب بأن لا يصل إليها، وفي بعض الشروح: "شخصى را يا دستى را، و بسيار است كه از شخص بدست تعبير ميكنند* وفيه بحث، لأن اليد ليست من الأجزاء التي يعبر بها عن الكل.

---

(١) في الأصل "مانعا" والتصويب من "ب".
(٢) وردت في ب: خطبت.
(٣) كذا في الأصل وفي ب: كأنها.
* جملة فارسية وترجمتها: لشخص أو يد، وكثيرا ما يعبرون باليد عن الشخص.

قال العلامة التفتازانى في المطول في بحث المجاز المرسل: "يشترط في إطلاق الجزء على الكل استلزام(١) الجزء للكل كالرقبة والرأس مثلاً فإن الإنسان لا يوجد بدونهما بخلاف اليد، فإنه لا يجوز إطلاقه على الانسان، وأما إطلاق العين على الرَّبِيئة فليس من حيث أنه إنسان بل من حيث أنه رقيب، وهذا المعنى مما لا يتحقق بدون العين(٢) انتهى.

ثم أشار إلى دليل عدم الفوت بقوله: (اِنَّ الْحَيَا) بالقصر، المطر (يُنْبِتُ الأَزْهَارَ) جمع زهر، وهو النور (فِي الأَكَمِ) التي أشد احتياجاً إلى المطر من غيرها، أكم كفرس جمع أكمة، وهي ما ارتفع من الأرض يقال بالفارسية: "بشته".

والكلام تمثيل ويحتمل أنه شبه النبي صلى الله عليه وسلم بالمطر في عموم النفع وشموله للكل واحتياج الكل إليه، والإعطاء بالإنبات، والعطايا بالأزهار في الحسن والقبول والرغبة إليه قل أو كثر، والمحتاجين بالأكم في الاحتياج، ولما توهم من هذا البيت كأنه طالب للغنى، دفعه بقوله.

(١٥١)

وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِـي قَطَفَتْ
يَدَا زُهَيْـرٍ بِمَا اَثْنَـى عَلَى هَـرِمِ

(وَلَمْ أُرِدْ) من الارادة، بوصفى للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه يحصل منه سلب المضار(٣) وجلب المنافع (زَهْـرَةَ الدُّنْيَا) نضارتهـا وزينتهـا (الَّتِي قَطَفَتْ)(٤)

---

(١) في "الف": استلزم، والتصويب من "ب".
(٢) راجع المطول ص: ٣٥٥ في باب الحقيقة والمجاز، وتلخيص المفتاح: ١٢١.
(٣) في الأصل: المظار، والصواب ما أثبت.
(٤) كذا في الأصل وفي بعض النسخ: اقتطفت، راجع: حاشية الباجورى على البردة: ١٨٢.

جمعت (يَدَا زُهَيْر) شاعر مشهور (بِمَا أُثْنَى) بسبب ثنائه (عَلَى هَرِمِ) بن سنان بن أبى حارثة المرى من بنى مرة، وقد وصله بصلات خارجة عن العادات، وهرم ككتف، بل إنما أردت نصرته وشفاعته في يوم يكون لكل امرئ(١) فيه شأن يغنيه.

(١٥٢)

يَا اكْرَمَ الْخَلْقِ مَالِىْ مَنْ أَلُوْذُ بِه
سِوَاكَ عِنْدَ حُلُوْلِ الْحَادِثِ الْعَمَمِ

(يَا اكْرَمَ الْخَلْقِ) عند الله تعالى، لقوله عليه الصلاة والسلام: أنا أكرم الأولين والآخرين عند الله تعالى ولا فخر(٢) (مَا) ليس كائن (لِىْ مَنْ أَلُوْذُ بِه) لاذ به لوذاً، لجأ إليه وعاذ به كذا في الصحاح(٣) (سِوَاكَ) يارسول الله تعالى (عِنْدَ) ظرف "ألوذ" (حُلُوْلِ) نزول (الْحَادِثِ) الشدة والمحنة (الْعَمَمِ) التام الشامل للكل، والعمم بفتحتين وبكسر الميم الأولى.

ولا يبعد أن يراد بالحادث العمم حبس الناس يوم القيامة، لا يحاسبون مدة مديدة فيحزنون بذلك الحبس حزناً شديداً، ولحقهم كرب عظيم مع غاية حرارة الشمس وقربها منهم حتى يغرقون، فمنهم من يبلغ عرقه عقبيه، ومنهم من يبلغ نصف ساقيه، ومنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم "من"(٤) يبلغ فخذيه، ومنهم

(١) كذا في الأصل وفي ب "أمر".
(٢) أخرجه الترمذي ٢٠٢/٢ ابواب المناقب، باب ماجاء في فضل النبي صلى الله عليه وسلم والقاضى في الشفا ٧٤/١.
(٣) راجع: الصحاح ١٢٣٧/١ تحت المادة "لوذ".
(٤) سقطت من الأصل والتكملة من "ب".

من يبلغ خاصرته، ومنهم من يبلغ فاه على قدر العصيان، فيقولون: ليتنا نستشفع أحداً إلى ربنا من مشقة هذا الحبس وطوله، فلا يستشفعون أحداً إلا وهو يقول: لا يهمنى اليوم إلا نفسى، فاذا أضطرّوا جاؤا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فيشفع لهم شفاعةً تامةً عامةً لا يشاركه فيها أحد من الأنبياء والمرسلين، بل هم أيضاً يحتاجون إلى شفاعته في ذلك اليوم، وهذا هو المقام المحمود الموعود الذي أعطاه عزوجل، فيقبل شفاعته فيهم فيحاسبون سريعاً.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا قائدهم إذا وفدوا(١) وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وأنا شافعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا الكرامة، والمفاتيح يومئذ بيدى"(٢) وقال: "إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر".

(١٥٣)

وَلَنْ يَضِيْقَ رَسُوْلَ اللّٰهِ جَاهُكَ بِىْ
اِذَا الْكَرِيْمُ تَجَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمِ

(وَلَنْ يَضِيْقَ) أي لا ينحط يا (رَسُوْلَ اللّٰهِ) صلى الله عليه وسلم (جَاهُكَ) مرتبتك العليا ومنزلك الأسنى (بِىْ) بسبب شفاعتك إياى (إِذَا) قد يجئ للمستقبل وههنا كذلك (الْكَرِيْمُ) سبحانه وتعالى (تَجَلَّى) ظهر (بِ)

(١) في الأصل "وقدوا" وهو التصحيف.
(٢) أخرجه الترمذي عن انس بن مالك: ٢٠١/٢ ابواب المناقب، باب ماجاء في فضل النبي صلى الله عليه وسلم والدارمي: ص: ١٦ باب ما أعطى النبي صلى الله عليه وسلم من الفضل.

مقتضى (اسمِ مُنتَقِمٍ) فيكون في صدد الانتقام من العصاة فيغضب غضباً لم يغضب قبلُ مثله ولا يغضب بعدُ مثله على ما ورد في الحديث، ثم بين وجه عدم الانحطاط بقوله:

(١٥٤)

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا
وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ

(فَإِنَّ مِنْ) بعض (جُودِكَ الدُّنْيَا) بمعنى أنه صلى الله عليه وسلم هو الواسطة في وجودها فكأنها من جوده صلى الله عليه وسلم كما ذكر في بعض نسخ التواريخ: إن الله تعالى لما تجلى بصفة الجمال والجلال على نوره صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه: أول ما خلق الله نوري"(١) ويقال له البيضاء أيضاً، صارقسمين، قسم في غاية اللطافة والصفاء وقسم دون ذلك، وسمى الأول نوراً والثاني ناراً، وخلق من الأول الأشخاص الشريفة العلوية والكواكب وأطباق السموات وأرواح الأنبياء والرسل والأولياء، وأصحاب اليمين، ومن الثاني أرواح أصحاب الشمال والجآن وأولاده وسائر الأجناس السفلية، فعُلم أن نوره صلى الله عليه وسلم هو الواسطة في إيجاد المخلوقات كما يؤيده: "لو لاك لما خلقت الأفلاك".(٢)

(وَ) من بعض جودك (ضَرَّتَهَا) أي ضرة الدنيا وهي الآخرة، وضرة المرأة امرأة زوجها، يقال لها بالفارسية "انباغ"، لأن الدنيا لما كانت من جوده وكان وجود الآخرة بواسطة وجودها كانت الآخرة من جوده صلى الله عليه وسلم.

---

(١) انظر: جواهر البحار ٩٦/١ ومدارج النبوة ٦٥/١ والمواهب اللدنية ٨/١ وتاريخ الخميس ٢٢/١.

(٢) انظر: الخصائص الكبرى ١٩٣/٢ وشرح الشفالعلى القارى ٦٨/١ وجواهر البحار ٩٨/١ والموضوعات الكبرى: ٢٩٥.

وفي التعبير عن الآخرة بالضرّة إشعار بأنها لا تريد أن تكون معها الدنيا لصاحبها كما أن المرأة لا تريد أن تكون لها ضرة، فمن أحب الآخرة أضر بدنياه ومن أحب الدنيا أضر بالآخرة".

(وَمِنْ) بعض (عُلُومِكَ) التي علمك الله تعالى (عِلْمَ اللَّوْحِ) أي علم ما فيه وهو في الهواء فوق السماء السابعة، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وهو من درة بيضاء، كذا في بعض التفاسير،(١) (وَ) علم (الْقَلَمِ) الذي كتب به الكائنات في اللوح، فاذا كان جاهك في الجود والعلم بهذه المثابة، كيف ينقص بشفاعة شخص محتاج.

(١٥٥)

يَانَفْسُ لاَ تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ
إِنَّ الْكَبَائِرَ فِي الْغُفْرَانِ كَاللَّمَمِ

(يَانَفْسُ) إن قرئ بالضم فالمنادى مطلق النفس، وإن قرئ بالكسر فنفس المتكلم (لاَ تَقْنَطِي): لا تيئسى من رحمة الله الواسعة السابقة على الغضب لقوله صلى الله عليه وسلم حاكياً عن الله تعالى: إن رحمتى سبقت غضبى"(٢) وقنط: جاء من باب نصر وضرب وعلم وأما فتح العينين وكسرهما فإنما هو جمع بين اللغتين كذا في الصحاح(٣) (مِنْ) لأجل (زَلَّةٍ) معصية (عَظُمَتْ) كبرت،

---

(١) انظر: تفسير البيضاوى ٢٧٩/٤ سورة البروج، الآية: ٢٢ في تفسير: بل هو قرآن في لوح محفوظ، وأيضا: تفسير خازن ٣٩٥/٤ ومدارك التنزيل بهامش خازن ٣٩٥/٤.

(٢) أخرجه الامام احمد في "مسنده" عن ابى هريرة في باب صفة الخلق ٢٦/١ ومسلم في "صحيحه" ٩٥/٨ كتاب الذكر والدعا والتوبة، باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه وابن ماجه ٣٤٥/٢ والبخاري في "صحيحه" ١٢٨/٩ والسيوطى في "الدرر المنتشرة": ١٣٢.

(٣) راجع: الصحاح ٤٨٥/٤ تحت المادة "قنط".

ثم أشار إلى الدليل بقوله: (انَّ الكَبَائِرَ فِيْ) جوار (الغُفْرَانِ) بالتوبة بدونها:

(كَاللَّمَمِ) مثل صغائر الذنوب، و"لم" ككرم يعنى لا ينبغى أن يقنط أحد بكثرة المعاصى والذنوب الكبائر فإنها في جوار المغفرة كالصغائر، هذا لكن لا ينبغى أن يبنى الأمر على ذلك فيدخل في المعاصى ويُصر عليها، فإن ذلك حماقة يبرزها الشيطان في معرض الدين، قال صلى الله عليه وسلم: الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله"(١) وهو تمنٍّ بحتٍ وليس برجاء، بل هو لمة شيطانية، قال الله تعالى: لاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُوْرُ.(٢)

قال القاضى:(٣) أي الشيطان بأن يمنّيكم المغفرة مع الإصرار على المعصية، فإنها وإن أمكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السمّ اعتمادا على دفع الطبيعة، فالرجاء والتمنى أمران متباينان يبرز الشيطان أحدهما في معرض الآخر، فيزعم المتمنى أنه راج، فالراجئ من تعهد الأرض وسقاها وبث البذر وحصل كل سبب يتعلق باختياره، ثم بقى يرجو أن يدفع الله تعالى الصواعق والقواطع وأن يمكنه من الحصاد، وأما من لم يتعهد(٤) الأرض ولا يبث البذر ثم ينتظر الزرع فهو متمنٍ مغرور.

هذا- ومن الأعجب ما وقع لى من هذه الهواجس، أنى نظرت في قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحب العبد المتحن التواب"(٥) وقوله: "ما

---

(١) أخرجه أبو نعيم في "حلية الاوليا،" ٢٦٧/١ في ترجمة شداد بن اوس بلفظ "العاجز" مكان "الاحمق" والحاكم في "المستدرك" ٥٨/١ في كتاب الايمان، باب الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت واحمد في "مسنده" ١٢٤/٤ وابن ماجه ٢٤٧/٢ والترمذي ٣٠٥/٢.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٥.

(٣) راجع تفسير البيضاوى: ٥٤٧.

(٤) في الأصل "يتعد" والتصويب من "ب".

(٥) لم أعثر على تخريجه بهذه الالفاظ وفي مشكاة المصابيح: ٢٠٦ كتاب الاستغفار والتوبة بلفظ "ان الله يحب العبد المؤمن المفتن التواب".

أصرّ من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة(١) وقوله صلى الله عليه وسلم حاكياً عن الله تعالى "من علم أنى ذو قدرة على مغفرة الذنوب، غفرت له وإن لم يستغفر، ما لم يشرك بى شيئاً".(٢)

وغير ذلك من الأحاديث، فوقع في روعى أن اقترف(٣) ذنباً ثم أتوب ثم هكذا وهكذا، وليس علىّ بذلك شئى، بل أصير محبوب الله تعالى، وليس الإصرار في الإعادة سبعين مرةً مع الاستغفار، فكيف إن أفعل مرةً مع الاستغفار واستغفر مراراً، وقد علمت يقيناً أن الله تعالى قادر على المغفرة، والنفس فيما بين ذلك طامحة راغبة، والشيطان مغرّ مفتن، فخرجت إلى بعض الصحارى ومعى تفسير القاضى، وقد كنت مشغولاً في تلك الأيام بقراءته عند الأستاذ العارف بالله، الزاهد في الدنيا، والراغب إلى العقبى، مولانا سعد الله(٤) قدس سره.

فبينا أنا في هذه(٥) الخطرة إذ فتحته فوقع نظرى على قوله تعالى: ولا يغرنكم بالله الغرور،(٦) أي الشيطان بأن يمنيكم التوبة والمغفرة فيجسركم(٧) على المعاصى، فقلت: سبحان الله هذه خطرة نفسانية ولمّة

---

(١) أخرجه ابو داؤد في الصلواة ١١٣/٢ باب في الاستغفار و"الترمذي" ٣٢٧/٢ في الدعوات باب: ما أصرّ من استغفر و"شرح السنة" ٢٢٤/٣ باب الاستغفار.

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" عن أبى هريرة باختلاف الالفاظ في كتاب الذكر والتوبة ٩٩/٨ باب قبول التوبة من الذنوب وان تكررت الذنوب والتوبة والبخاري في "صحيحه" ٣٩٣/١٣ في التوحيد، باب قول الله تعالى: يريدون أن يبدلوا، كلام الله، وشرح السنة باب الاستغفار ومشكواة المصابيح ٢٠٦ باب الاستغفار والتوبة.

(٣) في الأصل "اقترن" والتصويب من "ب".

(٤) وهو الشيخ سعد الله بن إبراهيم بن فتح الله الملتانى ثم اللاهورى ولد بملتان سنة ٩٢١هـ وتوفى سنة ٩٩٩هـ: راجع "نزهة الخواطر" ١٢٣/٤.

(٥) في الأصل "هذا" والصواب ما اثبت.

(٦) سورة فاطر، الآية: ٥.

(٧) في الأصل "فيجبرلكم" والتصويب من "ب".

شيطانية، فذهبت بعون الله تعالى وحسن توفيقه عني بالكلية، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادى له.

هذا واعلم أن العلماء اختلفوا في تفسير الكبيرة، قال بعضهم: هي السبع التي ذكرها صلى الله عليه وسلم في الحديث المعروف وهو الإشراك بالله تعالى والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وقتل النفس بغير حق وبهت المؤمن والزنا وشرب الخمر، وهو قول أهل الحجاز وأهل الحديث، وزاد بعضهم على هذا السبع أكل مال الربا وأكل مال اليتيم بغير حق، وقال بعضهم: ما كان حراماً لعينه فهو كبيرة.

وأصح ما قيل فيه هو ما نقل عن الإمام شمس الأئمة الحلوائى(١) رحمه الله أنه قال: ما كان شنيعاً بين المسلمين وفيه هتك حرمة الله تعالى والدين فهو من جملة الكبائر وكذلك الإعانة على المعاصى والفجور والحث عليها من جملة الكبائر، كذا في الكفاية(٢) في باب من يقبل شهادته ومن لا يقبل.

(١٥٦)

لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِيْنَ يَقْسِمُهَا
تَأْتِي عَلَى حَسَبِ الْعِصْيَانِ فِي الْقِسَمِ

(لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّى) المعدّة للعصاة (حِيْنَ) ظرف تأتى (يَقْسِمُهَا) أي الرحمة

(١) هو شمس الائمة أبو محمد عبد العزيز بن احمد بن نصر بن صالح البخاري الحلوائى الحنفى، كان فقيهاً أصوليا توفى ببخارا في سنة ٤٥٦ هـ، راجع: معجم المؤلفين ٢٤٣/٥ والاعلام ١٣٦/٤ والفوائد البهية: ٩٥ وسير النبلاء ١٨٧/١١ وهدية العارفين ٥٧٧/١ وكشف الظنون: ٤٦.

(٢) راجع الكفاية في شرح الهداية: ١٤٥/٢.

(تَأْتِى) كائنة (عَلَى حَسَبِ الْعِصْيَانِ) أي قدره وعدده (فِي الْقِسَمِ) كعنب جمع قسمة، فكل من كان أكثر عصياناً يكون نصيبه من تلك الرحمة أوفر وأتم.

(١٥٧)

يَارَبِّ فَاجْعَلْ رَجَائِى غَيْرَ مُنْعَكِسٍ
لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِى غَيْرَ مُنْخَرِمِ

(يَارَبِّ) افعَلْ مارجوتُ (فَاجْعَلْ رَجَائِى) أملى بذلك المرجوّ (غَيْرَ مُنْعَكِسٍ لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِى) ظنى بك بأن تغفر ذنوبى وقد قلت: أنا عند ظن عبدى بى"(١) (غَيْرَ مُنْخَرِمِ) منقطع.

(١٥٨)

وَالْطُفْ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّ لَهُ
صَبْراً مَتَى تَدْعُهُ الأَهْوَالُ يَنْهَزِمِ

(وَالْطُفْ) ارفق (بِعَبْدِكَ فِيْ الدَّارَيْنِ) ثم أشار إلى وجهه بقوله (إِنَّ لَهُ) أي للعبد (صَبْراً) ضعيفاً (مَتَى تَدْعُهُ الأَهْوَالُ) جمع هول من "هاله الشئ هولاً" أي أفزعه أي الأمور الهائلة (يَنْهَزِمِ) يفر وينعدم والشرطية صفة للصبر يعنى اجعله(٢) في

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبى هريرة: ٦٢/٢ ابواب الزهد، باب في حسن الظن بالله، ومسلم في "صحيحه" ٦٦/٨ كتاب الذكر والدعا والتوبة والاستغفار، باب فضل الذكر والدعا والتوبة إلى الله، والدارمى من حديث واثلة بن الاسقع: ص: ٣٦٧ باب حسن الظن بالله، والامام احمد في "مسنده" ٤٥/١

(٢) سقطت في الأصل والتكملة من ب.

الدارين سليماً عن المكاره لأن له صبراً لا يتحمل الشدائد والمحن.

(١٥٩)

وَأْذَنْ لِسُحْبِ صَلَواة مِنْكَ دائِمَةً
عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍ وَمُنْسَجِمِ

(وَأْذَنْ) أمرٌ من أذن له في الشئ (لِسُحْبِ) بالسكون، مخفف(١) سحب كعنق جمع سحاب (صَلَواةٍ) رحمة كائنة (مِنْكَ دائِمَةً) تلك السحب(٢) (عَلَى النَّبِيِّ) متعلق (بِمُنْهَلٍ) مصدر ميمى من "انهل المطر انهلالاً": سال بشدة. (وَمُنْسَجِمِ)(٣) من سجم الدمع سجوماً: سال يعنى اتذن يا ربِّ لسحب الرحمة في الانهلال والسيلان على النبي صلى الله عليه وسلم.

(١٦٠)

وَالآلِ وَالصَّحْبِ ثُمَّ التَّابِعِينَ لَهُمْ
أَهْلِ التُّقَى وَالنُّقَى وَالْحِلْمِ وَالْكَرَمِ

(وَ) على (الآلِ) واختلف في آله صلى الله عليه وسلم، ففى قولٍ آله من حرمت عليه الزكواة وهو بنو هاشم وبنو عبد المطلب، وفي قولٍ آله فاطمة رضي الله عنها والحسن والحسين وعلى وأخواه جعفر وعقيل وأعمامه عباس وحمزة والحارث بن عبد المطلب وأولاد هؤلاء رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وقيل: كل

(١) وردت في ب: فخفف.
(٢) وردت في ب: السحاب.
(٣) في الأصل "منجسم" محرفا.

تقى آله، كذا في المفاتيح(١) في باب الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم.

(وَ) على (الصَّحْبِ) الذين ورد فيهم: اكرموا أصحابى فإنهم خياركم"(٢) والصحب، اسم جمع لصاحب وجمعه الأصحاب، والمستعمل في موضع المفرد الصحابى المنسوب إلى الصحابة، وهو في الأصل مصدر جاء بمعنى الأصحاب، والصحابى من لقى النبي صلى الله عليه وسلم من الثقلين مؤمناً به وموته على الاسلام.

(ثُمَّ) على (التَّابِعِينَ لَهُمْ) للصحب والآل الذين ورد فيهم: لا تمس النار مسلماً رآنى أو رأى من رآنى"(٣) والتابعى كل مسلم لقى صحابياً.

(أَهْلِ التُّقَى) صفة للمجموع أي أهل التقوى، وتقى كهُدى (وَ) أهل (النُّقَى) أي النظافة، كسعاد ممدود، قصِّر للضرورة (وَ) أهل (الحِلْمِ وَالكَرَمِ)".

(١٦١)

مَا رُنِّحَتْ عَذَبَاتُ الْبَانِ رِيحُ صَبَا
وَأَطْرَبَ الْعِيسَ حَادِى الْعِيسِ بِالنَّغَمِ

(مَا) دام ظرف اتذن أو بمنهل (رُنِّحَتْ) علي صيغة المجهول، في الصحاح:(٤) رُنِّح عليه ترنيحاً، على ما لم يسم فاعله أي غشى عليه أو اعتراه وهن في عظامه فتمايل أي مادام ميلت.

(١) انظر: مرقاة المفاتيح ٣٣٧/٢ باب الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم.
(٢) راجع: مشكواة المصابيح: ٥٥٤ باب مناقب الصحابة.
(٣) أخرجه الترمذي من حديث جابر بن عبد الله المناقب ٢٢٦/٢ باب ماجاء في فضل من رأى النبي صلى الله عليه وسلم.
(٤) راجع: الصحاح ١٧٥/٢ تحت المادة "رنح".

(عَذَبَاتِ البَانِ) أغصانه، وهو ضرب(١) من الشجر أمالته (رِيحُ صَبًا) صبا ريح يهب من موضع مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار، (وَ) مادام (أَطْرَبَ) أدخل في الطرب،(٢) خفة تصيب لشدة سرور، (العِيسَ) بالكسر، الابل البيض يخالط بياضها شئى من الشقرة أي الحمرة.

(حَادِي العِيْسِ) أي سائقها ومغنّيها، من الحدو،(٣) وهو سَوق الابل "و"(٤) الغناء لها، (بِالنَّغَمِ) كعَلَم جمع نغمة، وهو الصوت الخفى، والمراد الصوت الموزون، وفي ابتداء القصيدة بالبكاء للعشق وختمها بالنغم والطرب رمزٌ إلى أن بكل عسير يسير وأن العشق سائق بالآخرة إلى البهجة والسرور وموجبه للارتياح والنور(٥) والمراد بالتعليق التأبيد لأنه إذا علّق شئى بما له امتداد يراد به التأبيد لا الانتهاء بانتهائه.

والله تعالى أعلم.

قد استراح من كدّ(٦) الانتهاض بمسودة هذا الشرح العبد جمال "الجنابى"(٧) وفقه الله سبحانه وتعالى لتخليص النية عن شوب الأغراض وجعله فارغاً عن مطالبة الأعواض، قبيل ظهر يوم الثلاثاء، الخامس عشر من جمادى الآخرة، المنتظم في سلك سنة(٨) ٩٩٩ هـ تسع وتسعين وتسع مئة، تمت بالخير والظفر.

---

(١) في الأصل مخروم والتكملة من "ب".
(٢) كذا في الأصل والأجود أن يقال: وهي خفة.
(٣) فى الأصل: الحد، والتصويب من "ب".
(٤) سقطت من الأصل والصواب ثباتها.
(٥) وردت في ب: السّور.
(٦) الأصل مخروم والتكملة من "ب".
(٧) التكملة من "ب".
(٨) كذا في الأصل وفي ب: شهور.

قد حصل الفراغ من تسويد هذا الكتاب المستطاب المسمى بشرح قصيدة البردة من تاليف زبدة العارفين، قدوة السالكين، محى سنن سيد المرسلين، العارف بالله، الزاهد في الدنيا والراغب إلى الله مولانا جمال الله ساكن موضع كيليانواله، نور الله مرقده وبرد الله مضجعه، قبيل الزوال يوم الاثنين، السابع والعشرون من شهر الصفر في سنة ١٣٠٤ أربع وثلاث مائة وألف من هجرة نبىَّ آخر الزمان عليه وعلى آله وأصحابه من الصلوات أفضلها ومن التحيات أكملها.

*** والحمد لله رب العالمين ***

المصادر والمراجع

(١) الآلوسي- شهاب الدين، محمود (ت ١٢٧٠ هـ)

* روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) ابن الأثير- عزالدين، أبو الحسن، علي (ت ١٢٣٤م)

* أسد الغابة في معرفة الصحابة، المكتبة الإسلامية، طهران.

(٣) ابن الجوزي- جمال الدين، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي التيمي القرشي (ت ٥٩٧هـ)

* صفة الصفوة، الطبعة الأولى، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٣٥٥ هـ
* الوفا بأحوال المصطفى، المكتبة النورية الرضوية، فيصل آباد، باكستان.
* الموضوعات، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الأولى، كراتشي، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م

(٤) ابن حبان- أبو حاتم، محمد بن حبان، التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ)

* المسند الصحيح، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر.

(٥) ابن حجر العسقلاني-شهاب الدين،أبو الفضل،أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ)

* الإصابة في تمييز الصحابة، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.
* بلوغ المرام من أدلة الأحكام، دار صادر، بيروت.

(٦) ابن حجر الهيتمي-شهاب الدين،أحمد بن محمد(ت ٩٧٤هـ)

* أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل (مخطوط بمكتبة جامعة بنجاب بلاهور)

(٧) ابن حنبل- الإمام أبو عبد الله، أحمد، (ت ٢٤١هـ)

* المسند، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ١٣٦٥هـ

(٨) ابن خلكان-أبو العباس،شمس الدين،أحمد بن محمد البرمكي،(ت ٦٧١هـ)

* وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مطبعة السعادة، مصر ١٩٤٨م.

(٩) ابن دحلان- أحمد بن زيني- السيرة النبوية والآثار المحمدية بهامش السيرة الحلبية، مصر، ١٣٤٦هـ

(١٠) ابن سَلّام الجمحي- محمد (ت ٢٣١هـ)

* طبقات فحول الشعراء، دار المعارف، مصر، ١٩٥٢م

(١١) ابن سيد الناس- فتح الدين، أبو الفتح، محمد بن محمد، الشافعي الأندلسي (ت ٧٣٤هـ)

* عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، دار الآفاق، بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م

(١٢) ابن عبد البر-أبو عمرو،يوسف بن عبد الله، الأندلسي (ت ٤٦٣هـ)

* الاستيعاب في معرفة الأصحاب، مطبعة مصطفى محمد، مصر، ١٩٣٩م

(١٣) ابن العماد- أبو الفلاح، عبد الحي، الحنبلي، (ت ١٠٨٩هـ)

* شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مكتبة القدسي، مصر، ١٣٥١هـ

(١٤) ابن قتيبة- أبو محمد، عبد الله بن مسلم، الدينوري، (٢٧٦هـ)

* الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، مصر ١٩٦٧م

(١٥) ابن القيم- شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر، الزرعي الدمشقي (ت ٧٥١هـ)

* زاد المعاد في هدى خير العباد، تحقيق شعيب الأرنووط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٩هـ
* المنار المنيف في الصحيح والضعيف، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب ١٣٩٠هـ

(١٦) ابن كثير-عماد الدين،أبو الفدا،اسماعيل القرشي الدمشقي،(ت ٧٧٤هـ)

* البداية والنهاية، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، مصر ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م
* تفسير القرآن العظيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٤٧هـ/ ١٩٧٩م
* المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت

(١٧) ابن ماجه- محمد بن يزيد القزويني، أبو عبد الله، (ت ٢٧٣هـ)

* سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٥٢م

(١٨) ابن منظور الأفريقي-أبو الفضل،جمال الدين،محمد بن مكرم(ت ٧١١هـ)

* لسان العرب، دار صادر، بيروت.

(١٩) ابن النديم-أبو الفرج،محمد بن اسحاق (ت ٣٩٠ هـ)

* الفهرست، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ١٣٤٨هـ

(٢٠) ابن هشام-أبو محمد،عبد الملك بن هشام،المعافري الحميري(ت ٢١٣هـ)

* سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، دار الفكر، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م

(٢١) أبو داؤد- الإمام سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)

* سنن أبي داؤد،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،مطبعة السعادة، مصر ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م

(٢٢) أبو نعيم الأصفهاني- أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ)

* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٦هـ
* دلائل النبوة، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، ١٣٢٠هـ

(٢٣) أبو نواس- الحسن بن هاني (ت ١٩٥هـ)

* ديوان أبي نواس، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، لجنة التاليف والترجمة،. مصر، ١٩٠٨م

(٢٤) الباجوري- ابراهيم بن محمد (ت ١٨٦٠م)

* حاشية على البردة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٩٥١م

(٢٥) البخاري- الإمام محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ)

* الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٥هـ
* صحيح البخاري، المكتبة الإسلامية، استانبول، ١٩٨١م

(٢٦) البغدادي- اسماعيل باشا بن محمد أمين

* هدية العارفين، استانبول، ١٩٥٥م

(٢٧) البغوي-محي الدين،أبو محمد، الحسين بن مسعود الفراء (ت ٥١٦هـ)

* مصابيح السنة، المكتب الإسلامي، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م

(٢٨) البوصيري- شرف الدين، أبو عبد الله، محمد بن سعيد (ت ٦٩٤هـ)

* ديوان البوصيري، تحقيق سيد محمد الكيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م

(٢٩) البيضاوي- ناصر الدين، أبو سعيد، عبد الله بن عمر (ت ٧٩١هـ)

* أنوار التنزيل وأسرار التاويل المعروف بتفسير البيضاوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر

(٣٠) البيهقي- أبو بكر، أحمد بن حسين (ت ٤٥٨هـ)

* دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق الدكتور عبد المعطى القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣١) تاريخ آداب مسلمي باكستان والهند، مطبعة جامعة بنجاب بلاهور

(٣٢) الترمذي-الإمام أبو عيسى، محمد بن عيسى(ت ٢٧٩هـ)

* جامع الترمذي، مطبعة مجتبائي، دهلي، ١٣٢٧هـ

(٣٣) التفتازاني- مسعود بن عمر (ت ٧٩٧هـ)

* المطول على تلخيص المعاني، مطبعة الحاج محرم آفندي، ١٣٠٤هـ
* شرح تلخيص المفتاح، المطبعة المحمدية، ميرته، الهند، ١٣٦١هـ

(٣٤) الثعالبي-أبو منصور،اسماعيل، النيشابوري(ت ٤٢٩هـ)

* فقه اللغة وسر العربية، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان، طهران، ١٩٣٨م

(٣٥) الجاحظ- أبو عثمان، عمرو بن بحر، (ت ٢٥٥هـ)

* البيان والتبيين، تحقيق حسن السندوبي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م

(٣٦) الجامي- نور الدين- عبد الرحمن- الملاّ (ت ٨٨٥هـ)

* الفوائد الضيائية (شرح الملاّ الجامي) مطبعة منشى نولكشور، لكنؤ، ١٢٧١هـ/ ١٨٨٨م
* شواهد النبوة لتقوية أهل الفتوة، المكتبة النبوية، لاهور، ١٩٨٣م

(٣٧) جمال القرشي- محمد بن عمر

* الصراح، مطبعة الهند، دهلي، ١٨٦٥م

(٣٨) الجوهري- أبو نصر، اسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ)

* الصحاح في اللغة، المطبعة المصرية، القاهرة، ١٢٨٢هـ

(٣٩) حاجى خليفه- مصطفى بن عبد الله (ت ١٦٥٧م)

* كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م

(٤٠) حافظ شيرازي- شمس الدين، محمد (١٣٨٩م)

ديوان حافظ، مؤسسة انتشارات اسلامى، لاهور، ١٩٨٤م

(٤١) الحاكم-الإمام أبو عبد الله،محمد بن عبد الله،النيشابوري(ت ٤٠٥هـ)

* المستدرك على الصحيحين في الحديث، مطابع النصر الحديثة، الرياض، ١٩٦٧م

(٤٢) حسن تميم- شرح نهج البلاغة- دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٣م

(٤٣) حقي- اسماعيل البروسوي (ت ١١٣٧هـ)

* تفسير روح البيان، دار الفكر، مصر

(٤٤) الحلبي- علي بن برهان الدين (ت ١٠٤٤هـ)

* إنسان العيون في سيرة الأمين المامون المعروف بالسيرة الحلبية، الطبعة الأولى، مصطفى البابى الحلبي، مصر، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م

(٤٥) الحلبي- شهاب الدين محمود (ت ٧٢٥هـ)

* حسن التوسل إلى صناعة الترسل، تحقيق الأستاذ أكرم عثمان يوسف، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م

(٤٦) الخازن- علي بن محمد البغدادي (ت ٧٤١هـ)

* لباب التأويل في معاني التنزيل المعروف بتفسير الخازن، مطبعة دار الكتب العربية الكبرى، مصر، ١٣٢٨هـ

(٤٧) الخربوتي- عمر بن أحمد

* عصيدة الشهدة (شرح قصيدة البردة)، أصح المطابع، كراتشي

(٤٨) الخطيب التبريزي- ولي الدين، محمد بن عبد الله، (ت ٧٤٣هـ)

* مشكواة المصابيح، أصح المطابع، كراتشي

(٤٩) الخفاجي-أحمد،شهاب الدين،محمود المصري(ت ١٠٦٩هـ)

* نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، المطبعة الأزهرية، ١٣٢٥هـ

(٥٠) الدارمي-عبد الله بن عبد الرحمن،أبو محمد(ت ٢٥٥هـ)

* سنن الدارمي- مطبعة النظامي، كانفور، ١٢٩٣هـ

(٥١) الدومي- أحمد عبد الجواد

* الأتحاف الربانية بشرح الشمائل المحمدية، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ١٣٦١هـ

(٥٢) الديار بكري- الشيخ حسين بن محمد (ت ٩٨٣هـ)

* تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، مطبعة الفقير عثمان عبد الرزاق، الطبعة الأولى، ١٣٠٢هـ

(٥٣) الذهبي-شمس الدين،أبو عبد الله،محمد بن أحمد بن عثمان(ت ٧٤٨هـ)

* سير أعلام النبلاء، تحقيق الدكتور محمد أسعد طلس، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢م

(٥٤) الرازي-الإمام فخر الدين، محمد بن عمر، التيمى البكري (ت ٦٠٦هـ)

* مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير، دار الكتب العلمية، طهران.

(٥٥) الراغب الأصفهاني- أبو القاسم، الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)

* معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق نديم مرعشلي، المكتبة الرضوية، طهران ١٩٧٢م

(٥٦) الرضي الاستراباذي- نجم الأئمة محمد بن الحسن (ت ٧١٣هـ)

* شرح الشافية، مطبعة الحاج محمد حسين، لكنؤ، ١٣٦٢هـ
* شرح الكافية، مطبعة منشى نولكشور، لكنؤ، ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٤م

(٥٧) الزبيدي- أبو بكر، محمد بن حسن (ت ٩٨٩هـ)

* طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر

(٥٨) الزبيدي- محمد مرتضى الحسيني الواسطي (ت ١٧٩٠م)

* تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، الطبعة الأولى، مصر ١٣٠٦هـ

(٥٩) الزرقاني- محمد بن عبد الباقي (ت ١١٢٢هـ)

* شرح المواهب اللدنية، الطبعة الأولى، المطبعة الأزهرية، القاهرة، ١٣٢٥هـ

(٦٠) الزركلى- خير الدين

* الأعلام، الطبعة الثانية، مطبعة كوستاتسوماس، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م

(٦١) الزمخشرى- أبو القاسم، جار الله، محمود بن عمر، (ت ٥٣٨هـ)

* الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مطبعة مصطفى البابى الحلبى، مصر، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م

* المستقصى في أمثال العرب، الطبعة الأولى، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٩٦٢م

(٦٢) زهير بن أبى سلمى (ت ٦٢٧م)

ديوان زهير، دار الكتب، القاهرة، ١٩٤٤م

(٦٣) السراج الطوسى-أبو نصر،عبد الله بن على (ت ٣٧٨هـ)

* كتاب اللمع، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، مصر، ١٩٦٠م

(٦٤) السخاوى-شمس الدين،أبو الخير،محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ)

* المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م

(٦٥) سركيس- يوسف اليان (ت ١٩٣٢م)

* معجم المطبوعات العربية والمعربة، مطبعة سركيس، مصر، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م

(٦٦) السهروردى-شهاب الدين، أبو حفص، عمر بن محمد، (ت ٦٣٢هـ)

* عوارف المعارف، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٩٦٦م

(٦٧) السهيلى- أبو القاسم، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمى (ت٥٨١هـ)

* الروض الأنف، المطبعة الجمالية، مصر، ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م

(٦٨) السيوطى-جلال الدين،عبد الرحمن بن أبى بكر(ت ٩١١هـ)

* أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب (الخصائص الصغرى)، تحقيق الدكتور ظهور أحمد أظهر، الطبعة الأولى، مكتبة الكتاب، لاهور، ١٤٠١هـ

* الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، تحقيق الدكتور محمد بن لطفى الصباغ، الطبعة الأولى، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م

* الدر المنثور في التفسير بالمأثور، مؤسسة الرسالة، بيروت

* كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب (الخصائص الكبرى)، المكتبة النورية الرضوية، فيصل آباد، باكستان.

(٦٩) الشافعى- الإمام محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ)

* المسند، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م

(٧٠) الشروانى- أحمد بن محمد اليمنى

* نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن، كلكته، ١٨٨١م

(٧١) شيخ زاده-محى الدين،محمد بن مصطفى(ت ١٦٦٧م)

* شرح قصيدة البردة، أصح المطابع، كراتشى، باكستان

(٧٢) الطبرى- أبو جعفر، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)

* تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، مصر، ١٩٦١م

* جامع البيان في تفسير القرآن، المطبعة الميمنية، مصر

(٧٣) عبد الحق المحدث الدهلوى (ت ١٦٤٢م)

* مدارج النبوة، المكتبة الرضوية، لاهور

(٧٤) عبد الحى بن فخر الدين الحسنى

* نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، الطبعة الأولى، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م

(٧٥) العجلونى- الشيخ اسماعيل

* كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، المطبعة المصرية، ١٣٥١هـ

(٧٦) العسكرى- أبو هلال، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥هـ)

* جمهرة الأمثال، بومبائى، ١٣٠٤هـ

(٧٧) على القارى-الملاّ،نور الدين،على بن سلطان(ت ١٠١٤هـ)

* الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، تحقيق محمد الصباغ، دار الأمانة، بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م
* شرح الشفا، شركة صحافية عثمانية، استانبول
* مرقاة المفاتيح (شرح مشكواة المصابيح) المكتبة الإمدادية، ملتان، ١٣٨٦هـ

(٧٨) العيدروسي- محى الدين، عبد القادر بن عبد الله (ت ١٠٣٨هـ)
* النور السافر عن أخبار القرن العاشر، تحقيق الأستاذ محمد رشيد آفندى، المكتبة العربية، بغداد، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م

(٧٩) الغزالى-حجة الإسلام، أبو حامد،محمد بن محمد بن محمد(ت ٥٠٥هـ)
* إحياء علوم الدين، مطبعة مصطفى البابى الحلبى، مصر، ١٣٤٦هـ
* المرشد الأمين، هيئة الأوقاف، حكومة بنجاب، لاهور

(٨٠) فهرس المخطوطات- مكتبة الكلية الإسلامية، بشاور

(٨١) فهرس المخطوطات-مكتبة ديال سنغ بلاهور،إعداد: سيد محمد متين هاشمى

(٨٢) فهرس المخطوطات-مكتبة كنج بخش،إعداد:الأستاذ أحمد منزوى،١٩٨٢م

(٨٣) فهرس المخطوطات-مكتبة جامعة بنجاب بلاهور،إعداد:الأستاذ عبد النبى كوكب

(٨٤) الفيروز آبادى-مجد الدين،محمد بن يعقوب الشيرازى (ت ٨١٧هـ)
* القاموس المحيط، الطبعة الرابعة، مطبعة دار المامون، مصر، ١٩٣٨م

(٨٥)القاضى عياض-أبو الفضل،عياض بن موسى بن عياض اليحصبى(ت ٥٤٤هـ)
* الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق على محمد البجاوى، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م

(٨٦) القسطلانى- أحمد بن محمد بن أبى بكر، الخطيب، (ت ٩٢٣هـ)
* المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، دار الكتب العلمية، مصر.

(٨٧) الكتبى- محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ)
* فوات الوفيات، مطابع دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م

(٨٨) كحاله- عمر رضا

* معجم المؤلفين، المكتبة العربية، دمشق، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م

(٨٩) اللكنوى- أبو الحسنات محمد عبد الحى
* الفوائد البهية في تراجم الحنفية، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٤هـ

(٩٠) مالك بن أنس بن مالك،الإمام الأصبحى (ت ١٧٩هـ)
* المؤطا، مطبعة مركز العلم والأدب، كراتشى

(٩١) الماوردى-أبو الحسن،على بن محمد،الشافعى(ت ٤٥٠هـ)
* أعلام النبوة، المطبعة البهية، بغداد، ١٣١٩هـ

(٩٢) محبوبى- برهان الشريعة، محمد، (ت ٨٠٠هـ)
* كفاية في شرح الهداية، حيدر آباد، الدكن، ١٢٨٨هـ

(٩٣) مسلم- الإمام مسلم بن الحجاج القشيرى النيشابورى (ت ٢٦١هـ)
* الجامع الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٤هـ

(٩٤) المناوى- الشيخ عبد الرؤف (ت ١٠٣١هـ)
* التيسير بشرح الجامع الصغير، مطبعة مصطفى محمد، مصر، ١٩٧٢م

(٩٥)الميدانى-أبو الفضل،أحمد بن محمد بن أحمد النيشابورى (ت ٥١٨هـ)
* مجمع الأمثال، تحقيق محى الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، دار الفكر، مصر، ١٩٧٢م.

(٩٦) النبهانى- يوسف بن اسماعيل
* جواهر البحار في فضائل النبى المختار، مطبعة مصطفى البابى الحلبى، مصر، ١٩٦٠م

(٩٧) النجار- عبد الوهاب
* قصص الأنبياء، إحياء التراث العربي، بيروت

(٩٨) النسائى-الإمام أبو عبد الرحمن،أحمد بن شعيب بن على (ت ٣٠٤هـ)
* سنن النسائى، المطبعة الميمنية، مصر، ١٣٠٦هـ

(٩٩) النسفى- أبو البركات، عبد الله بن أحمد(ت ٧١٠هـ)
* مدارك التنزيل وحقائق التأويل، مطبعة دار الكتب العربية، مصر، ١٣٢٨هـ

(١٠٠) النووى-شيخ الإسلام-أبو زكريا، يحيى بن شرف الدمشقى(ت ٦٧٦هـ)

* رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، أصح المطابع، كراتشى

(١٠١) النويرى- أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ)

* نهاية الأرب في فنون الأدب، وزارة الثقافة والإرشاد، مصر

(١٠٢) الهيثمى- نور الدين، على بن أبى بكر(ت ٨٠٧هـ)

* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الطبعة الثانية، دار الكتاب، بيروت ١٩٦٧م

(١٠٣) ياقوت الحموى- شهاب الدين، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الرومى (ت ٦٢٦هـ)

* إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المشهور بمعجم الأدباء، مطبعة مصطفى البابى الحلبى، مصر، ١٩٣٦م

* معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م

(104) Dr. Ahmad Hussain- Islam and ulema of Punjab- Ph.D. Thesis, Punjab University, Lahore

(105) Catalogue of the Arabic manuscripts in the liberary of India office, Oxford University Press,1930

الفهارس العامة

١- فهرس الأعلام

٢- فهرس الآيات القرآنية

٣- فهرس الأحاديث النبوية

٤- فهرس الأماكن والبلدان

٥- فهرس القبائل والأنساب والطوائف

٦- فهرس الأمثال

٧- فهرس الأشعار والأرجاز

(١) فهرس الأعلام

(أ)

آدم (عليه السلام): ٧٨

ابراهيم (عليه السلام): ٧٤-٧٩

ابن عباس: ٦٦-١٢٦

ابرهة: ١٢٧

أبو يزيد البسطامى: ٦٩-٩١

اسماعيل (عليه السلام): ٧٤

أنس: ٨٣-١٣٤

(ب)

البراء بن عازب: ١٤٩

بلال: ٦٦

البيضاوى: ١٢٦-١٣١-١٤٩-٢١٢

(ت)

التفتازانى: ١٢٦-١٣١-١٤٩-٢١٢

(ج)

الجوهرى (اسماعيل بن حماد): ٣٠-١٢٥

(ح)

حليمة بنت الحارث: ١٣٤

(خ)

خسرو: ١١٧

(ر)

الرضى: ٢٧-٧٦-١١٩-١٤٣-١٩٥

(ز)

زليخا: ٣٨

زهير: ٢٠٨

(س)

سطيح: ١٢١

سعد الله: ٢١٣

سيبويه: ٢٧

(ش)

شداد: ١٥٦

شعبى: ١٩٨

شيرين: ١١٧

(ص)

صفية: ١١٥

(ط)

طلحة: ٦٦

(ع)

عاد بن عوص: ١٥٥

عائشة: ٦٦-١١٥

عبد الله بن حذافة: ١١٧

عبد الله بن عتيك: ١٤٩

عبد الله بن قلابة: ١٥٦

عبد المسيح: ١٢١

عثمان بن عفان: ١٢١

على بن أبى طالب: ٥٣-١١٥-١١٩-١٣١-١٦٠

(غ)

الغزالى: ٨٩

(ف)

فاطمة بنت الرسول(ص): ١١٣

(م)

المبرد: ٧٦-١٦٥

مجاهد: ١٩٨

مسيلمة الكذاب: ١٥٧

مغيرة: ٦٤

مويذان: ١٢٠

موسى بن عمران: ٧٢-٧٩

(ن)

نعمان بن المنذر: ١٢١

نوح (عليه السلام): ٧٨

نوشيروان: ١١٧

(هـ)

هرم: ٢٠٨

هود (عليه السلام): ١٥٥

(ى)

يوسف (عليه السلام): ٣٨

يونس (عليه السلام): ١٢٩

(٢) فهرس الآيات القرآنية

(مرتبة في سورها)

البقرة (٢)

ربنا واجعلنا مسلمين(١٢٨) ١٣١

سَل بنى اسرائيل كم آتيناهم (٢١١) ١٩٥

إن الله يحب التوابين (٢٢٢) ٥٤

من ذا الذى يشفع عنده (٢٥٥) ١٤٣

آل عمران (٣)

زين الناس حبّ الشهواب (١٤) ٧٠

ان الدين عند الله الإسلام (١٩) ٧٩

قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى(٣١) ٦١-٧٧

ومن يبتغ غير الاسلام دينا (٨٥) ٧٩

واعتصموا بحبل الله (١٠٣) ٨١

النساء (٤)

قل متاع الدنيا قليل (٧٧) ٩٩

ومن يعمل سوءاً أو يظلم (١١٠) ٥٩

وكان فضل الله عليك عظيما (١١٣) ٩٤

ومن يشاقق الرسول (١١٥) ١٥٨

المائدة (٥)

إن الله يحب المقسطين (٤٢) ١٦٦

الأنعام (٦)

وما من دابة في الأرض (٣٨) ٩٤

الأعراف (٧)

وكم من قرية (٤) ١٩٥

ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين (١٣٠) ١٥٠

التوبة (٩)

عليهم دائرة السوء (٩٨) ١١٨

عزيز عليه ما عنتم (١٢٨) ٩٦

يونس (١٠)

والله يدعو إلى دار السلام (٢٥) ٨٠

هود (١١)

ولا تركنوا إلى الذين ظلموا (١١٣) ٥٨

يوسف (١٢)

فلن ابرح الأرض (٨٠) ١٩٣

النحل (١٦)

وإن تعدّوا نعمة الله (١٨) ٩٩

بنى اسرائيل (١٧)

ولا تجعل يدك مغلولة (٢٩) ٥٦

الكهف (١٨)

هل ننبئكم بالأخسرين (١٠٣) ٢٠٣

مريم (١٩)

وكان رسولاً نبياً: (٥٤) ٧٤

الأنبياء (٢١)

لا إله إلاّ أنت سبحانك (٨٧) ١٢٩

وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين (١٠٧)٧٢-٨٤-١١٠

الحج (٢٢)

وما أرسلنا من قبلك (٥٢) ٧٤

النور (٢٤)

يكاد زيتها يضئ (٣٥) ٩٥

ومن لم يجعل الله له نوراً (٤٠) ١٩٨

الفرقان (٢٥)

والذين يبيتون لربهم سجداً وقياما (٦٤) ٦٥

العنكبوت (٢٩)

ولا تخطه بيمينك (٤٨) ١٩٨

السجدة (٣٢)

فلا تعلم نفس ما أخفى لهم (١٧) ٦٥

الأحزاب (٣٣)

انا ارسلناك شاهداً ومبشرا (٤٥) ٦٢

فاطر (٣٥)

لا يغرنكم بالله الغرور (٥) ٤١-٢١٢-٢١٣

إن الشيطان لكم عدو (٦) ٥٧

فمن زين له سوء عمله (٨) ٥٠

يس (٣٦)

وجعلنا من بين ايديهم سداً (٩) ١٣٦

الصافات (٣٧)

فساهم فكان من المدحضين (١٤١) ١٣

الزمر (٣٩)

سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين (٧٣) ٧١

المؤمن (٤٠)

يعلم خائنة الأعين (١٢٩) ٥٥

الدخان (٤٤)
كم تركوا من جنات (٢٥) ١٩٥

الجاثية (٤٥)
أفرأيت من اتخذ إلهه هواه (٢٣) ٤٧

محمد (٤٧)
ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا (١١) ١٩٣

الفتح (٤٨)
وهو الذي ارسل رسوله بالهدى (٢٨) ٨٠

النجم (٥٣)
وكم من ملك في السموات (٢٦) ١٩٥

الحديد (٥٧)
واعلموا أنما الحيواة الدنيا (٢٠) ٢٠١
لكيلا تأسوا على ما فاتكم (٢٣) ٥٤

المجادلة (٥٨)
يرفع الله الذين آمنوا منكم (١١) ٨٢
لا تجد قوما يؤمنون بالله (٢٣) ٥٨

الحشر ٥٩
وما آتاكم الرسول فخذوه (٧) ١٥٨

الصف (٦١)
كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون (٣) ٥٩-٦١

المنافقون (٦٣)
يأيها الذين آمنوا لا تلهكم (٩) ٢٠٣

التحريم (٦٦)
صغت قلوبكما (٤) ٣٧

القلم (٦٨)
إنك لعلى خلق عظيم (٤) ٧٢-٨٣-٩٣-٩٧-٩٩-١٠٦

الجن (٧٢)
وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا (١٥) ١٦٦

الدهر (٧٦)
إنما نطعمكم لوجه الله (٩) ٥٤

النازعات (٧٩)
ونهى النفس عن الهوى (٤١) ٤٦

عبس (٨٠)
يوم يفر المرء من أخيه (٣٦) ٧٧

العاديات (١٠٠)
إنه لحبّ الخير لشديد (٨) ٧٠

(٣) فهرس الأحاديث النبوية

أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة فكلمته ١٣٩
أثقل ما يوزن في الميزان خلق حسن ٨٢
أحبّ العباد إلى الله الفقير القانع ٦٨
أدبني ربى فأحسن تأديبى ٩٣-١٠٠-١٩٨
أديموا قرع باب الجنة يفتح لكم ٥٢
إذا تكلم رُئى كالنور يخرج ١٠٦
إذا نام العبد عقد الشيطان على رأسه ٦٥
أعدى عدوك نفسك ٥٦
أفضلكم عند الله أطولكم جوعا ٥١
أفضل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ٨٢
أكرموا أصحابى فإنهم خياركم ٢١٧
ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ١٣٤
ألا أنا حبيب الله ولا فخر ٨٨
اللهم اجعلها رياحاً ٢٩
اللهم ارزقنى عينين هطالتين ٥٥
اللهم إنى اعوذ بك من شر نفسى ٤٨
اللهم إنى أعوذ بك من الفقر ٦٨
اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون ١٠٦
اللهم حوالينا ولا علينا ١٥١
اللهم لا تجعل الدنيا مبلغ علمى ٦٩
أنا أكرم الأولين والآخرين ٧٢-١٠٢-١٧٧-٢٠٨
أنا أملح ٨٣
أنا أول شفيع ٧٨
أنا أول الناس خروجا ٢٠٩

أنا أولى بالمؤمنين ٩٦
أنا سيد ولد آدم ٧٨
أنا عند ظن عبدى بى ٢١٥
إن الله حرم على الأرض ١١٤
إن الله يحب العبد المتحن ٥٤-٢١٢
إن امرأة جاءت بابن لها ١٥٠
إن الدنيا دار من لا دار له ٦٧
إن الدنيا ملعونة ٢٠١
إن رحمتى سبقت غضبى ٢١١
إن رسول الله (ص) أتاه جبرائيل ١٣٤
إن الشيطان يجرى ابن آدم ٥١
إن العبد إذا قام إلى الصلاة ٦٣
إن عينى تنامان ولا ينام قلبى ١٤٥
إن القرآن يأتى يوم القيامة شفيعاً ٨١
إن النبي (ص) خرج إلى الصحراء ١٣١
إن من عبادى المؤمنين من لا يصلح إيمانه ٥٣
إنه ليغان على قلبى حتى استغفر الله ٥٦
إنى شفيع لكل محمد ٢٠٤
أول الأرض التي بارك الله فيها ١٧٠
أول ما خلق الله نورى ٢١٠
أين مثل أبى بكر ١٣٨
بئس ابن العشيرة ١٠٨
بدأ الإسلام غريبا ١٨٥
التائب من الذنب كمن لا ذنب له ٥٥

ثلاث مهلكات ٤٨
حسب ابن آدم لقيمات ٥٢
حوضى مسيرة شهر ١٦٤
خير القرون قرنى ١٠٠
الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح ١٤٥
سبعة يظلهم الله في ظله ٦٢
السخاء شجرة تنبت في الجنة ٨٢
السخى الجهول أحب إلى الله ٨٢
سيد الأعمال الجوع ٥١
شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم ٤٩
الشيب نورى ٤٣
الصوم لى وأنا أجزى به ٦٣
علمت علم الأولين والآخرين ٨٤
عليكم بقيام فانه مرضاة ٦٥
فضل العالم على العابد كفضل القمر ٨٢
الفقراء الصبّرهم جلساء الله ٦٨
الفكر نصف العبادة ٥١
قد أفلح من اسلم ورزق كفافا ٢٠٢
القرآن حبل الله المتين ٨١
كاد الفقر أن يكون كفراً ٥٣-٦٨
كان خلقه القرآن ٩٣
كان رسول الله (ص) دائم البشر ١٠٩
كان رسول الله (ص) فخما مفخما ١٠٦
كلوا واشربوا في أنصاف البطون ٥٢

كن في الدنيا كأنك غريب ٢٠٢

كنت نبيا وآدم بين الماء والطين ٧٥-٨٥-١٠٤

الكيس من دان نفسه ٢١٢

لا، أجوع يوما واشبع يوما ٦٧

لا تطرونى كما أطرت النصارى ٨٩

لا تفضلونى على يونس ابن متى ١٠٢

لا تمس النار مسلما رآنى ٢١٧

لا يزال من أمتى أمة ١٨٦

لا يقبل الله عملا فيه ٤٨

لقد أتت على ثلاثون من بين ليلة ٦٦

لكل نبى دعوة مستجابة ٧٧-٩٧

لو كان موسى بن عمران حيا ٧٢

لو كانت الدنيا تزن عند الله ٦٩

لولاك لما خلقت الأفلاك ٧١-٢١٠

لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ٥١

لو وزن إيمان أبى بكر ١٣٨

لى مع الله وقت لا يسعنى ٨٥

ما أصاب المؤمن من مكروه ٥٣

ما أصر من استغفر ٢١٣

ما رأيت أحداً اكثر تبسماً ١٠٩

ما سئل شيئا قط فقال: لا ١١١

ما من أحد يسلم على ١١٤

ما من شفيع أفضل منزلة ٨١

ما من عمل أحب إلى الله ٥١

ما وقر شاب شيخا ٤٤

من ابتغى الهدى في غيره أضله ١٦٦

من إجلال إكرام ذى الشيبة ٤٤

من أحب دنياه أضرّ بآخرته ٢٠١

من أحب لله وأبغض لله ٥٨

من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ٦١

من تشبه بقوم فهو منهم ٥٨

من رآنى في المنام ١٠١

من رآنى في وقت النوم ١٠١

من نام حتى يصبح بال الشيطان في أذنه ٦٥

من وقر صاحب بدعة ٥٨

ناس أصابتهم النار بذنوبهم ١٦٤

نزلت على آنفاسورة ١٦٤

نفسك مطيتك فارفق بها ٤٩

هذه قريش جاءت بخيلائها ١٢٨

هلك الأكثرون إلا من قال ٢٠١

الهوى عند الله أبغض من جميع الآلهة ٤٧

يجمع الله الناس يوم القيامة ٧٨

يدخل فقراء أمتى الجنة قبل اغنيائها ٦٨

يؤتى بالعالم والغازى والزاهد ٤٨

(٤) فهرس الأماكن والبلدان

- أحد: ١٨٧
- إرم: ١٥٦
- إضم: ٣٠
- بحرين: ١١٧
- بحيرة ساوة: ١٢١
- بدر: ١٨٧
- ثور: ١٣٥
- حنين: ١٨٧
- الخط: ١٨٨
- دجلة: ١٢٢
- ذى سلم: ٢٨
- رَى: ١١٨
- الطائف: ١٨٧
- العلم: ٣٥
- كاظمة: ٢٩
- الكعبة: ١٢٧
- مكة: ١٢٧-١٨٧
- منى: ١٣٥
- موصل: ١٢٩
- نينوى: ١٢٩
- همدان: ١١٨
- الهند: ١٨٨
- وادى السماوة: ١٢١
- اليمامة: ١٨٨
- اليمن: ١٢٧

(٥) فهرس القبائل والأنساب والطوائف

بنى ساسان ١٢١
بنى العذرة ٣٩
الصوفية ٢٧
العرب ١٥٢
قريش ١٢٨
النصارى ٨٩

(٦) فهرس الأمثال

المثل	الصفحة
* سَنَة الوصال سِنَة وسِنَة الوصال سَنَة	٨٦
* أعط القوس باريها	١٧٧

(٧) فهرس الأشعار والأرجاز

القافية	الشاعر	الصفحة
نساء	زهير بن أبى سلمى	١٢٤
يمتدح	محمد بن وهيب الحميرى	١١٣
واحد	أبو نواس	١١٢
بمحمد	–	٩٣
يريد	–	٣٢
بالخبر	عبد الله بن رواحة	٩٥
الدهر	حسان بن ثابت	١١١
البحر	حسان بن ثابت	١١١
يخضع	–	٣٢
يتقطع	–	٣٣
أنفع	–	٣٣
يصنع	–	٣٢
راق	أبو محذوره	٣٦
ترياق	أبو محذوره	٣٧
لياليا	فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم	١١٣
غواليا	فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم	١١٣

الفهرس

تصدير ١

○ المقدمة: ٣

التعريف بصاحب الشرح ٧

مؤلفات الشيخ جمال ١٣

وصف المخطوط ١٤

قيمة الشرح وميزاته ....

○ متن الكتاب: ٢٤

○ المصادر والمراجع: ٢٢٠

○ الفهارس العامة: ٢٣١

١- فهرس الأعلام ٢٣٢

٢- فهرس الآيات القرآنية ٢٣٤

٣- فهرس الأحاديث النبوية ٢٣٧

٤- فهرس الأماكن والبلدان ٢٤٢

٥- فهرس القبائل والأنساب والطوائف ٢٤٣

٦- فهرس الأمثال ٢٤٤

٧- فهرس الأشعار والأرجاز ٢٤٥